شرح التعرف لمذهب أهل التصوف

تأليف

الإمام علاء الدين أبي الحسن

علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي

المتوفى سنة ٧٢٩ هـ

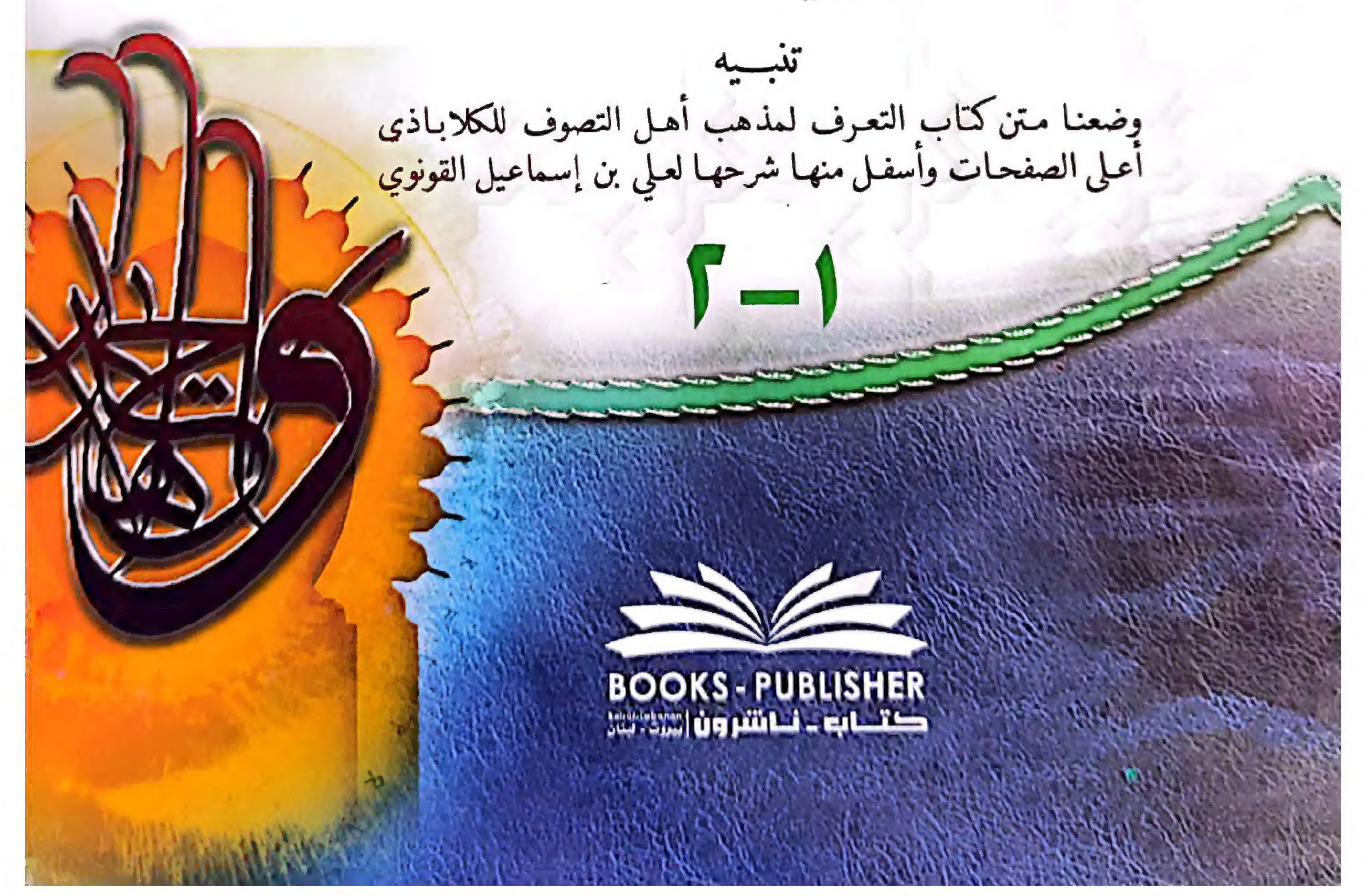
حققه وعلق عليه

السيد يوسف أحمد

تنبيه

وضعنا متن كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي
أعلى الصفحات وأسفل منها شرحها لعلي بن إسماعيل القونوي

١ - ٢




شرح التعرف
لمذهب أهل التصوف

ŠARḤ AT-TA'ARRUF LIMADHAB 'AHL AT-TAṢAWWUF

شرح التعرّف لمذهب أهل التصوّف

Author : *Al-Imam Ali ben Ismail Al-Qunawi Al-Shafei (D. 729 H.)*

المؤلف : الإمام علي بن إسماعيل القونوي الشافعي (ت ٧٢٩ هـ)

Editor : *Al-Sayed Yusuf Ahmad*

المحقق : السيد يوسف أحمد

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوّف

Year : *1440 H. - 2019 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

Pages: *584 (2 Parts in 1 Volume)*

عدد الصفحات : ٥٨٤ (جزءان بمجلد واحد)

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel :+961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh
E-mail: books.publisher@hotmail.com


ISBN 978-2-7451-8603-4



شرح التعرف لمذهب أهل التصوف

تأليف

الإمام علاء الدين أبي الحسن

علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي

المتوفى سنة ٧٢٩ هـ

حققه وعلق عليه

السيد يوسف أحمد

تنبيه

وضعنا متن كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي

أعلى الصفحات وأسفل منها شرحها لعلي بن إسماعيل القونوي

الجزء الأول



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، لك الحمد يا ربي كما يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمدًا يوافي نعمك ويكافئ مزيدك، الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد ﷺ سيد سادات البشر وأكرم بني ربيعة ومضر منقذ البشرية من الضرر، الهادي إلىٰ الحق والصراط المستقيم، نشهد لك يا رسول الله بأنك قد بلَّغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشف الله بك الغمة وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يحيد عنها إلَّا هالك فجزاك الله عنا خير ما جازى نبيًّا عن أمته وصلى الله عليك وعلى آلك الأطهار وصحابتك الكرام الأبرار وعلى من تمسك بسنتك وسار على نهجك إلىٰ يوم الدين.

ظهور التصوف:

حاول بعض الباحثين نسبة التصوف إلىٰ الصفاء أو رداء الصوف أو إلىٰ الكلمة اليونانية سوفيا ومعناها الحكمة أو إلىٰ أهل الصُّفّة الذين كانوا على عهد النبي ﷺ وكل هذا لم يثبت صحته، لأن التصوف لم يعرف في المجتمع الإسلامي في القرنين الأول والثاني الهجريين فقد ظهر التصوف إذًا في عصر ما بعد تبع الأتباع لأن في عصر النبي كما يقول القشيري في رسالته: إن المسلمين لم يتسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم: الصحابة ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس بعد ذلك وتباينت مراتبهم فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل طريق ادعوا فيهم زهادًا فانفرد خواص أهل السُّنّة المراعون أنفاسهم مع الله

الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة".

ويؤكد ابن تيمية ما ذهب إليه القشيري أن كلمة الصوفية ظهرت للمرة الأولى قبل انتهاء القرن الثاني الهجري حيث يقول: أما كلمة الصوفية بالجمع فقد ظهرت للمرة الأولى سنه (١٩٩) هـ إذ أطلقت فيما يرى المحاسبي والجاحظ على مدرسة تنسكية نشأت بالكوفة في ذلك العهد وكان أكبر زعمائها عايد البناني الذي توفي في بغداد سنة (٢١٠) هـ.

أسباب ظهور التصوف:

ظهر تيار يحاول مواجهة إقبال الناس على الدنيا بعد زمن الفتوحات وانشغال كثير من المسلمين عما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فبدأ بتيار ينادي بالزهد وظهر جماعات يسمون الفقراء وأخرى تسمى البكائين وثالثة تسمى المحبين وأشهرهم رابعة العدوية، ثم ظهر أقوام من الصوفية تكلموا في الجوع والفقر والوسواس والخطرات.

ويلخص ابن الجوزي رأيه في مراحل ظهور التصوف فيقول: إن التصوف بدأ أولًا في شكل زهد وعبادة وكان عند الصدر الأول منهم في شكل مجاهدة النفس والاستقامة وتقويمًا لها وحملها على الصراط حتى يصير تهذيبًا خُلقًا جبلية".

من هو الصوفي: عّرف علماء الصوفية ما هو الصوفي والتصوف فيقول الشبلي: الصوفي في كل عهد موفٍ، وقال: التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك، وقال أيضًا: الصوفي الذي لا يرى في الدارين مع الله غيره، وقال أيضًا: هو المنقطع عن الخلق غير متصل بالحق، وقال أيضًا: هو الذي لا يملك شيئًا ولا يملكه شيء، وقال: الصوفية أطفال في حجر الحق، وقال أبو علي الروذباري: الصوفي من رمى الحركات بالأفكار وسكن عن مجاري الأقدار ولم يتناول الرفق إلّا بمقدار، وسئل الحلاج عن التصوف وهو مصلوب فقال: أهونه ما ترى، وقال أيضًا: الصوفي الذي لا يقبله أحد ولا يقبل أحدًا وقال أيضًا: الصوفي هو المشير عن الله تعالى فإن الخلق أشاروا إلىٰ الله تعالى (انظر تهذيب الأسرار لعبد الملك النيسابوري ص٢٩).

عالم الصوفية:

للصوفية عالم خاص بهم إذ ربما يرى الصوفيون أشياء لا يراها غيرهم ولغتهم التي يعبرون بها هي لغة الرمز والإشارة إذ لكل سالك إلىٰ الله حياته الفردية الخاصة وعالمه الروحي الذي يعيش فيه وحده وهذه الطريقة في المعراج الروحي وأطلقوا عليه سلوك المعراج وقسموها إلىٰ مراحل أو منازل سموها المقامات وكما سموا الأحداث النفسية والمغامرات الروحية بالأحوال.

ولخص ابن خلدون في مقدمته أربعة موضوعات عنى بها الصوفية وهي:

١ - المجاهدات وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصل تلك الأذواق التي تصير مقامًا يترقى منه إلىٰ غيره.

٢ - الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وترتيب الأكوان في صدورها عن موجودها وتكونها.

٣ - التصرفات هي العوالم والأكوان بأنواع الكرامات أو خوارق العادات.

٤ - ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فمنكر، ومحسن، ومتأول.

وزاد الصوفية المتفلسفة عن المتصوفة السنيين بأمور منها: أنهم أصحاب نظريات أو مواقف في الوجود بسطوها في كتبهم وأشعارهم، وكذلك أسرفوا في الرمزية حتى بدا معه كلامهم غير مفهوم، واعتدادهم الشديد بأنفسهم وبعلومهم.

ولعل ما قدمناه يبين لماذا هذا التصوف مرفوض عند بعض الناس ولماذا أصحابه متهمون باتهامات خطيرة إلىٰ اليوم.

محاولات العلماء في تصحيح مسار التصوف: حاول بعض العلماء الكبار مناقشة ما ورد عن الصوفية وأبدوا اعتراضات على أقوالهم فهذا السراج الطوسي في كتابه اللمع يعترض على القول بالفناء فقال: "والذي أشار إلىٰ الفناء أراد به فناء رؤية الأعمال والطاعات ببقاء رؤية العبد لقيام الحق للعبد بذلك، وكذلك فناء الجهل بالعلم وفناء الغفلة بالذكر وفناء البشرية بالبشرية صفة من صفات البشرية، والذي

يتوهم أنه ذهاب النفس وزوال التلوين عن العبد وقتًا دون وقت وذهاب البشرية فقد غلط وجهل عن وصف البشرية".

ويناقش الأقوال التي انتشرت عن الفناء فيقول: "وقد غلط جماعة من البغدادين في قولهم إنهم عند فنائهم عن أوصافهم دخلوا في أوصاف الحق، وقد أضافوا أنفسهم بجهلهم إلىٰ معنى يؤديهم ذلك إلىٰ الحلول أو مقالة النصارى في المسيح عليه السلام، ولم يدرك القائلون بالفناء الذي هو فناء صفات البشرية أن البشرية لا تزول عن البشر وهم لا يفرقون بين البشرية وأخلاق البشرية فالأخلاق تتبدل وتتغير بما يرد عليها من سلطان أنوار الحقائق وصفات البشرية إذا تغيرت فليست هي عين البشرية" إلىٰ آخر كلامه في ذلك.

الكلاباذي وتصحيح التصوف: وينضم الكلاباذي إلىٰ قائمة المعترضين على انحراف التصوف محاولًا توجيه التصوف إلىٰ الكتاب والسُّنّة، والابتعاد عن الشطح والأحوال التي أوصلت التصوف إلىٰ اعتناق كثير من أفكار فرق الباطنية، وقدم الكلاباذي كتابًا أسماه "التعرف لمذهب أهل التصوف" والذي يعد من أقدم وأدق وأنقى وأصفى ما كتب عن التصوف، فنراه يصحح مفهوم الفناء بقوله: "فالفناء هو أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ ويسقط عنه التمييز، فناء عن الأشياء كلها شُغلًا بما فنى به، كما قال عامر بن عبد الله: ما أبالي امرأة رأيت أم حائطًا، والبقاء الذي يعقبه هو أن يفنى عَمَّا له ويبقى بما لله". ثم يعرف الكلاباذي البقاء الصوفي بقوله: هو أن تصير الأشياء كلها شيئًا واحدًا فتكون كل حركاته في موافقات الحق دون مخالفاته، فتكون فانيًا عن المخالفات باقيًا في الموافقات، فيكون ما نُهي عنه كما أُمر به، ولكن لا يعني أن لا يجري عليه إلَّا ما أمر به وما يرضاه الله تعالى دون ما يكره ويفعل ما يفعل لله لا حظ له فيه في عاجل أو آجل، فالفناء كما يراه الكلاباذي: فناء في طاعة الله تبارك وتعالى والابتعاد عن معصيته والبقاء في مرضاته والالتزام بحدوده، وليس في هذا الفهم أدنى شبهة بل نراه يحاول تصحيح مفاهيم الفناء التي ابتدعها الحلاج وغيره من زعماء الشطط والزيغ.

أهمية كتاب "التعرف لمذهب أهل التصوف":

يعتبر هذا الكتاب أقدم موسوعة علمية في التصوف وفي ذلك يقول الشيخ

عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله: وإن من أخلد ما كتب عن التصوف والصوفية "كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف" للإمام العالم العارف تاج الإسلام أبي بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي المتوفى (٣٨٠) هـ وهو من أقدم وأدق وأنقى وأصفى ما كتب عن هذا العلم ورجاله، وقد كتبه العارف الكلاباذي في العصر الذهبي للتصوف في أوائل القرن الرابع الهجري، والذي بلغ فيه التصوف كماله العلمي والفني، واستكمل فيه التصوف علومه ومناهجه وآدابه وسلوكه ومقاماته، وجاء كتاب الكلاباذي صورة كاملة لعصره الذهبي، بل صورة للتصوف في أعلى ذراه وأنقى موارده وأهدى معارجه، فالكتاب بعد هذا صورة ورسالة يقوم على منهج وغاية في الدقة والأمانة، وبراعة علمية وكفاءة فنية يزينه ويجليه أسلوب عبقري فيه إشراق ومرونة لا يعرف الحشو والتطرف ولا البهرج المتكلف بل يقصد إلىٰ غايته بأرشق الكلمات وأحلاها وأعلاها من غير إسراف أو تطويل أو خروج عن الهدف والمنهج ولهذا كان هذا الكتاب مع قلة صفحاته موسوعة علمية صوفية كبرى يُغني عن غيره من الموسوعات الكبرى حتى قال علماء التصوف القدامى لولا التعرف لما عرف التصوف.

انظر تقديم عبد الحليم لكتاب (التعرف) (ص١١).

ترجمة للكلاباذي:

لم أجد له ترجمة إلَّا في كتاب الأعلام للزركلي فقال هو الإمام أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي، كان من حفاظ الحديث من أهل بخارى له كتاب بحر الفوائد ويعرف بمعاني الأخبار مطبوعًا، جمع فيه (٥٩٢) حديث، وكتاب التعرف لمذهب أهل التصوف.

شرح كتاب "التعرف لمذهب أهل التصوف":

قام الإمام علاء الدين القونوي أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي بشرح كتاب "التعرف لمذاهب أهل التصوف" والذي وصلت أبوابه إلىٰ خمسة وسبعين بابًا ناقش فيها مسائله في أسلوب بديع موضحًا بعض المسائل مستشهدًا ومفسرًا لما ورد بالآيات والأحاديث وكذلك بعض الألفاظ في المتن أوضحها ليسهل على المطلع على كتابه الوصول لما يقصد من معناها.

ترجمة لمصنف كتاب "شرح التعرف لمذهب أهل التصوف":

هو الإمام علاء الدين القونوي أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي، ولد بمدينة قونية في سنة (٦٦٨) هـ واشتغل هناك، وقدم دمشق سنة (٦٩٣) هـ وهو معدود من الفضلاء فازداد بها اشتغالًا، وسمع الحديث وتصدر للاشتغال بجامعها ودرس بالإقبالية ثم سافر إلىٰ مصر فدرَّس بها في عدة مدارس كبار وولي مشيخة الشيوخ بها وبدمشق ولم يزل يشتغل بها وينفع الطلبة إلىٰ أن قدم دمشق قاضيًا عليها في سنة (٧٢٧) هـ.

وله تصانيف في الفقه وغيره، وكان يحرز علومًا كثيرة منها النحو والتصريف والأصلان والفقه وله معرفة جيدة بكشاف الزمخشري وفهم الحديث وفيه إنصاف كثير، وأوصاف حسنة وتعظيم لأهل العلم، وخرجت له مشيخة سمعناها عليه.

وكان يتواضع لشيخان المزي كثيرًا، وقد توفي ببستانه بالسهم يوم السبت بعد العصر رابع عشر ذي القعدة وصلي عليه من الغد ودفن بسفح قاسيون وذلك في سنة (٧٢٩) هـ.

(انظر البداية والنهاية لابن كثير ص١٦٩).

فقال في معجم المؤلفين (٧/ ٣٧):

علي القونوي (٦٦٨ ـ ٧٢٩) هـ.

علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي علاء الدين، أبو الحسن، فقيه متكلم أصولي أديب، صوفي، ولد بقونية من بلاد الروم، ثم قدم القاهرة، ثم دمشق، وولي قضاء الشام، وتوفي بدمشق في ذي القعدة.

من تصانيفه:

شرح الحاوي الصغير في فروع الفقه الشافعي، مختصر منهاج الدين للحليمي في شعب الإيمان، وشرح التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، ومصنف في حياة الأنبياء، والشافعي في الأصول، وله شعر.

ترجمته:

الدرر الكامنه (٣/ ٢)، طبقات الشافعية للسبكي (١٤٤، ١٤٥)، البداية والنهاية لابن كثير (ص١٦٩)، مرآة الجنان (٤/ ٢٨٠، ٢٨١)، شذرات الذهب (٦/ ٩٠، ٩٢)، هدية العارفين (١/ ٧١٧)، كشف الظنون (١/ ٤١١، ٤٢٠، ٦٢٥).

خطة العمل بكتاب "شرح التعرف لمذهب اهل التصوف":

قمنا بتوفيق الله بضبط النص وتفسير بعض الآيات الواردة في بعض ما ورد من قصص تخدم النص، وتخريج الأحاديث الواردة مع الشرح لها من كتب الشرح مثل شرح صحيح مسلم للإمام النووي، وما ورد من شرح لأسماء الله الحسنى، وبيان ما ورد من ألفاظ للصوفية من كتاب المعجم الصوفي للدكتور عبد المنعم الحفني، مع الاستعانة ببعض الكتب التي تكلمت عن معتقدات الصوفية في الولاية والكرامات وغيرها، والله أسأل أن يجعل ما قمنا به في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم راجيًا المولى أن يغفر لنا ما كان منا من تقصير أو زلل فالكمال لله وحده وما زلنا طلابًا للعلم إلىٰ أن يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

ولا شك أن المسلمين ينشطون إلىٰ كل مكان يذكر فيه مناقب رسول الله ﷺ، وقد استغلت بعض الصوفية ذلك عند جمهور المسلمين، فمجلس الذكر فيه ذكر لله تعالى وصلوات على رسوله ﷺ فكيف يعترض الناس على ذلك أو يتجرأ بعضهم لنقد هؤلاء، وحقيقة الأمر أن اجتماعات هؤلاء الصوفية وموالدهم حافلة بالأفكار الباطنية والمفاهيم الفلسفية البعيدة كل البعد عن طريقة رسول الله ﷺ وسنته الغراء.

فإذا تتبعنا أورادهم المنتشرة بين أيديهم وتوصلنا إلىٰ الأسرار المرموز لها في الأوراد فإنها لا تعبر إلَّا عن فلسفة الوحدة ولا مجال هنا لحسن النية في الدفاع عن هذه المصطلحات والألفاظ التي اختارها المشايخ من أفكار ابن عربي والجيلي وغيرهما من أهل الضلال والإضلال.

ولذا فلا سبيل إلَّا الرجوع إلىٰ أصول الإسلام ومنابعه الأساسية وهي الكتاب والسُّنّة فلا سبيل إلىٰ الله إلَّا عن طريق اتباع ما اتفق عليه أهل السُّنّة والجماعة فهم

الفرقة الناجية يوم القيامة وهو ما فسره رسول الله ﷺ بقوله: «**هو ما عليه أنا وأصحابي**».

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أنْ يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وكافة المسلمين أمواتًا وأحياءً.

ولا يفوتني أن أترحم على أبي وأمي مرددًا قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤] سائلًا المولى أن يجمعنا بهم في مستقر رحمته.

وأهدي عملي لزوجتي حسنة الدنيا لما قامت به من العون والمساعدة في توفير الراحة لبيتنا المتواضع لإخراج هذا العمل داعيًا المولى العظيم أن يبارك فيها ويجعله في ميزان حسناتها.

وأهدي أيضًا لفلذات الأكباد ابنتي الكبرى رنا داعيًا الله لها بالتوفيق في حياتها الزوجية الجديدة، وكذلك لأخويها أحمد ومحمد وراجيًا الله العلي الأعلى أن يوفقهم للنجاح والفلاح بطاعة الله ورسوله.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]

وصلّى الله وبارك على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحقق

السيد يوسف أحمد

في يوم الخميس الخامس عشر

من شهر رمضان المبارك

سنة (١٤٣٦) هـ/٢ من يوليو ٢٠١٥م

نماذج من صور المخطوط


هذا المجموع مشتمل على مؤلفات منها

كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف

ومنها أربعون حديثا عشارية

للبرهان القلقشندي رحمه الله

ومنها أربعون حديثا أيضا

للامام الصابوني

صورة الصفحة الاولى من كتاب التعرف

بسم الله الرحمن الرحيم ٥ رب يسر وأتمم بخير يا كريم
الحمد لله المحتجب بكبريائه عن درك العيون، المتعزز بجلاله وجبروته عن
لواحق الظنون، المتفرد ببقائه عن شبه ذوات المخلوقين، المتنزه بصفاته
عن صفات المحدثين، المتقدم الذي لم يزل والباقي الذي لا يزال المتعالي
عن الأشباه والأضداد والأشكال، الدال على وحدانيته بأعلامه وإبانته
المتعرف إلى أوليائه بأسمائه ونعوته وصفاته، المقرب أسرارهم منه، والعاطف
بقلوبهم عليه، المقبل عليهم بلطفه، والجاذب لهم إليه، طهرهم وأدناهم من النفوس
أسرارهم، وأجل عن موافقة الرسوم أقدارهم، اصطفى من شاء منهم لرسالته
وانتخب من أراد لحجته وسفارته، أنزل عليهم كتبًا أمر فيها ونهى ووعد من
أطاع وأوعد من عصى، وأبان فضلهم على جميع البشر، ورفع درجاتهم عن
أن يلحقها قدر ذي خطر، ختمهم بمحمد عليه وعليهم السلام، ونسخ بالإيمان به
وبهم والإسلام كل دين خالف الأديان، وأنه خير الأمم، لا نبي بعده ولا
أمة بعد أمته، جعل فيهم صفوة وأخيارًا ونجباء أبرارًا سبقت لهم منه
الحسنى، وألزمهم كلمة التقوى، وعزف نفوسهم عن الدنيا، صدقت مجاهداتهم
فنالوا علوم الدراسة، وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة، وصفت
أسرارهم فأكرموا بصدق الفراسة، ثبتت أقدامهم، وزكت أفهامهم، وأنارت
أعلامهم، فهموا عن الله، وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله، خرقت
الحجب أنوارهم، وجالت حول العرش أسرارهم، وجلت عند ذي العرش
أخطارهم، وعميت عما دون العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون

في

صورة الصفحة الثانية من كتاب التعرف

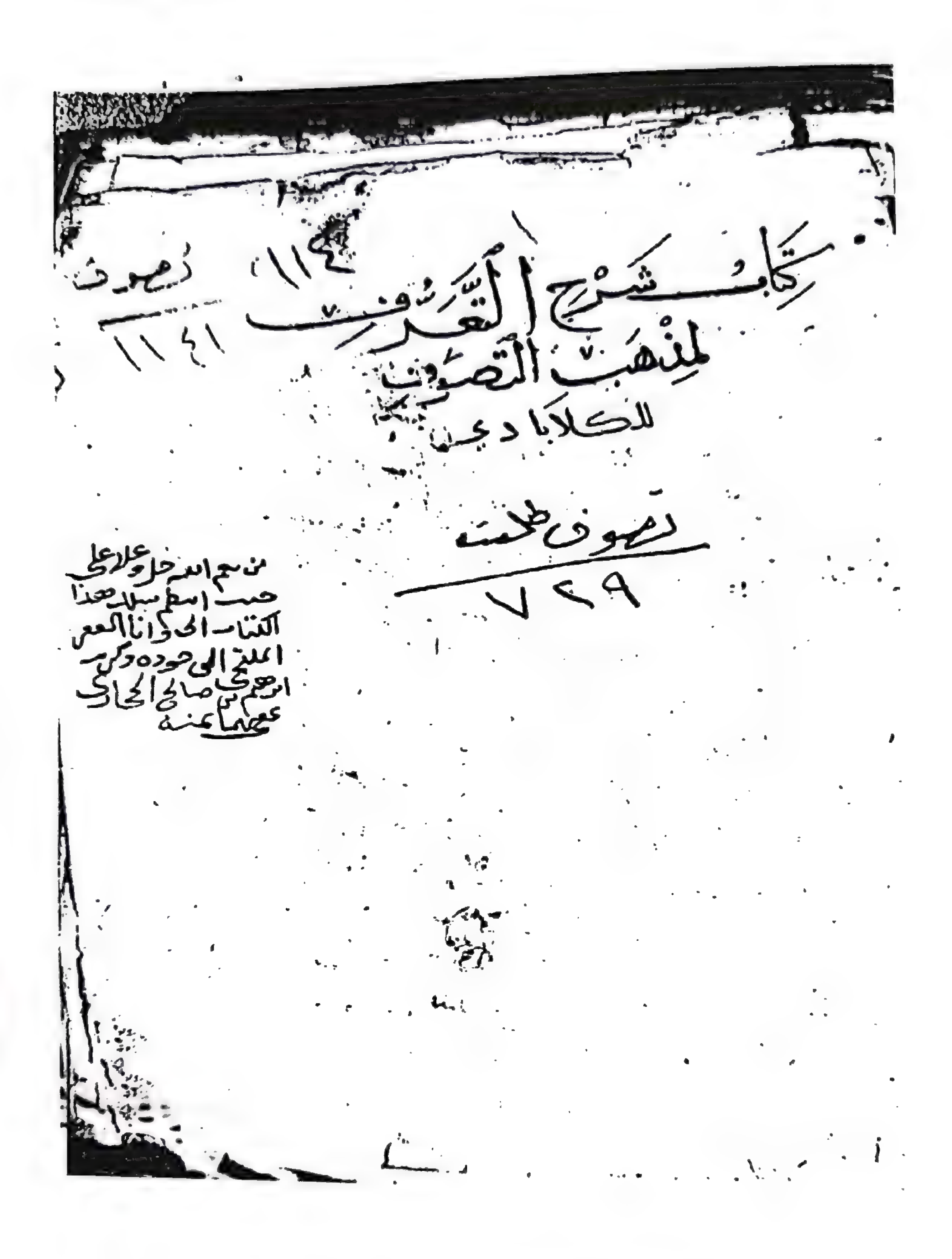
باب في السماع

السماع استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار
الأسرار لذوي الأشغال وانما اختير على غيره مما تستروح اليه الطباع
لبعد النفوس عن التشبث به والسكون اليه لأنه في القصائد والى
القضاء يعود ويأتي الحق والمشاهدات استغنوا عنها بالأسباب
الحاملة لهم من تنزه أسرارهم في مبادي الكشوف وسمعت
فارس يقول قلنا لفوطة الموصلي وكان لزم سارية في جامع بغداد
اربعين سنة ها هنا قوال طيب ندعوه لك فقال انا اجل من ان
يستفزني نغمة او يشغل في قول انا وردكله فالسماع اذا قرع الاسماع
اثار كوامن اسرارها فمن بين مضطرب بالعجز عن حمل الوارد ومن بين
متمكن بالقوة للحال قال ابو محمد رويم بن محمد ان القوم سمعوا الذكر الاول
حين خاطبهم بقوله الست بربكم وكمن ذلك في اسرارهم كما كمن ذلك
في عقولهم فلما سمعوا الذكر ظهرت كوامن اسرارهم فانزعجوا كما ظهرت كوامن
عقولهم عند اخبار الحق عن ذلك فصدقوه سمعت ابا القاسم
البغدادي يقول السماع على ضربين فطائفة سمعت الكلام فاستخرجت
منه عبرة وهذا لا يسمع الا بالتمييز وحضور القلب وطائفة سمعت النغمة
وهي قوت الروح فاذا ظفر الروح بقوته اشرف على مقامه فاعرض عن
تدبير الجسم فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة قال ابو عبد الله
النباجي السماع ما اثار فكرة او اكسب عبرة وما سواه فتنة وقال الجنيد رحمه

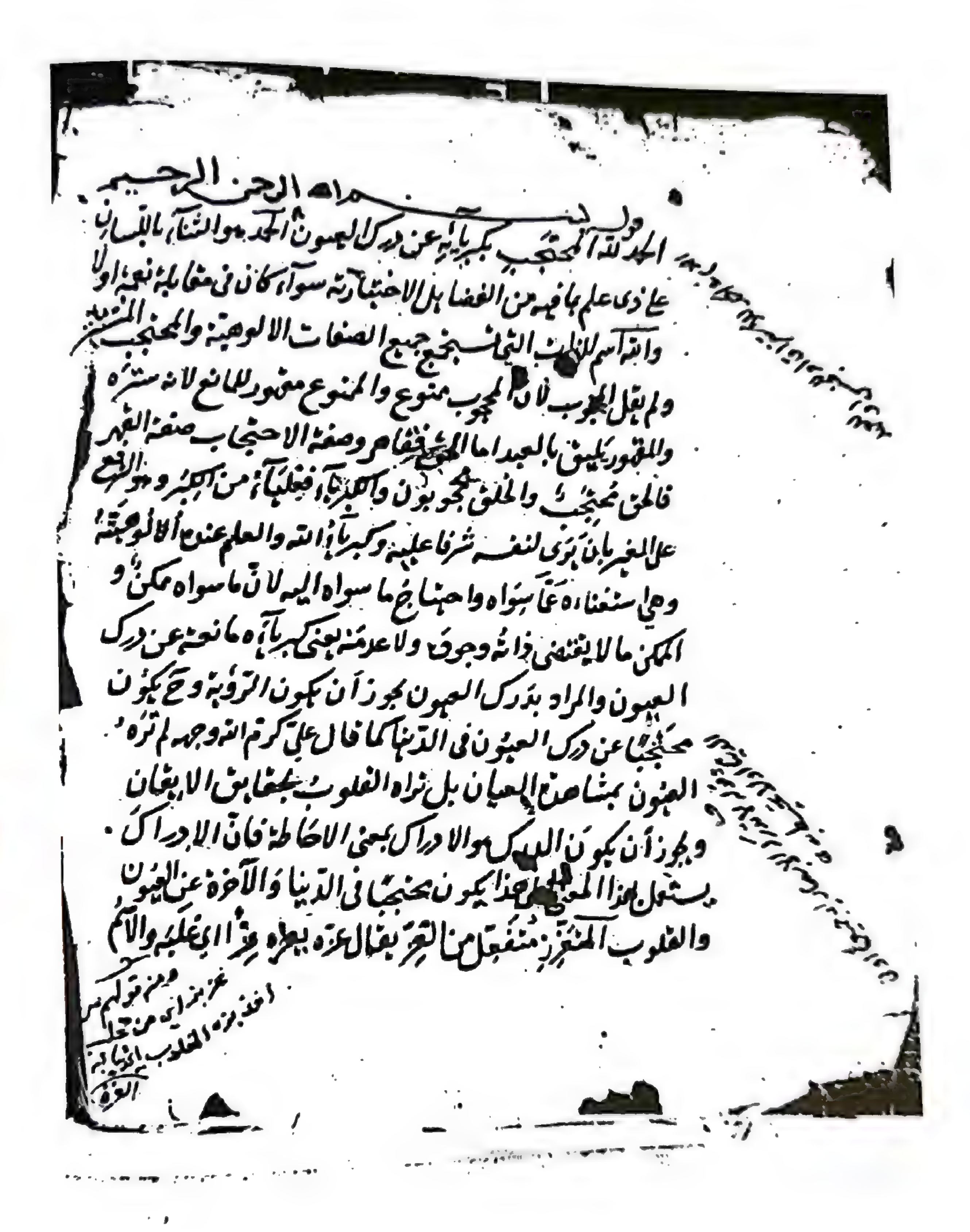
تزل على المعتبر في ثلثه مواضع عند الاكل فانه لا ياكل الا على حاجة
وعند الكلام فانه لا يتكلم الا للضرورة وعند السماع فانه لا يسمع الا عن
وجد وفيما ذكرناه كفاية لمن تامل وتدبره وتفكره والحمد لله على ما وفق
ونستغفر من زلة او تقصير وتحريف ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وهذا اخر الكتاب والله تعالى اساله ان يلهمنا طريق
الصواب انه الملك الوهاب

وافق الفراغ منه في سابع عشر شهر ربيع الاخر
سنة تسع وخمسين وثمانمائة على يد كاتبه تراب
اقدام الفقراء احمد بن محمد [illegible] الاسدي الوفائي
لطف الله به ونفع الله به ما الكرم وما [illegible]
والمسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات
بحمد الله
والحمد لله وحده والصلاة والسلام [illegible] الاكملان على
سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل

صورة الصفحة الرابعة من كتاب التعرف


كتاب شرح التعرف
لمذهب التصوف
للكلاباذي

صورة الصفحة الاولى من كتاب شرح التعرف



بسم الله الرحمن الرحيم

قوله الحمد لله المحتجب بكبريائه عن درك العيون الحمد هو الثناء باللسان
على ذي علم بما فيه من الفضائل الاختيارية سواء كان في مقابلة نعمة أو لا
والله اسم للذات الذي يجمع جميع الصفات الالوهية والمحتجب المتنزه
ولم يقل المحجوب لأن المحجوب ممنوع والممنوع مقهور للمانع لأنه ستره
والمقهور يليق بالعبد أما الحق فقاهر وصفة الاحتجاب صفة القهر
فالحق محتجب والخلق محجوبون والكبرياء فعلياء من الكبر وهو الترفع
على الغير بأن يرى لنفسه شرفا عليه وكبرياء الله والعلم عنوان الالوهية
وهي استغناؤه عما سواه واحتياج ما سواه إليه لأن ما سواه ممكن و
الممكن ما لا يقتضي ذاته وجوده ولا عدمه يعني كبرياؤه مانعة عن درك
العيون والمراد بدرك العيون يجوز أن يكون الرؤية وح يكون
محتجبا عن درك العيون في الدنيا كما قال علي كرم الله وجهه لم تره
العيون بمشاهدة العيان بل تراه القلوب بحقائق الإيمان
ويجوز أن يكون الدرك هو الإدراك بمعنى الإحاطة فإن الإدراك
يستعمل بهذا المعنى فعلى هذا يكون محتجبا في الدنيا والآخرة عن العيون
والقلوب المتعزز متفعل من التعزز يقال عزه يعزه عزا أي غلبه والاسم

صورة الصفحة الثانية من كتاب شرح التعرف

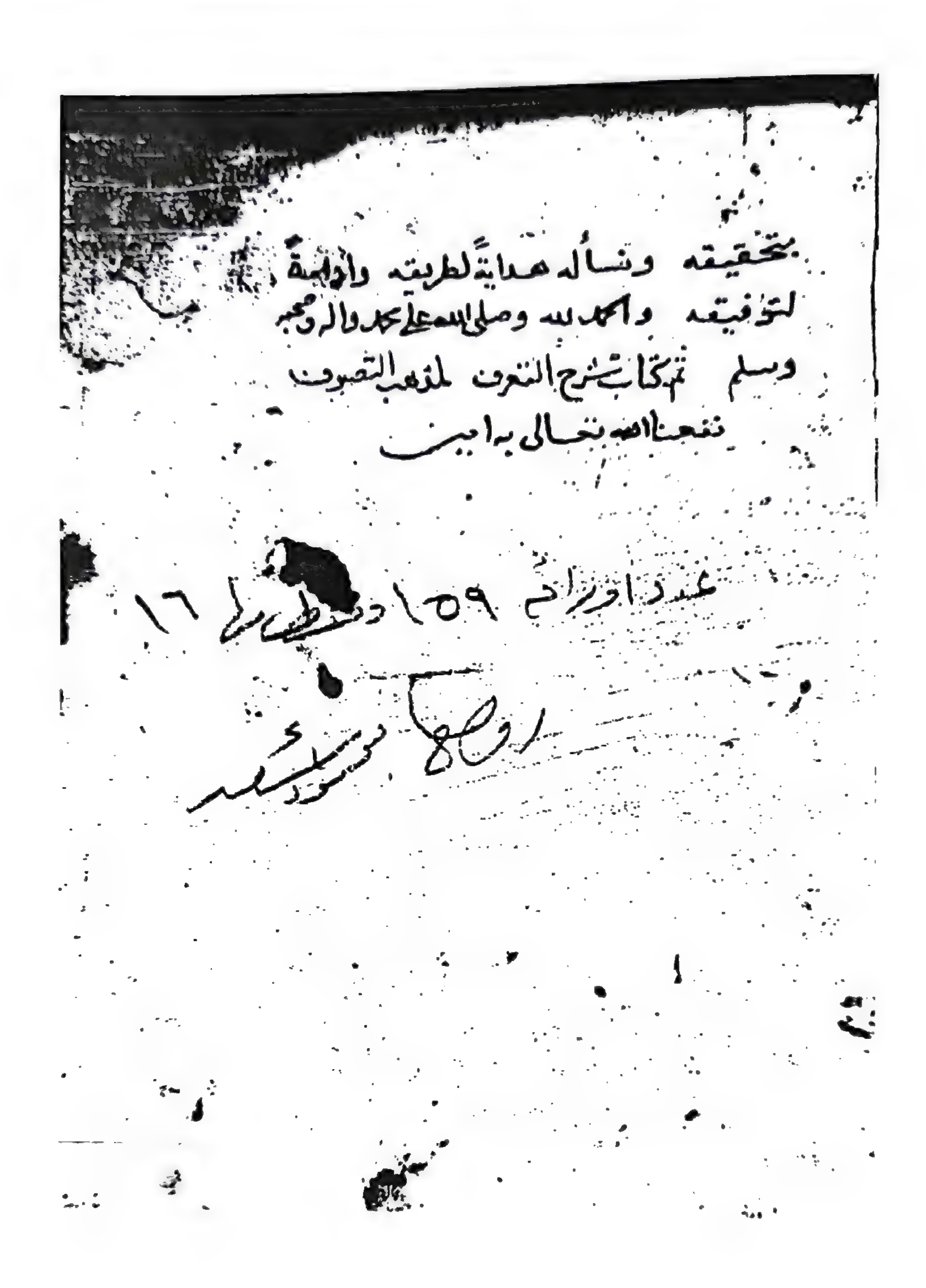
العزة وهي القوة والغلبة وتعزز الرجل اي صار عزيزا والمتعزز ههنا
معناه العزيز القوي الغالب بما بين الصفتين اعني الجلال والجبروت
عن ان يلحقه ظن فان الظن عندهما بين الصفتين يهزم فلا يلحقه وما
يلحقه الظن فهو ما وراءه والجلال هو نعت القهر من الحضرة الالهية
والجبروت فعلوت من الجبر بمعنى القهر وهو القاهر لما سواه او
جودا وعدما اي يدخله في الوجود بالقهر ويعدمه بالقهر وبمعنى جبر
الكسر اي اصلاحه يعني يجبر تقصير المطيعين وذنوب العاصين اي
يعفوها بفضله فهو له المتفرد بذاته عن شبه ذوات المخلوقين
المتنزه بصفاته عن صفات المحدثين يعني ذاته لا تشبه ذوات المخلو
لا غني بذاته بل هو غني مخلوق فانه به فلا تشبه ذاته ذواتهم ولا تشبه صفا
ايضا صفات المحدثين لان صفاته تعالى قديمة مقتضاة لذاته وصفة
المحدث حادثة محتاجة الى [illegible]
صفة المحدث عرض والعرض عند بعض المتكلمين لا يبقى زمانين وصفاته
قديمة ابدية فكيف يشبه ما لا يبقى زمانين [illegible] القديم الذي لم يزل

صورة الصفحة الثالثة من كتاب شرح التعرف



السماع على ذلك الوقت وطائفة أخرى سمعت النغمة ولا يكون لهم حظ من معنى
الكلام ولكن النغمة قوت وغذاء للروح فإذا وجد الروح قوته أعرض
على حفظ ما يشتغل به فأعرض عن تدبير الجسم [illegible] الإعراض اضطراب
الجسم وحركته ويدل ذلك ما قيل إن الله تعالى خلق الأرواح بالطبيعة قبل
[illegible] بتلك الذكر ومقامات الأرواح مختلفة
[illegible] هذا السماع ووصلت النغمة [illegible] القوة والنشاط في
الشوق [illegible] فيشتغل بلذة ذلك المقام فيغفل عن النفس [illegible]
[illegible] الاضطراب إنما يكون بسبب إعراض الروح عنها
فيما أثار ذكره [illegible] الحق وصفاته [illegible]
من الخوف من الله تعالى [illegible] لا يأكل إلا عند الحاجة [illegible]
[illegible] الله تعالى فيأكل للقوة على الخدمة ولا يتكلم إلا للضرورة [illegible]
الحقيقي [illegible] لا يتعلق إلا بالحق [illegible] فلا يتكلم إلا [illegible] وذلك
عند الضرورة [illegible] لأن من [illegible] الحق [illegible] فإنه لا يسمع إلا
عن وجد وذلك يدل على [illegible] أحدهما وجود الوجد [illegible] السماع و
والثاني وجود سماع الفقير عند الوجد بالمفهوم يدل على عدم نزول
الرحمة [illegible] لم يكن عن وجد وفيما ذكرنا كفاية لمن تدبر والحق حقيق

صورة الصفحة الرابعة من كتاب شرح التعرف



بتحقيقه ونسأله هداية لطريقه وإدامة
لتوفيقه والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم تم كتاب شرح التعرف لمذهب التصوف
نفعنا الله تعالى به آمين

صورة الصفحة الخامسة من كتاب شرح التعرف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله المحتجب بكبريائه عن درك العيون.

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله[1] **المحتجب بكبريائه عن درك العيون** (اللام في الحمد للاستغراق أو للجنس أو للعهد)[2]، الحمد هو الثناء باللسان علىٰ ذي علم بما فيه من الفضائل الاختيارية سواء كان في مقابلة نعمة أَوْ لَا.

والله اسم للذات التي تستجمع جميع الصفات الألوهية والمحتجب المستتر.

ولم يقل المحجوب لأن المحجوب ممنوع، والممنوع مقهور للمانع لأنه ستر.

والمقهور يليق بالعبد، أما الحق فقاهر، وصفة الاحتجاب صفة القهر.

فالحق محتجب، والخلق محجوبون، والكبرياء فعلياء من الكبر، وهو الترفع علىٰ الغير، بأن يرى لنفسه شرفًا عليه.

وكبرياء الله[3] والعلم عنده ألوهيته، وهي استغناؤه عما سواه واحتياج ما سواه إليه، لأن ما سواه ممكن، والممكن ما لا يقتضي ذاته وجوده ولا عدمه، يعني كبرياءه

---

(١) قال ابن جرير في معنى الحمد لله أي الشكر لله خالصًا وقال: الحمد لله ثناء اثنى به علىٰ نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال قولوا: الحمد لله قال: وقد قيل إن قول القائل الحمد لله ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه، ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلًا من الحمد والشكر مكان الآخر ونقل السلمي هذا المذهب عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية. تفسير ابن كثير (١/ ٢٢)

(٢) وجدناه بالهامش.

(٣) يقول الله عز وجل: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما أدخلته ناري». =

المتعزز بجلاله وجبروته عن لواحق الظنون.

مانعة عن درك العيون، والمراد بدرك العيون، يجوز أن يكون الرؤية (وقوله: لا تدركه الأبصار، أي جميعها، أو في الدنيا أو لا تحيط به)[١].

وحتى يكون محتجبًا عن درك العيون في الدنيا، كما قال قال علي كرم الله وجهه: لم تره العيون بمشاهدة العيان، بل تراه القلوب بحقائق الإيقان.

ويجوز أن يكون الدرك هو الإدراك بمعنى الإحاطة، فإن الإدراك يستعمل بهذا المعنى، وعلى هذا يكون محتجبًا في الدنيا والآخرة عن العيون والقلوب.

المتعزز: متفعّل من العز، يقال عزه يعزه عِزًّا، أي غلبه (ومنه قولهم: من عزَّ بزَّ؛ أي من غلب أخذ بزة المغلوب أي . . . .)[٢].

والاسم العزة وهي القوة والغلبة، وتعزز الرجل أي جعله عزيزًا.

والمتعزز ههنا معناه العزيز القوي الغالب بهاتين الصفتين أعني الجلال والجبروت عن أن يلحقه ظن، فإن الظن عند هاتين الصفتين ينهزم، فلا يلحقه.

وما لحقه الظن فهو ما وراءه.

والجلال[٣] هو نعت القهر من الحضرة الإلهية، والجبروت فعلوت من الجبر بمعنى القهر.

= يقول النفري: أوقفني الحق في كبريائه وقال لي: أنا الظاهر الذي لا يكشف ظهوره، وأنا الباطن الذي لا ترجع البواطن بدرك من علمه وقال لي الكبرياء هو العز، والعز هو القرب، والقرب فوت من علم العالمين، والذي يتكبر يستحق من الله تعالىٰ أن لا يفهمه العلم ولا يفقهه في الدين قال تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

المعجم الصوفي (ص٢٠٧)

(١) وجدناه بالهامش.

(٢) وجدناه بالهامش وآخره كلمه غير واضحة.

(٣) الجلال صفة القهر ويطلق أيضًا علىٰ الصفات السلبية مثل أن لا يكون الله تعالىٰ جسمًا ولا جسمانيًا ولا جوهرًا ولا عرضًا ونحو ذلك من السوالب، والجلال صفة العظمة والكبرياء والمجد والسناء وكل جمال له فإن شدة ظهوره يسمى جلالاً كما أن كل جلال له فإنه في مبادي ظهوره علىٰ الخلق يسمى جمالاً.

المعجم الصوفي (ص٦٥)

المتفرد بذاته عن شبه ذوات المخلوقين. المتنزه بصفاته عن صفات المحدثين. القديم الذي لم يزل، والباقي الذي لا يزال.

وهو القاهر لما سواه وجودًا وعدمًا، أي يدخله في الوجود بالقهر ويعدمه بالقهر.

(يطلق العزيز على من جمع أربع صفات: صعوبة الوصول إليه، والقهر والغلبة لغيره، وقلة النظير، وشدة الحاجة إليه، وليس ذلك علىٰ الكمال إلّا الله)[١].

وبمعنى جبر الكسر، أي إصلاحه، يعني يجبر تقصير المطيعين وذنوب العاصين، أي يعفوها بفضله.

قوله: المتفرد بذاته عن شبه ذوات المخلوقين، الغني بذاته، بل لو غنى مخلوق فإنه به فلا يشبه ذاته ذواتهم.

ولا تشبه صفاته أيضًا صفات المحدثين، لأن صفاته تعالىٰ قديمة مقتضاة لذاته[٢].

وصفة المحدث حادثة محتاجة إلىٰ الله تعالى، فبينهما بون عظيم وبعد بعيد.

وأيضًا صفة المحدث عرض، والعرض عند بعض المتكلمين لا يبقى زمانين.

وصفاته قديمة أبديه فكيف تشبه ما لا يبقى زمانين.

قوله: القديم الذي لم يزل القديم ههنا هو الموجود لا أول له.

والذي وجوده بذاته لا يزال في الماضي ولا يزال في المستقبل أي هو أزلي أبدي.

---

(١) وجدناه بالهامش.

(٢) القديم يطلق علىٰ الموجود الذي لا يكون وجوده من غيره، وهو القديم بالذات، ويطلق القديم علىٰ الموجود الذي ليس وجوده مسبوقًا بالعدم، وهو القديم بالزمان، وكل قديم بالذات قديم بالزمان، وليس هذا سوى الله، وقدمه إنما هو الحكم اللازم للوجوب الذاتي وإلّا فليس بينه سبحانه وتعالى وبين الخلق زمان ولا وقت جامع بل تقدم حكم وجوده علىٰ وجود المخلوقات هو المسمى بالقدم.

المعجم الصوفي (ص١٩٩، ٢٠٠)

المتعالي عن الأشباه والأضداد والأشكال. الدال لخلقه علىٰ وحدانيته بأعلامه وآياته.

قوله: المتعالي من اسم فاعل من التعالي، وهو الارتفاع يعني المرتفع.

عن الأشباه والأضداد والأشكال بمعنى أنه لم يكن له شيء من هذه الثلاثة.

أما أنه ليس له شبه بحسب الذات ولا بحسب الصفات ولا بحسب الأفعال.

فأما بحسب الذات فلقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وأما بحسب الصفات[1] فلما مرّ، وأما بحسب الأفعال فلأنه خالق السموات والأرض وما بينهما ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

وأما أنه ليس له ضد فلأن الضد يطلق علىٰ موجود في الخارج مساوٍ في القوة لموجود آخر ممانع له، وعلى موجود مشارك لموجود آخر في الموضوع معاقب له.

ولا ضد له بالمعنيين إذ لا مساواة بينه وبين غيره في القوة، لأن وجود غيره منه، وليس بعرض فلا يشارك غيره في الموضوع.

وأما أنه ليس له شكل فلأن الشكل يحصل من إحاطة حدٍ أو حدودٍ.

وهو منزه عن أن يحيط به شيء، وإلّا لكان ذا مقدار فيكون مركبًا محتاجًا إلىٰ غيره.

قوله: الدال لخلقه علىٰ وحدانيته بأعلامه وآياته الأعلام جمع علامة، وهي ههنا بقاء العالم علىٰ نظام واحد يدل علىٰ أنه واحد[2].

---

(١) صفات الله علىٰ الحقيقة هو بها موصوف وهي ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر، فهو سميع بصير علىٰ الحقيقة ليس كالإسماع والإبصار والأيدي والوجوه وليست بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء، وليست هي الله تعالىٰ وليس معنى إثباتها له أنه محتاج إليها وأنه يفعل الأشياء بها لكن معناها نَفي أضدادها وإثباتها في أنفسها وأنها قائمات به.

المعجم الصوفي (ص١٤٦)

(٢) الواحد هو المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله فهو واحد في ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يحل في محل واحد في صفاته لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء واحد في أفعاله لا شريك له ولا نظير. =

المتعرف إلىٰ أوليائه بأسمائه ونعوته وصفاته.

وإلَّا لفسدت السموات والأرض، وبالحقيقة الدال؛ وهو الله تعالىٰ، لأن الأعلام يشاهدها الكفار أيضًا.

والآيات جمع آية، وهي ههنا الحُجّة كما قيل ففي كل شيء له آية تدل علىٰ أنه واحد، وإلَّا لاجتمع مؤثران مستقلان علىٰ أثر واحد بالشخص وهو محال، الأعلام للعوام والحُجّة للخواص.

قوله: المتعرف إلىٰ أوليائه بأسمائه ونعوته وصفاته النعت[1] يقال للعدمي القائم بالغير مثل الغني والغنيّ والأول.

والصفة للوجودي القائم بالغير مثل الحي والعالم.

والاسم هو الذات الموصوفة بصفة، كاللطيف والقهار وقال: قبل ذلك بأعلامه وآياته، وههنا بأسمائه ونعوته وصفاته، لأن تعرفه علىٰ هذا الوجه إنما يكون لخواص خواص عباده وهم أنبياؤه وأولياؤه.

ومعنى معرفتهم إياه بالاسم والنعت أو الصّفة أنهم بأسمائه التي ذكرها عرفوا مسماها، فمن اسم الله[2] عرفوا أنه المستحق للعبودية لا غير، فلم يعبدوا غيره، ولم

= قال بعض المشايخ: الواحد من الوحدة وهي النهاية التامة البريئة بكثرة ما دونها فيما هي نهايته ومن عرف أنه الواحد فرد له قلبه فكان واحدًا به وقد فسر قوله ﷺ: «**إن الله وتر يحب الوتر**» يعني القلب المنفرد له.

شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٣٥) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) يحتمل أن يكون النعت والوصف بمعنى واحد إلَّا أن الوصف يكون مجملًا، والنعت يكون مبسوطًا فإذا وصف جمع وإذا نعت فرق، والذات هي الشيء القائم بنفسه والاسم والنعت والصفة معالم للذات فلا يكون الاسم والنعت والصفة إلَّا لذي ذات، ولا يكون ذو ذات إلَّا مسمى منعوتًا موصوفًا وذلك أن القادر اسم من أسماء الله تعالى، والقدرة صفة من صفات الله تعالى، والقدير: نعت من نعوت الله تعالىٰ.

المعجم الصوفي (ص٢٤٥)

(٢) الله علم علىٰ الرب تبارك وتعالى ويقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات، وهو اسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل فذهب من ذهب من النحاه إلىٰ أنه اسم جامد لا اشتقاق له. =

المقرب أسرارهم منه، والعاطف بقلوبهم عليه.

يتذللوا، ولم يخضعوا إلّا له.

ومن نعت الغني عرفوا أنه لا يحتاج إلىٰ الغير، وما سواه محتاج إليه، فلم يطلبوا إلّا منه، ولم يلازموا إلّا بابه.

وكذا سائر النعوت، ومن صفته القدرة عرفوا أن ما سواه مقهور بقدرته، فلم يخافوا إلّا منه وكذا في سائر الصفات.

واتصفوا بالصفات التي لله بالقياس إلىٰ غيره.

فكانوا رحماء علىٰ الخلق غفارين للذنوب، ستارين للعيوب، قهارين علىٰ النفس.

وهكذا اتصفوا بمعاني أسمائه التي هي تسعة وتسعون اسمًا[1].

قوله: المقرب أسرارهم منه.

أي بواطنهم بقطع تعلقها عما سواه، **والعاطف بقلوبهم عليه**، أي المميل قلوبهم عليه.

=

وقد نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم، وروي عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة.

قال الخطابي ألا ترى أنك تقول يا الله ولا تقول يا الرحمن فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء علىٰ الألف واللام.

تفسير ابن كثير (١/ ١٩)

(١) حديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**».

قال النووي: اتفق العلماء علىٰ أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، قال الخطابي وغيره: وفيه دليل علىٰ أن أشهر أسمائه سبحانه وتعالى الله لإضافة هذه الأسماء إليه.

وقال الإمام أبو القاسم القشيري: فيه دليل علىٰ أن الاسم هو المسمى إذ لو كان غيره لكانت الأسماء لغيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

شرح مسلم للنووي (١٧/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية

المقبل عليهم بلطفه الجاذب لهم إليه. بعطفه طهر عن أدناس النفوس أسرارهم. وأجل عن موافقة الرسوم أقدارهم.

إما بأن جعل الله كل ما استأنسوا به بلاء عليهم ليفروا منه إلىٰ الله، ويلتجئوا إلىٰ بابه.

كالتجاء آدم عليه السلام بعد أن استأنس إلىٰ الجنة وصيرها عليه بلاء ومحنة.

وكالتجاء يعقوب عليه السلام إليه بعد أن استأنس إلىٰ يوسف، ففرق بينه وبينه.

وكالتجاء الرسول عليه الصلاة والسلام إليه بعد أن طمع في أهل مكة بأن آمنوا به ونصروه. فأخرجهم الله عليه، عليه الصلاة والسلام ليقطع الطمع عنهم ويتجرد[١] بالقلب إليه.

وإما بأن رفع الله ما استأنسوا به عنهم ليفروا إليه أراد أو لم يريدوا.

وإما بأن أراهم الله أحسن ما استأنسوا به فتركوه وفعلوا الأحسن.

قوله: المقبل عليهم بلطفه فجذبهم إليه.

اللطف ما يقرب العبد إلىٰ الطاعة ويبعده عن المعصية.

طهر عن أدناس النفوس أسرارهم.

أنهم لا يشغلون سرهم بمرادات النفس، ولكنهم مشغولون بموافقة الحق **وأجل عن موافقة الرسوم**[٢] أي رسوم الخلق وعاداتهم.

---

(١) التجريد هو خلو قلب العبد وسره عمّا سوى الله بمعنى أن يتجرد بظاهره عن الأعراض وبباطنه عن الأغراض وهو ألا يأخذ من عرض الدنيا شيئًا ولا يطلب عما ترك منها عوضًا من عاجل ولا آجل.

بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالىٰ لا لعلة غيره ولا لسبب سواه، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يدخلها والأحوال التي ينازلها بمعنى السكون إليها والاعتناق لها.

المعجم الصوفي (ص٤٨)

(٢) الرسم هو الخلق وصفاته، لأن الرسوم هي الآثار وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من أفعاله وإياه عنى من قال: الرسم نعت يجري في الأبد بما جرى في الأزل والرسم والوسم هما القدم والأزل، أو ما أحدثه وأجراه الأحد الصمد القديم وما حكم به في الأزل والأبد فالرسم هو ما رسم به ظاهر الخلق أو هو الظاهر المتحقق وأما الوسم فهو الصورة التي وسم بها الله تعالىٰ عباده في سالف علمه قبل أن تتحقق وتصبح رسمًا.

المعجم الصوفي (ص١٠٨)

اصطفى من شاء منهم لرسالته، وانتخب من أراد لوحيه وسفارته. انزل عليهم كتبًا أمر فيها ونهى، ووعد من أطاع وأوعد من عصى.

أبان فضلهم علىٰ جميع البشر، ورفع درجاتهم أن يبلغها قدر ذي خطر.

وسفارته أي بين الله وبين الخلق.

يقال سفرت بين القوم أسفر وسفارة بالكسر أصلحت بينهم.

والضمير في منهم في قوله: **منهم لرسالته**، يعود إلىٰ أوليائه.

قوله: أبان فضلهم علىٰ جميع البشر.

بأن أمرهم الله بدعاء الخلق إليه، وأمر الخلق بالاقتداء بهم، فيكون أجور كل واحد منهم مثل أجور جميع أمته سبب متابعة أمته له، وتبقى أجوره بحالها لقوله عليه الصلاة والسلام[(١)]: «**من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن لا ينقص من أجورهم شيء**»[(٢)].

قوله: ورفع درجاتهم من أن يبلغها قدر ذي خطر أي ذي شرف ومرتبة.

أي لا يبلغها ذو شرف ومرتبة، وختم الأنبياء بمحمد عليه الصلاة والسلام.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولقوله عليه الصلاة والسلام لعلي كرم الله وجهه: «**أنت مني بمنزلة هارون من**

---

(١) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه كتاب العلم حديث رقم (١٥)، وابن ماجة في سننه (٢٠٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦١، ٣٦٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٣٩٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١١٥، ٥/ ٢٦٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٩٤). والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ١٧٥).

(٢) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٣٠)، والترمذي في سننه (٣٧٣٠، ٣٧٣١)، وابن ماجة في سننه (١٢١)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٩، ٣/ ٣٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٣٤٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٠٩) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٠٧٨)، والطبراني في المعجم الصغير (٢/ ٢٢، ٥٤)، والخطيب في تاريخ بغداد (١/ ٣٢٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٦٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٢/ ٦١).

ختمهم بمحمد عليه وعليهم الصلاة والسلام وأمر بالإيمان به والإسلام. فدينه خير الأديان ....

موسى إلّا أنه لا نبي بعدي»[١]. ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا الحاشر يحشر الناس علىٰ عقبي، وأنا العاقب لا نبي بعدي**»[٢] **وأمر بالإيمان به وبهم وبالإسلام لقوله تعالىٰ:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وقوله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قوله: فدينه خير الأديان.

الفاء في فدينه يدل علىٰ السببية، أي لأن الله تعالىٰ ختم الأنبياء بمحمد عليه الصلاة والسلام.

يلزم منه أن يكون دينه خير الأديان، ليكون مشتملًا علىٰ جميع ما يحتاج إليه العباد، دينًا ودنيًا. ولكونه أيسر وأسهل لقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥][٣]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وبخلاف سائر الأديان، ولكونه أكثر ثوابًا لهذه الأمة بالعمل به لقوله عليه الصلاة والسلام: «**نحن أقل عملاً وأكثر أجرًا**».

---

(١) أخرجه: مسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٣٠)، والترمذي في سننه (٣٧٣١)، وابن ماجة (١٢١)، وأحمد في مسنده (١/ ١٧٩، ٣/ ٣٢).

(٢) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه (٤/ ٢٢٥، ٦/ ١٨٨) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل حديث (١٢٤، ١٢٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٠، ٨٤) والحميدي في مسنده (٥٥٥)، وأبو نعيم في الدلائل (١/ ١٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١٢٢)، والترمذي في الشمائل (١٩٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٩) وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥١، ١٥٢).

(٣) في قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن أبي قتادة عن الأعرابي الذي سمع النبي ﷺ يقول: «**إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره**».

وعن أحمد بسنده عن أنس إن رسول الله ﷺ قال: «**يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا**» وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما إلىٰ اليمن «**بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا**».

وأمته خير الأمم ....

ولما روي أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أخبر الصحابة أن في بني إسرائيل رجلًا صام ألف شهر ولم ينم الليلة فيها، ولم يضع السيف عن العنق فيها للجهاد في سبيل الله، فاغتمّوا بأن مثل هذا الرجل كان في بني إسرائيل ولم يكن في أمتنا، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣] .

يعني أن طاعتكم في هذه الليلة ثوابها أكثر من الطاعة في ألف شهر، ولأن الله تعالىٰ أعطى هذه الأمة ما لم يعطه سائر الأمم من صلاة الجمعة، وإقامة الصفوف في الصلاة والتيمم[١]. وجعل الأرض كلها مسجدًا، وغير ذلك.

ولكون هذه الشريعة ناسخة للشرائع السابقة ولا ينسخها شريعة عوض.

والناسخ أفضل من المنسوخ.

قوله: وأمته خير الأمم، لقوله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] .

يحتمل أن يكون معناه صرتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، أي بأن تفعلوا الأشياء ولم يفعلها سائر الأمم وأن يكون معناه بأن ثبتوا علىٰ الإيمان وأمروا الخلق به، وهو معنى قوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] ، ومنعوهم عن الكفر.

وهو معنى قوله: ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٤] ، يعني عن الكفر وحال سائر الأمم بخلاف ذلك، فإنهم بعد موت الأنبياء صاروا مرتدين عن قريب وهذه الأمة

---

(١) التيمم في اللغة هو القصد قال أبو منصور الأزهري التيمم في كلام العرب القصد، والتيمم ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة وهو خصيصة خص الله سبحانه وتعالى بها هذه الأمة زادها الله تعالىٰ شرفًا وأجمعت الأمة علىٰ أن التيمم لا يكون إلَّا في الوجه واليدين سواء كان عن حدث أصغر أو أكبر وسواء تيمم عن الأعضاء كلها أو بعضها واختلفوا في كيفية التيمم فمذهبنا ومذهب الأكثرين أنه لا بد من ضربتين ضربه للوجه وضربه لليدين إلىٰ المرفقين، وذهبت طائفة إلىٰ أن الواجب ضربة واحدة للوجه والكفين.
واجمع العلماء علىٰ جواز التيمم عن الحدث الأصغر وأجمع أهل هذه الأعصار ومن قبلهم علىٰ جوازه للجنب والحائض والنفساء .
شرح مسلم للنووي (٤/٤٩، ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية

....

ثابتون علىٰ الدين وناصروه إلىٰ يوم القيامة.

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفة**[١] **من أمتي ظاهرين علىٰ الحق حتى تقوم الساعة**»[٢].

وإن حمل قوله: كنتم، علىٰ معناه يكون معناه: كنتم خير أمة في ذكري إياكم عند الأنبياء السابقة وأممهم كما ذكرت في الإنجيل: إن أمة أحمد حلماء رحماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء.

وفي الزبور: أمة أحمد لا يصلون بالطنابير، ولا يقدسون بالأوتار.

وقد حمد الله هذه الأمة عند موسى ومدحهم وبالغ في حمدها ومدحها في الطور، فظن موسى عليه السلام أنها أمته، قال الله تعالىٰ: تلك أمة أحمد.

فكرر الله تعالىٰ ثناء هذه الأمة إلىٰ حيث قال موسى: اللهم اجعلها أمتي.

فنودي موسى: تلك أمة أحمد، قال موسى: اللهم اجعلني من أمة محمد أحمد.

فنودي مرة أخرى: يا موسى أمرت أمتك قالوا: سمعنا وعصينا، وكل ما قلت لأمة أحمد قالوا: سمعنا وأطعنا.

فكيف أقابل هذه الأمة بأمتك، وأي شرف أعظم من شرف هذه الأمة أو مثله حتى اشتاق مثل موسى عليه السلام أن يكون من هذه الأمة.

---

(١) قال النووي في الحديث المتقدم: «**لا تزال طائفة** . . .» أما هذه الطائفة فقال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم.

قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث.

قلت: ويحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم أنواع أخرى من الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض.

شرح مسلم للنووي (١٣/ ٥٧، ٥٨) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه (٩/ ١٢٥) رقم الحديث (٧٣١١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة، رقم الحديث (١٧٠)، وأبو داود في الفتن باب (١)، والترمذي في سننه (٢٢٢٩)، وابن ماجة في سننه (٦)، وأحمد في مسنده (٤/ ٩٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٨١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٠).

....

ثم أخبر الله موسى بأنك لا تصل إليهم، ولكن إن أردت أن تسمع صوتهم، فقال: أردت، فنادى الله تعالىٰ: يا أمة محمد، فأجابوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لك، لا شريك لك.

فقال الله تعالىٰ: يا أمة أحمد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، فمن لقيني بقراب الأرض خطيئة وهو يشهد أن لا إله إلَّا الله[1] غفرتها له ولا أبالي.

وأن يكون معناه: كنتم خير أمة يوم الميثاق.

وأن يكون معناه: كنتم خير أمة حين كتب ذكر الأمم في اللوح المحفوظ.

وقد جاء في الأخبار: إن الله ﷻ أمر القلم[2] ليكتب ذكر الأمم السالفة في اللوح، فإذا جاء بذكر هذه الأمة صار نورًا.

فذكر الأمم السالفة أسود في اللوح المحفوظ، وذكر هذه الأمة أزهر وأنور فيه.

وكذا أمره: اكتب أن ذنب هذه الأمة بذنب ضعف ما أذنبت الأمم السالفة، فكتب.

---

(١) قال النووي: اعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلق أن من مات موحدًا دخل الجنة قطعًا علىٰ كل حال، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً .

شرح مسلم للنووي (١/ ١٩٢) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) القلم هو علم التفصيل فإن الحروف ـ التي هي مظاهر تفصيلها ـ مجملة في مداد الدواة، ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها، فإذا انتقل المداد منها إلىٰ القلم تفصلت الحروف به في اللوح وتفصل العلم بها إلىٰ لا غاية كما أن النطفة التي هي مادة الإنسان ما دامت في ظهر آدم فإن مجموع الصور الإنسانية مجملة فيها ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فإذا انتقلت إلىٰ لوح الرحم بالقلم الإنساني تفصلت الصورة الإنسانية.

المعجم الصوفي (ص٢٠٤)

....

ثم أمره: اكتب أنا أُحسن وأُكرم إلىٰ هذه الأمة ضعف ما أُحسن إلىٰ سائر الأمم السالفة، فكتب.

ثم أمره: اكتب أن هذه الأمة يقطعون حلق ولد نبيهم كما يقطع القصاب حلق الشاة، فرعش القلم رعشة، فوقف.

ثم جاء الأمر بالهيبة إليه فشق رأسه من الهيبة فشق رأس القلم من ذلك الحين، فلو لم يشق رأسه لم يكتب، فكتب ذلك.

ثم أمره: اكتب تحت ذلك أمة مذنبة ورب غفور، فسجد القلم لله تعالىٰ شكرًا لهذه الكرامة بأمة أحمد.

وقال القلم: يا رب لو علمت فضلك هذا مع هذه الأمة لا أبالي أن اكتب جناء سائر الأمم وذنبهم علىٰ هذه الأمة.

فاعلم أن الأمر بالعناية لا بالخدمة[1]، فالعناية القليلة خير من الخدمة الكثيرة.

والجناية مع العناية تصير خدمة، والخدمة من غير عناية تصير جناية.

وقالوا: العناية تهدم الجناية، والعناية توجب الولاية، والعناية تورث الهداية.

ويحتمل أن يكون معناه: كنتم خير أمة في علمنا ومشيئتنا، ولهذا جاءهم خير الرسل، وأعزهم بخير البقاع التي هي الكعبة، بأن جعلها قبلتهم، وأعطاهم أعز الأيام وهو يوم الجمعة، وليلة القدر، وأعز الشهور وهو رمضان وخير الكتب السماوية وهو القرآن.

---

(١) الخدمة شأن من دخل الرباط مبتدئًا ولم يذق طعم العلم ولم ينته لنفائس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمة، ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله فتشمله بركة ذلك، ويعين الإخوان المشتغلين بالعبادة، ولا يحب المشايخ خدمة من ليس منهم فإنه قد لا يحب طريقهم وربما استضر بالنظر إليهم أكثر مما ينتفع، والخادم المتصوف واقف مع نيته وهو يفعل الشيء لله تعالىٰ وهو في مقام الأبرار لاختياره البذل والإيثار وربما جهل حال نفسه فيظن نفسه شيخًا لقلة علمه وربما ظن الناس أنه كذلك لكونه أكثر إطعامًا فهو عندهم أولى بالمشيخة ولا يعلمون أنه خادم.

المعجم الصوفي (ص٨٨)

لا نسخ لشريعته، ولا أمة بعد أمته. جعل فيهم صفوة وأخيارًا ونجباء وأبرارًا سبقت لهم من الله الحسنى ....

قال عليه الصلاة والسلام: «**من أعطى القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه، إلَّا أنه لا يوحى إليه**».

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أمتي كالأنبياء إلَّا** أنه لا يوحى إليهم».

قوله: لا نسخ لشريعته.

لأن كل ما يحتاج إليه المكلف وغيره دينًا ودنيا يشتمل عليه شريعته[1]. **ولا أمة أي لنبي بعد أمته**، إذا لا نبي بعده جعل فيهم أي في أمته عليه الصلاة والسلام مختارين.

يحتمل أن يشير به إلىٰ المقربين من أمته عليه الصلاة والسلام.

وبقوله: أخيارًا إلىٰ علماء الدراسة العاملين بعلمهم.

وبقوله: نجباء، إلىٰ الأربعين المشغولين بحمل أثقال الخلق، فلا يتصرفون إلَّا في حق الغير.

وبقوله: أبرارًا، إلىٰ العاملين بظواهر الشريعة المتمسكين بها، ولا يعبرون عنها إلىٰ بواطنها.

قوله: سبقت لهم من الله الحسنى.

أي سبقت لهذه الأمة من الله ﷻ الحسنى.

وهي أن اختارهم علىٰ سائر الأمم كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١] .

---

(١) لا حقيقة بلا شريعة ، وكل علم عن طريق الكشف والإلقاء يأتي بحقيقة تخالف الشريعة المتواترة فإن ذلك العلم وذلك الكشف لا يعول عليهما، وأما إذا كان علم الحقيقة يوافق الشريعة فهو صحيح فإذا ردته الشريعه فلا يعول عليه.

وعلم الشريعة هو علم الظاهر والباطن والظاهر هو علم الجوارح والباطن علم القلوب وأهل الباطن هم الصوفية، والتصوف هو علم الباطن الذي ورثه علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ والقرآن ظاهر وباطن ولا غناء للظاهر عن الباطن ولا غناء للشريعه عن الحقيقة.

المعجم الصوفي (ص١٣٤)

وألزمهم كلمة التقوى، وعزف بنفوسهم عن الدنيا.

فلعل نجاة الخلق بالحسنى السابقة منه تعالىٰ لا بالطاعة.

فعلم أن النجاة بفضله لا بعمله.

قوله: وألزمهم كلمة التقوى.

وهي كلمة لا إله إلّا الله، وإنما سميت كلمة التقوى لأن هذه الكلمة تقي قائلها في الدنيا عن القتل وسبي الولد والأهل وعن انتهاب المال[1]، ولو كان له مع هذا القول تصديق بالقلب ولم تعص فيما هو من حقوق هذه الكلمة.

فقد وقى نفسه عن عذاب الآخرة، ولو قصد فقد وقى نفسه عن الخلود في النار.

وألزمهم كلمة التقوى، أي قلدهم إياها، يريد هداهم يدل علىٰ أن الله تعالىٰ ألزمهم، أرادهم الله حتى أرادوه فلولا إلزامه لم يريدوه.

فكل ما أراد الله تعالىٰ بإلزامه إياه فأراده الله مع كمال استغنائه تعالىٰ عنه، وغاية احتياجه إليه ليكون المنة لله عليه.

ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧].

وفيه لطيفة: وهي أن الله تعالىٰ قال للعبد الضعيف العاجز اللئيم العاصي المقصر المخطئ: إنك جدير بنا ولائق لصحبتنا.

فأي فرح وسرور فوق هذا أو مماثل له.

قوله: وعزف بنفوسهم عن الدنيا.

---

(١) حديث: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها».**

قال النووي: فيه وجوب الجهاد وفيه صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه ولو كان عند السيف وفيه أن الأحكام تجري علىٰ الظاهر والله تعالىٰ يتولى السراء وفيه جواز القياس والعمل به وفيه وجوب قتال مانعي الزكاة أو الصلاة أو غيرهما من واجبات الإسلام قليلاً كان أو كثيرًا.

شرح مسلم للنووي (١/ ١٨٨) طبعة دار الكتب العلمية

....

يقال: عزفت نفسي عن الشيء، أي زهدت فيه وانصرفت عنه[١].

وعزفت بنفسي، أي صرفتها وأبعدتها، يعني صرف الله نفوسهم عن الدنيا، فلم يستأنسوا معها. ولم يطلبوا مراد النفس منها، بل لم يلتفتوا بالقلوب إليها كما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لحارثة: «**كيف أصبحت؟**».

قال: أصبحت مؤمنًا حقًا.

قال: «**إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟**».

قال: عزفت بنفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي واظمأت نهاري، واستوى عندي حجرها ومدرها[٢] وذهبها وفضتها وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي بارزًا وكأني أنظر إلىٰ كل أمة جاثية، كل أمة تدعى إلىٰ كتابها، فكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون، فكأني أنظر إلىٰ أهل النار يتعاوون، قال: «**أصبت**»[٣].

فلما أعرض حارثة عن الدنيا الدنية الفانية ظهر له الآخرة الباقية، وحضره الغائب عنه فحاصل عزوف النفس عن الدنيا أنها يفعل في هذا الوجود قيامتها.

فتسمع النداء من الله تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وحضرته أحوال أهل القيامة والجنة والنار وغير ذلك مما هو غائب عنه.

---

(١) عزفت نفسه عن الشيء عزوفًا أي عافته وزهدت فيه فهي عزوف ـ وعزف فلان أي لعب بالمعزف وعزفت الريح أي صوتت.

(٢) المدر: الطين اللزج المتماسك، والقطعه منه مدرة، وأهل المدر: سكان البيوت المبنية خلاف أهل الوبر، وهم البدو سكان الخيام.

(٣) حديث حارثة رواه البزار وفيه يوسف بن عطيه لا يحتج به، وأخرجه: البخاري في صحيحه (٤/ ٢٤)، والترمذي في سننه (٣١٧٤)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٢٦١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٢٥)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٨٠٩) كلهم عن أنس في الحارث ابن سراقة لما أصيب يوم بدر فأتت أمه إلىٰ النبي ﷺ فقالت: أخبرني عن حارثة لئن كان أصاب خيرًا احتسبت وصبرت وإن لم يصب الخير اجتهدت في الدعاء فقال النبي ﷺ: «**يا أم حارثه إنها جنة في جنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**» .... الحديث.

صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة . وخلصت عليها معاملاتهم . فمنحوا علوم الوراثة .

وقوله : صدقت مجاهداتهم مع النفس في طلب العلم كانت صادقة ، وهي أن يكون لله تعالىٰ لا لطلب الجاه والرياسة ، **فنالوا** ، أي فوجدوا **علوم الدراسة** يعني علوم ظواهر الشريعة ، فمن تعلم علمًا علىٰ هذه الصفة يكون ثوابه ثواب النبيين ، لأن التعلم علىٰ هذا الوجه صفتهم .

فقد روي عن رسول الله ﷺ : **«من زار عالمًا فكأنما زار نبيًا»**[1] .

ومن شرف العلم وفضله أن الله تعالىٰ لما علم آدم العلم من غير صدور عبادة منه لله تعالى ، وكرم الملائكة بالعبادة من غير ذلك العلم أمرهم أن يسجدوا لآدم ليعلموا أن العالم الذي لا يكون عابدًا خير من العابد الذي لا يكون عالمًا ، وفضل آدم ذلك الفضل إنما كان بعلمه بالأسماء ، فكيف فضل من له العلم بالشريعة ، فإنه لا يعد ولا يحصى .

ومن شرف العلم أن الكلب إن كان معلمًا يكون صيده حلالًا ، وإن قتله فيكون كذبح المؤمن الموحد .

قوله : وخلصت عليها معاملاتهم .

أي فخلصت علىٰ تلك العلوم معاملاتهم يعني أخلصوا بتلك العلوم العمل لله ، فلا يشوبه غرض غيره .

فعملوا بالإخلاص بما علموا ، **فمنحوا علوم الوراثة** ، أي علوم باطن الشريعة ، كما جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ : **«من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»**[2] وكما قال الله تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، المجاهدة للظاهر ، والهداية للباطن .

وعلوم الوراثة لا تنال إلَّا بصدق المجاهدة ، وإخلاص المعاملة .

---

(١) أخرجه: ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١/ ٤٠٣)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ١٥)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٨٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٦٥).

وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة. ثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم وأنارت أعلامهم. فهموا عن الله ....

قوله: وصفت سرائرهم، فأكرموا بصدق الفراسة أي: صفت قلوبهم مع الله بأن نزهوها عن كدر حب الدنيا، وعن سائر الصفات الذميمة، فإذا صفت أسرارهم تنجلي مرآة القلب وارتفع الحجاب فأبصروا الأشياء كما هي، أي مطابقة الواقع فأكرموا بصدق الفراسة.

والفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست فيه خيرًا وهو يتفرس أي يتثبت وينظر، والفراسة اطلاع بنور الله في قلبه علىٰ باطن أحوال القلب.

والفراسة صادقة ليست إلَّا، والفراسة علىٰ نوعين استدلالية يستدل منها بالهيئات الظاهرة والأشكال البدنية علىٰ الأحوال الباطنة، والأخلاق النفسانية والإلهامية لخواص المؤمنين.

والفراسة تختلف قوة وضعفًا وقلة وكثرة بحسب كثرة صفوة القلب وقلتها، فمن كانت صفوة قلبه أكثر فبصيرة قلبه أقوى، وفراسته أقوى وقال أبو عبيد الله الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في هممكم ويخرجون من أسراركم.

قوله: ثبتت أقدامهم، يعني أقدام الباطن، يريد أن ما وجدوه وجدوه بالتحقيق فلم يتركوه **وزكت أفهامهم** لأن بلادة الفهم من كدورة السرّ، فإذا صفى السرّ ذكى الفهم فكلما كان السرّ أصفى كان الفهم أذكى، والفهم جودة تهيّئ قوة القلب المعدة للاكتساب لتصور ما يرد عليها والذكاء شدة تلك القوة بحسب فهمها.

قوله: وأنارت أعلامهم، وفي نسخة: واستنارت، بمعنى أنار الشيء واستنار، أي أضاء، الأعلام جمع العلامة لجواز أن يكون معناه هم بين الناس ظاهرون بأنهم خواص الله لأن الناس عرفوهم بأنه لا يجري عليهم في الظاهر خلاف الحق واستدلوا بهذه المعرفة علىٰ طهارة باطنهم. كما أن مخالفة الحق في الظاهر تدل علىٰ عدم طهارة الباطن.

قوله: فهموا عن الله، أي ما هو مراده وحكمته في كل شيء لأنهم يرون غيره بمنزلة الآلة المستعملة فيجمعون هممهم ويتوجهون بسرائرهم إلىٰ الله فيصيحون بآذان قلوبهم عنه لا عن غيره.

وساروا إلىٰ الله وأعرضوا عما سوى الله. خرقت الحجب أنوارهم وجالت حول العرش أسرارهم ....

قوله: وساروا إلىٰ الله، أي من مقام التقليد إلىٰ مقام الاستدلال ومنه إلىٰ مقام الافتقار، ومنه إلىٰ مقام المشاهدة.

ومنه إلىٰ مقام الحيرة، ومنه إلىٰ مقام الفناء أو من مقام التقليد، إلىٰ مقام علم اليقين، ومنه إلىٰ مقام عين اليقين، ومنه إلىٰ مقام حق اليقين[1]. وهكذا سيرهم إلىٰ الله تعالىٰ، **وأعرضوا عما سوى الله** معناه ظاهر، **خرقت الحجب أنوارهم**، لأن لهم معرفة ونور المعرفة أقوى الأنوار.

فكل ما هو يعترض حجابًا للعبد عن الحق، فنور المعرفة يحرقه ويذيبه.

قوله: وجالت حول العرش أسرارهم.

العرش قبلة القلوب إلىٰ السماء، كما أن الكعبة قبلة الأجساد في الأرض.

فكما أن الجسد يقصد الكعبة بالخدمة والمقصود غيرها فكذا القلب يقصد العرش بالقربة والمقصود غيره، والجسد إذا بلغ الكعبة يطوف حولها من شوق مالكها، فلم يجده فيتحير فينصرف عنها.

فالقلب يذهب إلىٰ العرش من شوق مالكه فلم يجده، فوقف هناك ولم ينصرف عنه، وإلّا لم يجد السبيل إليه أبدًا.

---

(١) لليقين اسمًا ورسمًا وعلمًا، والاسم والرسم للعوام أي أنه ليس لهم منه سوى الاسم والرسم، وأما أرباب العقول فلهم علم اليقين وهو ما كان بشرط البرهان وأما الخواص وهم أصحاب العلوم فلهم عين اليقين وهو ما كان بحكم البيان وأما أصحاب المعارف من الأنبياء والأولياء فلهم حق اليقين وهو ما كان بنعت العيان، وأما حقيقة حق اليقين، فذلك ما اختص به نبينا عليه الصلاة والسلام، وقيل نور الإيمان واليقين واحد سوى أن نور الإيمان من وراء الحجاب واليقين عند رفع الحجاب.
والفرق بينهما كالفرق بين الأعمى والبصير إذا أخبرا بطلوع الشمس فإن إخبار البصير بالمشاهدة بخلاف إخبار الأعمى واليقين في القلب كالبصر فيرى به الموقن ما غاب عن بصره.
المعجم الصوفي (ص٢٦٦)

وجلَّت عند ذي العرش أخطارهم وعميت عما دون العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون ....

وقد جاء في بعض الأخبار في صفة العرش[1]، أن للعرش بعدد كل خلق لسانًا، وكل لسان يسبح الله تعالىٰ بلغة غير لغة الآخر، ولا يعرف هذا اللسان لغة اللسان الآخر.

والحق جل وعلا يسمع كل تلك اللغات ويعلمها.

قوله: وجلّت عند ذي العرش أخطارهم.

أي أقدارهم جلّت، أي عظمت. وإجلال العبد ذا العرش بتعظيمه أمره.

ومعنى جلالة قدر العبد عند الله، أن الله يذكره بالخير، ويلقي محبته في قلوب العباد، ويستجيب دعاءه ويلقي هيبته علىٰ الخلق فيهابونه قوله: وعميت عما دون العرش أبصارهم. يريد أنهم لا يشغلون سرهم بشيء من المخلوقات، لأن شغلهم بالحق منعهم عن الشغل بغيره، أو لأنه من وقع عظمة الحق في أسرارهم لم يبق لغيره قدر عندهم حتى نظروا إليه، أو لأنهم وجدوا نظر السرّ بإعراضهم عن غير الحق.

فعميت عما دون العرش أبصارهم.

قال بعض الكبار: من غمض عن الله طرفة عين لم يهتد إليه أبدًا.

قوله: فهم أجسام روحانيون.

أي بسبب اتصافهم بما ذكرهم أجسام روحانيون لأن صفاتهم صفات روحانيين.

بسبب ثبوت أقدامهم علىٰ موافقة الحق وتباعدهم عن المخالفة وخدمتهم لا

---

(١) العرش مظهر العظمة ومكانة التجلي وخصوصية الذات ويسمى جسم الحضرة ومكانها، لكنه المكان المنزه من الجهات الست.

وهو فلك يحيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية وله باطن وظاهر، فباطنه عالم القدس وهو عالم أسماء الحق سبحانه وصفاته، فمتى قيل العرش مطلقًا فالمراد به ذلك الوجه من الفلك كقوله: ﴿الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] فإن المراد به من عالم القدس المرتبة الرحمانية التي هي منشأ المجد.

المعجم الصوفي (ص١٧٤)

وفي الأرض سماويون ومع الخلق ربانيون .سكوت نُظّارٌ، غُيّبٌ حُضّارٌ.

للطمع. والوقوف بسرائرهم[1] عنده.

وهذه هي صفات الملائكة، فمن اتصف بهذه الصفات صار روحانيًا بالمعنى، وإن كان بشرًا صورةً.

قوله: وفي الأرض سماويون.

معناه ما ذكر.

قوله: ومع الخلق ربانيون.

والرباني منسوب إلىٰ الرب بزيادة الألف والنون.

وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته.

يعني يصحبون مع الخلق بصفة الحق مع الخلق، من الرحمة والشفقة، وعدم الطمع، والاستغناء عنهم ومعاونتهم في المهمات وتحمل أثقالهم، وعدم المكافات.

والتجاوز عن سيئاتهم **سكوت ونُظّار.**

سكوت جمع ساكت، و**نُظّار** جمع ناظر، يعني يرون ظاهر الخلق وباطنهم. ولكن لا يتكلمون بهتك أستارهم[2] لأنهم عارفون بأن الخلق مقهورون لقدرة الحق.

غُيّبٌ حُضّارٌ، غُيّبٌ جمع غائب، وحُضّارٌ جمع حاضر يعني غائبون عن الخلق

---

(١) أسرار الصوفية بكر لا يفتضها وهم واهم، والسرسران سر للحق وهو ما أشرف عليه بلا واسطة، وسر للخلق وهو ما أشرف عليه الحق بواسطه.

ويقال سر من السر للسر، وهو حق لا يظهر إلا بحق وما ظهر بخلق فليس بسر.

والسر من جانب الحق هو ما يختص بكل شيء من جانب الحق عند التوجه الإيجادي إليه المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠] ولهذا قيل لا يعرف الحق إلا الحق ولا يطلب الحق إلا الحق، ولا يحب الحق إلا الحق لأن ذلك السر هو الطالب للحق، والمحب له والعارف به كما قال النبي ﷺ: عرفت ربي بربي.

المعجم الصوفي (ص١٢٣)

(٢) الستر كل ما يسترك عما يفنيك ويقابله التجلي والصوفية عيشهم في التجلي وبلاؤهم في الستر وأما الخواص فهم بين طيش وعيش، لأنه إذا تجلى لهم طاشوا وإذا ستر عليهم عاشوا. =

ملوك تحت أطمار ....

بالقلوب، وبالجسد حاضرون معهم.

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «أبيت عند ربي»[(١)] وله معنى آخر، وهو أنهم حاضرون بالسرّ مع الحق وغائبون بالنفس عنه.

يعني إذا قربوا إليه بالسرّ يرون أنهم أبعد الخلق منه لأنه من يرى نفسه أبعد عن الله فيجاهد فيه فيصير أقرب إليه.

قوله: ملوك تحت أطمارٍ.

جمع طمرٍ وهو كساء خَلق، وإنما سماهم ملوكًا لأن علامة الملوك الاستغناء عن الخلق، واحتياج الخلق إليهم.

وهم بهذه الصفة، لأن الخلق محتاجون إلىٰ دعائهم في دفع البلايا عنهم، ونزول الخير والبركات عليهم بل ينتظم أسباب الخلق دينًا ودنيًا ببركات دعائهم في دفع البلايا، وأعمالهم ووجودهم فيهم، وأيضًا هممهم العالية كهمم الملوك.

بل همم الملوك حقيرة بالنسبة إلىٰ هممهم.

لأن هممهم[(٢)] أجلّ من أن ينظروا إلىٰ الكونين، فهم أولى بهذا الاسم.

=

والستر للعوام عقوبه وللخواص رحمة إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقة، وهو كما يظهر للخواص فإنه يستر عليهم رحمة بهم.

والستائر: صور الأكوان لأنها مظاهر الأسماء الإلهية تعرف من خلفها.

المعجم الصوفي (ص١٢١)

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (١٩٦١)، ومسلم في صحيحه في كتاب الصيام في النهي عن الوصال، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٣١).

(٢) الهمة هي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلىٰ جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره.

وهي أعز شيء وضعه الله في الإنسان ولاستقامتها علامتان الأولى حالية وهي قطع اليقين بحصول الأمر المطلوب علىٰ التعيين والثانية فعلية وهي أن تكون حركات صاحبها وسكناته جميعها مما يصلح لذلك الأمر الذي يقصده بهمته.

المعجم الصوفي (ص٢٥٣)

أنزاع قبائل ....

قال قائل في وصفهم:

لله تحت قباب العز طائفة أخفاهم في رداء الفقر إجلالا
هم السلاطين في أطمار[١] مسكنة واستعبدوا من ملوك الأرض أقيالا[٢]
شُمّ[٣] معاطسهم[٤] عبر ملابسهم جروا على فلك الأفلاك أذيالا

قوله: **أنزاع قبائل**، جمع نازع من نزعت الشيء من مكانه قلعته.

يعني مخرجو قبائل أو فارّون منها.

لأن قدمهم على بساط الحقيقة، وقدم الخلق على بساط المجاز، وهما ضدان، فلا يجتمعان حتى يظن الخلق بهم ظن سوء، فينسبونهم إلى الجنون والبله والزندقة.

وهم أكيس الناس وأعقلهم وأدينهم، والخلق في ذلك معذورون.

كما حكي أن الشبلي رحمه الله رأى حسين بن منصور[٥] في المنام بعد قتله، قال له: ما فعل الله بك؟

قال: أنزلني وأكرمني، قال: أي محل أنزلك؟

---

(١) الطمر: الثوب الخلق والجمع الأطمار. (وجدناه بالهامش).

(٢) الأقيال: جمع قيل وهو السلطان. (وجدناه بالهامش).

(٣) اشم الرجل يشم إشمامًا وهو أن يمر رافعًا رأسه، الصحاح والشم الجبال المرتفعة. (وجدناه بالهامش).

(٤) المعطس: الأنف. (وجدناه بالهامش).

(٥) الحسين بن منصور الحلاج هو الصوفي الأكثر إثاره للجدل في التاريخ الإسلامي والأعمق أثرًا.

فكان وسيظل الحلاج نموذجًا لافتًا في تاريخ الإنسانية يقف أمامه الكثيرون من الباحثين عن معنى الحب الإلهي والمتأملين في فلسفته التي تعد صفحه مشرقة من صفحات التراث الإنساني، استطاع باتساع أفقه أن يقف على أسوار المذهبية والطائفة ويجعل من مأساته الخاصة موردًا عذبًا للعقول والقلوب في كل مكان وزمان، فقد ذاعت شهرته حتى وصلت لوزير المقتدر بالله والذي تم إنفاذ حكم الخليفه بقتله وسبب مقتله في إجابته عن سؤال أحد الأعراب عن ما في جبته فرد الحلاج ما في جبتي إلّا الله فاتهم بالزندقة وأقيم عليه الحد سنة (٣٠٩) هـ.

وأصحاب فضائل وأنوار دلائل، ....

قال: في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال: ما فعل بهذا الخلق؟ قال: قد غفر كلتا الطائفتين المشفقين عليّ والمعادين. (من العداوة)[1].

معنى فأما من أشفق عليّ فلأجل أنه عرفني فأشفق عليّ لله.

وأما من عاداني فلأنه لم يعرفني فعاداني لله أيضًا فهما معذوران.

وأصحاب فضائل معناه ظاهر.

وقيل: إن الخلق يخرجونهم من بينهم لا بالعيب بل لأن لهم فضائل ليست لغيرهم، فلا يطيقون الصحبة[2] معهم، كإخراجهم الأنبياء من بينهم.

وأنوار دلائل: لأنهم بسبب صدق مجاهداتهم ونقاوة معاملاتهم، وصفوة أسرارهم صاروا أنوارًا للدلائل.

ويعطون الدلائل أنوارًا ليهتدي غيرهم بها.

أو هم أنفسهم أنوار هي دلائل للخلق، أو هم أنوار دلائل بمعنى أنهم وصلوا إلىٰ مرتبة لا يحتاجون إلىٰ الدليل، لأن الاحتياج إلىٰ الدليل يدل علىٰ عدم الوصول إلىٰ المطلوب، وهم وصلوا إليه، فلا يحتاجون إليه، أو هم أنوار دلائل، بمعنى أنهم ذواتهم دلائل لأنفسهم، فلا يحتاجون إلىٰ دلائل غير أنفسهم.

---

(١) وجدناه بالهامش.

(٢) الصحبة للصوفي تفتح باطنه ويكتسب بها علم الحوادث والعوارض ويتقوى قلبه، والفساد بالصحبة متوقع والصلاح بها متوقع واختيار الصحبه يتوقف علىٰ النية وكان سعيد الخراز يقول: صحبت الصوفية خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لأني كنت معهم علىٰ نفسي.

ومن آداب الصوفية في الصحبة القيام بخدمة الأصحاب واحتمال الأذى منهم والتغافل عن زلاتهم والنصح لهم وتقديم من يعرفون فضله في المجالس ولين الجانب وترك الصولة وحذر المفارقه وعدم التكلف للأصحاب ورعاية الاعتدال والمداراة وستر العورات والاستغفار للأصحاب.

المعجم الصوفي (ص١٤٢)

آذانهم واعية وأسرارهم صافية ونعوتهم خافية صفوية، ....

قوله: آذانهم واعية.

أي آذان قلوبهم حافظة لأوامر الله تعالىٰ ونواهيه لئلا يضيعوهما.

وأسرارهم صافية:

معناه قد علم من قبل، إلَّا أنه ذكره ههنا ليعلم أن علة وعي آذانهم هي صفوة أسرارهم، فكأنه علله بها.

ونعوتهم خافية:

يجوز أن يكون معناه أن الصفة التي أعطاهم الله إياها كرامة[١] لهم.

يخفونها عن الأغيار لعزة تلك الصفة عندهم، وكل ما هو عزيز يضن عليه، فيخفى، ولأن إظهارها لغير أهلها يكون إضاعة لها.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تمنحوا الحكمة غير أهلها، فيظلموها**»[٢].

ويجوز أن يكون معناه: أن الله تعالىٰ يخفى أسرارهم عن الخلق لئلا يقبلوا عليهم فيكونوا مشغولين عن الله بهم، والله لا يريد شغلهم بالخلق.

قوله: صفوّية . لصفاء[٣] أسرارهم.

---

(١) المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء وظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائز عقلاً وصدقًا طالما أن ذلك معلق بقدره الله تعالىٰ والفرق بين المعجزة والكرامة أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهار معجزاتهم والولي يجب عليه ستر كراماته وإخفاؤها.

المعجم الصوفي (ص٢٠٨)

وسوف يأتي الكلام عن هذا في أبواب قادمه بأوسع من هذا.

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٤/ ٧٦).

(٣) الصفاء ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق في الحين قال الجريري: ملاحظه ما صفا بالصفاء جفاء، لأن معه ممازجة الطبع ورؤية الفعل.

وقال ابن عطاء: لا تغتروا بصفاء العبودية فإن فيها نسيان الربوبية لأنها ممازجة بالطبع ورؤيه الفعل.

المعجم الصوفي (ص١٤٥)

صُفيّة صوفية، نوريه صُفيّة، ....

صفية: لأنهم في الصف الأول عند الله بحسب الهمة أي هممهم لا تنتهي ولا تقف إلّا بالله.

صوفية: لأنهم يختارون لباس الصوف، وهو لباس الأنبياء.

نورية: لأجل طهارة معاملاتهم وصفوة أسرارهم وسمي أبو الحسن النُوري النُوري، قيل: لأنه نوّر سرّه بحيث لا يخفى عليه أسرار الخلق.

وقيل: لأنه إذا تكلم في الليل يخرج من فمه نور ينور البيت.

صُفيّة: لأنهم أصحاب صُفّة رسول الله عليه الصلاة والسلام[١].

وهي موضع بالمدينة يقال له قباء، من المدينة إليه فرسخان، وهم يتوطنون به، وأعرضوا عن الدنيا. وروي أن الأربعين منهم كانوا يأكلون تمرة في يوم وليلة كان يمصها كل منهم ويدفعها إلىٰ صاحبه.

وأكثرهم عريان، ويسترون عورتهم بالدخول في الرمل وإذا كان وقت الصلاة، فالذي كان له ثوب يصلي، ثم يدفع ثوبه إلىٰ صاحبه ليصلي وهو يدخل في الرمل[٢].

وتجيء أوصافهم بعد هذا.

وأخذ أصل مذهب التصوف منهم[٣]، وهو الإعراض عن الدنيا وعدم الخصومة

(١) الصُفّه هي الظُلّة وأهل الصُفة نسبة إلىٰ صُفّة مسجد الرسول ﷺ وكان فقراء المهاجرين يأوون إليها وينامون ويأكلون تحتها، وهم أوائل الصوفية ذكرهم القرآن فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وكان أهل الصفة كما جاء في الخبر نيفًا وثلاثمائه ليست لهم تجارة ولا مال ولا مأوى وكان الرسول لا يقوم من مجلسه إذا جلس أهل الصفة حوله حتى يقوموا.

المعجم الصوفي (ص١٤٧)

(٢) قال أبو هريرة: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب منهم من لا يبلغ ركبتيه، فإذا ركع أحدهم قبضه بيديه مخافة أن تبدو عورته. وكان أبو موسى الأشعري يشبه رائحتهم برائحة الشاه من لبس العباءة، وكان النبي ﷺ يفرقهم علىٰ أهل الجدات والسعة علىٰ كل واحد علىٰ مقداره يبعث بهم مع واحد ثلاثة ومع الآخر الأربعة أو الخمسة.

المعجم الصوفي (ص١٤٧)

(٣) اسم الصوفية والتصوف لم يعرفا في المجتمع الإسلامي في القرنين الأول والثاني الهجريين =

ودائع الله بين خليقته وصفوته في بريته ووصاياه لنبيه ....

مع الخلق، والقناعة بالحاصل، وعدم الطلب لغير الحاصل، وعدم الاعتراض علىٰ الله، والانقطاع عن الوطن والأهل والأحِبَّاء.

هذه كلها صفات أهل الصُّفّة، وهي أصل مذهبهم ثم بمرور الزمان لا يكاد يوجد ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله: ودائع الله بين خليقته.

يريد أن الله تعالىٰ أودعهم بين خلقه ليكونوا محفوظين ببركته، ولا تخلو هذه الأمة منهم، بل لا يزالون علىٰ الحق إلىٰ يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك**»[1].

قوله: وصفوته في بريته.

صفوة الشيء خالصه ومختاره.

وصفوة الرجل صاحب سرّه.

البرية: الخلق، إذا كانوا ودائع الله بين خلقه فكانوا مختارين لله في بريته.

وصاياه لنبيه: والضمير في وصاياه يرجع إلىٰ الله أي: هم وصاياه.

يعني وصى الله لنبيه بحسن رعايتهم، ومحافظه جانبهم، وقصّة ذلك أن أغنياء مكة مثل أبي جهل وعتبة وشيبة، والوليد بن المغيرة وغيرهم جاؤوا إلىٰ النبي عليه الصلاة

= ويحاول بعض الباحثين نسبة التصوف إلىٰ الصفاء أو رداء الصوف أو اشتقاق كلمة صوفى من الكلمه اليونانيه سوفيا ومعناها الحكمة أو أهل الصفة ولم يثبت صحة أي من هذه الأقوال وظهر في القرن الثالث والرابع الهجريين اتجاهان للتصوف اتجاه سني واتجاه فلسفي.

انظر مقدمة كتاب الوجود للنابلسي (ص٣، ٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية.

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٩/ ١٦٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٤٤)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٣/ ١٤١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٢٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٣٢٩)، والفتني في تذكرة الموضوعات (٩٢).

....

والسلام وقالوا: لا يمنعنا عن الإيمان بك إلَّا لحوق العار بنا من مجالستنا الفقراء[(١)] الذين عندك، وتجيء الروائح الكريهة منهم، فاطردهم من عندك حتى نؤمن بك.

فلما كان رسول الله ﷺ حريصًا علىٰ إيمان الخلق قال لعمر: **«قل لهم قللوا المجيء عندي ليؤمن أغنياء مكة»**.

فلما مشى عمر ﷺ ليخبرهم بذلك، فلم يصل إليهم جاء جبريل إلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، فدعى عمر عن وسط الطريق.

ثم جاء أغنياء مكة مرة أخرى إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: إن لم تطردهم فوقِّت بيننا وبينهم فيوم لنا ويوم لهم. وهذا هو المساواه، فإن فعلت هكذا نؤمن بك.

فأرسل رسول الله ﷺ عمر ليقول لهم ذلك فجاء جبريل وقال: قال الله تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨][(٢)].

---

(١) روى ابن جرير بسنده عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا، أنحن نصير تبعًا لهؤلاء، اطردهم فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ الآية ولما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان حين سأله عن تلك المسائل فقال له: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال: بل ضعفاؤهم، فقال هرقل: هم أتباع الرسل.

والغرض أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ويعذبون من يقدرون عليه منهم وكانوا يقولون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا.

تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٧، ١٣٨)

(٢) أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيًا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء، يقال إنها نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس علىٰ حدة فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨]. الآية.

تفسير ابن كثير (٣/ ٨٢)

فدعى عمر عن وسط الطريق.

ثم جاؤوا مرة ثالثة إلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام وقالوا: لو لم توقّت بيننا وبينهم، فحول الوجه إلينا مدة جلوسنا عندك، ولا تنظر إليهم عند مجالستنا عندك، إذن نؤمن بك، فأرسل رسول الله ﷺ عمر إليهم ليطيب قلوبهم.

ومراد الكفار من ذلك تنفير قلوب الفقراء من رسول الله وتفرقتهم من عنده عليه الصلاة والسلام ليبقى وحيدًا منفردًا، ولم يؤمنوا أيضًا.

لكن الله تعالىٰ كان عالمًا ببواطنهم ولم يعلمها النبي ﷺ.

فجاء جبريل وقال: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية.

هذا هو وصية الله تعالىٰ لنبيه عليه الصلاة والسلام في حق الفقراء[١].

ثم بعد ذلك إذا رأى النبي عليه الصلاة والسلام فقيرًا قال: يأتي من وصاني ربي به.

وحين رأي النبي عليه الصلاة والسلام غاية الجلالة والمكانة للفقراء ومرتبتهم عند الله طلب من الله تعالىٰ بالدعاء ليقيمه علىٰ تلك الحال.

فقال: **«اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين»**[٢].

قوله: وخباياه عند صفيه.

وخباياه جمع خبيئة، أي مستورة.

والصفيّ المختار، والمراد به ههنا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

(١) الفقير عند الصوفية مقام شريف وهو يقتضي مقام الصبر والفقير هو الذي أحصر في سبيل الله ولا يستطيع ضربًا في الأرض يحسبه الجاهل غنيًا من التعفف وتعرفه بسيماه لا يسأل الناس إلحافًا.
والصوفية سموا فقراء لتخليهم عن الأملاك.
المعجم الصوفي (ص١٩٤)

(٢) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٣٥٢)، وابن ماجة في سننه (٤١٢٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ١٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢٢)، والقرطبي في تفسيره (٨/ ١٦٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٦٢)، والشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٤٥).

هم في حياته أهل صفته وبعد وفاته خيار أمته.

لم يزل يدعو الأول الثاني والسابق التالي بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله حتى قل الرغب. وفتر الطلب، ....

وهذا يدل علىٰ عظم شأنهم وقرب منزلتهم وكونهم أعزاء عند الله.

هم في حياته أهل صفته، كلا الضميرين المفردين يرجع إلىٰ صفيّه.

وهذا أصل في شرف الفقراء في أنهم أعرضوا عن الدنيا وأهلها، بل عما سوى الله. وسكنوا في الرباطات، وإنما أخذ هذا من أصحاب الصُّفّة **وبعد وفاته خيار أمته**.

والخيار خلاف الأشرار معناه ظاهر.

قوله: لم يزل يدعو الأول الثاني والسابق التالي بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله (أحكاه)[١].

معناه أن مشايخ هذه الطائفة يدعون مريديهم[٢] إلىٰ هذه الطريقة بلسان الفعل، لا بالقول، فعملوا ما عملوا فنالوا ما نالوا، فأغنى التالي لسان فعل السابق عن أن يبين له شيئًا بالقول.

قوله: حتى قل الرغب.

يتعلق بقوله: لم يزل يدعو الأول الثاني كذا وكذا حتى قل الرغب في الفعل.

وفتر الطلب: أي: طلب الحقيقة وقنعوا بالمجاز والرسم[٣].

---

(١) وجدناها بالهامش.

(٢) المريد هو من انقطع إلىٰ الله تعالىٰ عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلَّا ما يريده الله تعالى، لا ما يريده غيره، فيمحو إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق. ولا ينبغي للمريد أن يشغل نفسه في ابتداء أمره بالتزويج فإن ذلك يمنعه الهمة علىٰ الله تعالىٰ ولذلك قال الداراني: من تزوج فقد ركن إلىٰ الدنيا وقال: ما رأيت مريدًا تزوج فثبت علىٰ ما كان.
المعجم الصوفي (ص٢٢٩)

(٣) الرسوم هي الآثار والرسم والوسم هما القدم والأزل كما تقدم، ورسوم العلوم ورقوم العلوم هي مشاعر الإنسان لأنها رسوم الأسماء الإلهية كالعليم والسميع والبصير ظهرت علىٰ ستور الهياكل البدنية المرخاة علىٰ باب دار القرار بين الحق والخلق فمن عرف نفسه وصفاتها كلها =

فصار الحال أجوبة ومسائل، وكتبًا ورسائل. فالمعاني لأربابها قريبة. والصدور لفهمها رحيبة إلى أن ذهب المعنى، وبقي الاسم، وغابت الحقيقة، وحصل الرسم، ....

فصار ما هو الحال لأهل الحقيقة أجوبة ومسائل وكتبًا ورسائل.

يعني لما ارتفع الحقيقة من البين بأن تركوا الفعل واشتغلوا بالقول ومتون الكتب.

صار الحال عبادة والسرّ لسانًا[1]، فلا يعلم السائل معنى السؤال، ولا المجيب معنى ما يقول **فالمعاني لأربابها قريبة**، أي قريبة الفهم لهم، لأن المربي والمالك للشيء يسهل أخذه وإدراكه ولغيره يصعب ذلك.

والصدور لفهمها رحيبة، أي وصدور أرباب المعاني لفهم تلك المعاني واسعة فلا تضيق عنها بحيث لا تدخل فيها لكونها بعيدة من فهمهم.

قوله: إلىٰ أن ذهب المعنى.

يتعلق بقوله: فصار الحال أجوبة.

واعلم أن الرسم في الأصل أثر يبقى من عين، ومنه رسم الدار، ويطلق علىٰ ما بإزاء الحقيقة مما لا قيام له بذاته، بل بالحقيقة.

ومنه تسمية الصوفية[2] كل ما يقوم بالحق من وجود الممكنات الذي هو أثر من وجود الحق رسومًا. ويطلق أيضًا علىٰ كل وضع مستمر.

ومنه رسوم العادات، الرسم للخلق، والحقيقة للحق والمعنى للباطن، والاسم للظاهر، فأهل الحقيقة كانوا يتمسكون بالحق، ووضعوا الرسم تحت القدم فلا يبالون بعوج

= بأنها آثار الحق وصفاته ورسوم أسمائه وصورها فقد عرف الحق.

المعجم الصوفي (ص١٠٨)

(١) السر المجرد والهم المجرد بمعنى واحد وهو هم العبد وسره إذا تجرد من جميع الأشغال وتفرد بمراقبه ذي الجلال فلا تعارضه خواطر قاطعة ولا عوارض مانعة عن التوجه والإقبال والقرب والاتصال.

وسر السر ما انفرد به الحق عن العبد كالعلم ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾.

المعجم الصوفي (ص١٢٣)

(٢) وجدناه بالهامش.

فصار التحقيق حلية، والتصديق زينة، ....

الرسم، ويمتثلون ويتصوفون بمعنى التصوف، فلو لم يسموا صوفية لم يكثر (أي لم ينالوا)[١] ثوابه، وكانوا بالباطن صديقين.

وجوزوا في الظاهر إطلاق اسم الزندقة عليهم، لأنهم كانوا يعيشون لله لا للخلق، ثم ظهر خلق يكتفون من التصوف بالاسم، وخلا باطنهم من المعنى.

ولم يصف أعمالهم للحق، ورضوا بأن سُمّوا صديقين وهم في الباطن زنديقون.

وصار التحقيق حلية.

أي لباسًا للظاهر.

وصار التصديق زينة.

يعني: ذهب التحقيق والتصديق من بينهم، وجعلوا التحقيق حلية الظاهر من اللباس وغيره، وجعلوا التصديق زينة الظاهر ليظن الخلق أنهم عارفون[٢] لتلبسهم بلباس العارفين وزيهم.

---

(١) قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الصوفية إلىٰ ثلاثة أقسام وهم: ١ ـ صوفية الحقائق. ٢ ـ صوفية الأرزاق. ٣ ـ صوفية الرسم.

فالقسم الأول: صوفية الحقائق قال عنهم: هم من صفوا من الكدر وامتلأوا من الفكر كما يدعون علىٰ طريقه الفلسفة الهندية.

وأما صوفية الأرزاق: فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق.

والقسم الثالث: صوفية الرسم فهم المقتصرون علىٰ النسبة فهمهم في اللباس والآداب الوصفية ونحو ذلك أي أنهم يتشبهون بالصوفية في الظاهر ويعرفون أقوالهم ولكنهم خارجون عن طريقهم وهمهم في جمع المال والاحتيال علىٰ الجهال بأمرهم وهذا التقسيم واضح جلي إلا أنه ليس فيه توضيح إلىٰ مدى ما وصلت إليه العقيدة الصوفية فيما بعد عصر شيخ الإسلام ومدى تأثرها بالينابيع والمصادر الخارجة عن الإسلام.

(٢) الفقراء في لباسهم مع الوقت فإذا وجدوا الصوف أو اللبد أو المرقعة لبسوا، وإذا وجدوا غير ذلك لبسوا، والفقير الصادق لا يتكلف ولا يختار، ولبس الخشن من الثياب هو الأحب والأولى والأسلم للعبد والأبعد عن الآفات، واللبس هو الصورة العنصرية التي تلبس الحقائق الروحانية قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: ٩].

المعجم الصوفي (ص٢١٢)

وادعاه من لم يعرفه وتحلى به من لم يصفه. وأنكره بفعله من أقرَّ به بلسانه، وكتمه بصدقه من أظهره ببيانه، وأدخل فيه ما ليس منه، ونسب إليه ما ليس فيه، فجعل حقه باطلًا، وسمى عالمه جاهلا، وانفرد المتحقق فيه ضنًّا به.

وادعى هذا المذهب من لم يعرفه وتحلى به من لم يصفه أي من لم يعلم وصفه، أو من يصفه هذا المذهب.

لأنه لم يتصف به علمًا وعملًا.

وأنكره بفعله من أقر به بلسانه.

يعني أقروا بهذا المذهب بلسانهم ولم يعملوا به، وإذا لم يعمل به يكون منكرًا له بفعله.

وكتمه بصدقه من أظهره ببيانه.

يعني من أظهر هذا المذهب بالعبارة من غير العمل كتمه كتمان صدق، لا كتمان تكلف، فأقروا بصدقه ولم يتحققوا به، وهو فعل المنافقين.

وأدخل فيه ما ليس منه، ونسب إليه ما ليس فيه فجعل حقه باطلًا وسمى عالمه[1] جاهلًا، لأنهم إذا علموا ما ليس معناه، وعملوا بما لا يراد منه فظنوا أن ما علموه معناه.

فجعل الباطن حقه، وحقه باطلًا.

وأن ما عملوا هو المراد منه فجعلوا الباطل حقه وحقه باطلًا.

وسموا الجاهل به عالمًا به، أو معناه أنهم نفوا حقه لأنهم لم يعرفوه.

ونسبوا عالمه إلىٰ الجهل بناء علىٰ ظنهم أن علمه ما علموه لا ما علم عالمه.

وانفرد المتحقق بهذا المذهب علمًا وعملًا عن الخلق **ضنًا** - أي بخلًا - بهذا المذهب.

---

(١) العالم هو ما أطلعه الله علىٰ ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله لا عن شهود بل عن يقين بعكس العارف فهو من أشهده الله تعالىٰ والمعرفة حال تحدث عن شهود.
المعجم الصوفي (ص١٦٧)

وسكت الواصف له غيرة عليه، ....

وسكت من علم وصف هذا المذهب عنه غيرة[١] عليه لئلا يطلع عليه غير أهله.

الغيرة حميّة تنفي الغيرية والمشاركة.

يريد أن المتحقق لما رأى أن غير أهله ادعاه، لم يصف هذا المذهب له، وإلّا كان ظالمًا، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وإعطاء الشيء غير أهله.

إما لاستخفاف المعطي بذلك الشيء.

أو لاستخفاف المعطي به، وذلك أيضًا من استخفاف المعطي بذلك الشيء، وذلك يوجب زوال ذلك الشيء عن المعطي.

وقال الكبار لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا بهم، ولا تقفوه عند غيره فظلموه.

وقيل لسهل التستري صف لنا الصادقين.

قال: هاتوا أسرار الصادقين حتى أخبركم بوصف الصادقين.

ولما أفشى الشبلي رحمة الله عليه علوم هذه الطائفة وكلماتهم للخلق، فلامه أستاذه جنيد رحمه الله علىٰ ذلك ودعى عليه وقال: يا أبا بكر نحن حبّرنا هذا العلم تحبيرًا، ثم تكلمناه في السراديب، فجئت أنت فأفشيته علىٰ رؤس الخلائق، لا بارك الله فيك.

فقال الشبلي[٢] في جوابه: أنا أقول وأنا أسمع، فهل في الدارين من غيري.

---

(١) الغيرة هي كراهية مشاركة الغير وهذه غيرة البشرية وإذا وصف الحق سبحانه بالغيرة فمعناه أنه لا يرضى بمشاركه الغير معه فيما هو حق له من طاعة عبده وهذه هي الغيرة الإلهية، والغيره هي من لوازم المحبة ويوصف بها المحب والمحبوب كل واحد منهما علىٰ نفسه وعلى حبيبه، فأما غيرة المحب علىٰ نفسه فلئلا يكون فيها نصيب لغير محبوبه وإن رق، بل يرى نفسه أهلا لحب حبيبه حتى لا يحبه بشيء هو غيره بل يحبه به لا بسواه ولهذا يفنى عن نفسه عند مشاهدته.

المعجم الصوفي (ص١٨٦)

(٢) دلف بن جعفر، أبو بكر الشبلي الخراساني من قرية يقال لها شبلية وتوفي سنة (٣٣٤هـ) وهو ابن (٨٧ سنة) وكان يذم الدنيا ويقول: يا من باع كل شيء واشترى لا شيء بكل شيء، وسئل ما الزهد؟ فقال: نسيان الزهد وسئل أيضًا أي شيء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه ومن أقواله: مجاهدة النفس بالنفس أفضل من مجاهده الغير بالنفس.

انظر صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٦، ٣٧)

فنفرت القلوب منه. وانصرفت النفوس عنه، ....

يعني إذا كان كذلك فلا أكون مستحقًا للذم.

وكلام الشبلي يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه غلب الوقت عليه ويكون مشغولًا بنفسه، فالذي قال في أثناء تلك الغلبة[1] إنما قاله لنفسه وهو بنفسه يستمع، وما قال ذلك مع الخلق، وليس مراده الخلق، بل المراد نفسه، وسماع الخلق ذلك بالتبع.

وثانيهما: أن الشبلي رحمة الله عليه فني عن صفاته وتجرد عن اختياره، وقام بصفات الحق، وأجرى الحق ذلك الكلام علىٰ لسانه، فلسانه آلة، والقائل به بالحقيقة هو الحق، وليس له ولا للخلق بذلك الإجراء شعور.

قوله: فنفرت القلوب منه، وانصرفت النفوس عنه يعني إذا كان الحال علىٰ الوصف المذكور فنفرت القلوب من مذهب هذه الطائفة وعلمهم.

وانصرفت عنه وعن صحبتهم.

يريد أن الخلق إذا رأوا المدعين القلّابين فطلبوا منهم الحقيقة[2] فلم يجدوها عندهم.

---

(١) الغلبة حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب ولا مراعاة الأدب، ويكون مأخوذًا عن تمييز ما يستقبله ويكون الذي غلب عليه خوف أو هيبة أو إجلال أو حياء أو بعض هذه الأحوال.

وقيل صاحب الغلبات له هجوم وذلك عند قوة رغبة الطالب إذ لاحت له أعلام المزيد في حال طلبه المطلوب، فلو ظن أن مطلوبه وراء بحر سبحه، أو في تيه سلكه بالهجوم عند غلبات الإرادة وقوة سلطان المطالبة عليه.

المعجم الصوفي (ص١٨٤، ١٨٥)

(٢) الحقيقة هي إقامة العبد في محل الوصال إلىٰ الله ووقوف سره علىٰ محل التنزيه وقيل الحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت، والحقائق ثلاث: حقيقة مع العلم وحقيقة معها العلم وحقيقة تشطح عن العلم.

وأصح الحقائق وأتمها ما قارن العلم، والعلم كله حقيقة والحقيقة كلها علم، وعلم الحقيقة لا يخالف علم الشريعة وكل حقيقة تخالف الشريعة فهي كفر.

المعجم الصوفي (ص٧٨)

فذهب العلم وأهله، والبيان وفعله، فصار الجهال علماء، والعلماء أذلاء،

وكان أهل الحقيقة خفياء، وما معهم يخفونه، فلم يجد الخلق لهذا المذهب حقيقة، فظنوا أنه لا حقيقة له، فنفرت قلوبهم عنه وأنكروه.

وقالوا: ليس هذا المذهب أصل يعتمد عليه، ولا لهذا الطريق حقيقة يخبر عنها.

فإذا خفى أهل الحقيقة وظهر القلابون المغترون إلىٰ هذا المذهب وليس عندهم حقيق، فاندرس هذا المذهب، **وذهب العلم وأهله، والبيان وفعله.**

أي وذهب العمل بهذا المذهب، لأن العمل يتوقف علىٰ البيان.

والبيان يتوقف علىٰ العلم، والعلم يؤخذ من أهله ورجاله فإذا ذهبت الرجال ذهب العلم، فذهب البيان فذهب العمل.

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»[1]، فإذا كان حال علم ظاهر الشريعة أنه إذا أخذ غير أهله مكان أهله ضلوا وأضلوا[2] الخلق، فكيف حال علم الحقيقة فإنه علم الخصوص وعلم ظاهر الشريعة علىٰ العموم، ويجوز أن يكون الفاسق عالمًا به، وعلم الحقيقة لا يعلمه إلَّا

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه (١/ ٣٦) حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في كتاب العلم حديث رقم (١٣)، والترمذي في سننه (٢٦٥٢)، وابن ماجة في سننه (٩) وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٢، ١٩٠)، والدارمي في سننه (١/ ٧٧)، والحميدي في مسنده (٥٨١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ١٨٥)، وابن المبارك في الزهد (٢٨١) والشجري في أماليه (١/ ٤١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/ ١٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٦٥).

(٢) في معنى الحديث المتقدم قال النووي: هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه.

ولكن معناه أنه يموت حملته ويتخذ الناس رؤوسًا جهالاً يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون.

وقوله ﷺ: «**اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً**» ضبط في البخاري رؤوسًا بضم الهمزة وبالتنوين جمع رأس وضبطوه في مسلم بوجهين أحدهما: هذا، والثاني: رؤساء بالمد جمع رئيس وكلاهما صحيح، والأول أشهر وفيه التحذير من اتخاذ الجهال رؤساء.

شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٨٣) طبعة دار الكتب العلمية

فدعاني ذلك إلىٰ أن رسمت في كتابي هذا وصف طريقتهم، وبيان نحلتهم وسيرتهم من القول في التوحيد والصفات وسائر ما يتصل به مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ولم يخدم مشايخهم، وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه، ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم، ويدركه من لم يدرك عباراتهم، وينتفي عنهم ....

الصديقون، فإذا خاض فيه غير أهله ويدعو الخلق إليه يكون سببًا لضلالة الخلق الكثير، بل لضلالة عالم ويكون فتنته أكثر من فتنة إبليس ونعوذ بالله من خذلانه.

قوله: فدعاني ذلك.

أي ما ذكر من اندراس هذه الطريقة وذهاب علمها والبيان وفعلها ونحلتهم ـ بكسر النون ـ أي مذهبهم وسائر ما يتصل بالتوحيد والصفات مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم، ولم يخدم مشايخهم.

قوله: عند، ظرف لوقعت.

قوله: وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه، ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم ويدركه من لم يدرك عباراتهم وينتفي عنهم.

يعني بينت المقدار الذي يسعه الوصف بلسان العلم وكشف المقدار الذي يسعه العبار، لأن مقتضى حقيقة الحق لا يسعه بيان ولا يحتمله عبارة، لأن البيان يعبرّ السرّ، والسرّ مشير الحقيقة والحقيقة صفة الحق.

وكمال الحقيقة[١] لا يسعه السرّ إلَّا بقدر وسعه وطاقته، فلو رُدَّ عليه فوق طاقته لهلك السرّ، ولا يعبّر اللسان عن السرّ إلَّا بقدر وسع العبارة، فلو ظهر بالبيان والعبارة

---

(١) أهل الحقائق هم الصوفية ولسانهم لسان الحقيقة وهي ما أوصل إلىٰ الله تعالىٰ بلا واسطة، وحقائق أهل الحقائق أن الله تعالىٰ غير مفقود فيطلب ولا ذو غاية فيدرك، وحقيقة الإنسانية: أن لا يتأذى منك إنسان لأن حقيقة الاسم فيه، واسم الإنسانية حقيقته أن يكون كل شيء بك مستأنسًا ولقد سئل بعض الصوفية عن حقيقة الوصول فقال: هي ذهاب العقول، ويقول الواسطي: إن الحقائق المختزنة إذا بدت حجبت الحقائق المستترة.

المعجم الصوفي (ص٧٨، ٧٩)

....

كمال ما رأى السرّ بالمشاهدة لهلك المستمعون حتى قال بعض الكبار: مثل العبارة مثل القيء، كما أن ما هو من الغذاء يوافق الطبع فيقر مع الطبع وما هو ليس منه لم يوافقه قذفه الطبع، فكذا ما هو من المشاهدة يوافق السرّ بقي مع السرّ وما لم يوافقه يصير العبارة، وكما أن كمال الغذاء لو صحب الطبيعة لخربت الطبيعة وهلكت.

فكذا كمال المشاهدة لو صحب السر فيصير الكل العبارة خرب السرّ.

والمثال الأحسن أن مثل مشاهدة[1] السرّ مثل احتراق النار، فأصل النار مشاهدة، ولهبها دليل غليان الاشتياق، وشررها الإشارة، ودخانها العبارة، فكلما كانت النار قوية تحترق تحرق الأغيار، وإذا ضعفت لا تقدر علىٰ إحراق الأغيار وتتعدى نفسها فتحرق بالحرارة، وترى بضيائها، فتصيب البعض منها الرؤية، وتصيب البعض الآخر منها الحرقة والرؤية للعام والحرقة للخاص، فمن كان نصيبه الرؤية منها فهو قائم بصفاته، ومن كان نصيبه منها الحرقة فقد فنى عن صفاته ويصير جوهرًا غير الجوهر الذي قبل الإحراق، ولهبها دليل غليان الشوق، وكلما كانت النار قوية فلهبها ضعيف، فمن الأسرار سرّ يكون ضياء ناره لا ينور إلّا ساحة الصدر مثل المصباح الذي لا ينور إلّا بيتًا واحدًا.

ومن الأسرار سرّ يصعد لهبه ويمر من العرش ولكن قوة ضياء لهب النار بمقدار حرقة الجوهر، فمن كان ناظرًا لا يرى إلّا الضياء، ولا يكون له خبر من الاحتراق. وإذا وصل شررها إلىٰ المحترق فيقبله المحترق من غير توقف، فيكفي للمحترق رائحة النار.

والاحتياج إلىٰ النار القوية إنما يكون لغير المحترق ليحترق، ودخانها العبارة،

---

(١) المشاهدة تعني المحاضرة والمداناة، وقيل هي رؤية الحق يبصر القلب من غير شبهة كأنه رآه بالعين قال رسول الله ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**» والمشاهدة حال تقتضي اليقين، وأهل المشاهدة علىٰ ثلاثة أحوال: الأول منهم الأصاغر، وهم المريدون والثاني: الأواسط وهؤلاء قال فيهم الخراز: الخلق في قبضه الحق وفي ملكه، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سره ولا في همه غير الله تعالىٰ والثالث: ما أشار إليه عثمان المكي إن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت فشاهدوه بكل شيء وشاهدوا كل الكائنات به فكانوا غائبين حاضرين وحاضرين غائبين.

المعجم الصوفي (ص٢٣٢)

خرص المتخرِّصين، وسوء تأويل الجاهلين، ويكون بيانًا لمن أراد سلوك طريقه مفتقرًا إلىٰ الله تعالىٰ في بلوغ تحقيقه ....

ولا يحصل منه فائدة غير أنه يعلم أن في الموضع الذي يجيء الدخان عنه نار وهذا العلم لا يفعل فعل النار الذي هو الحرارة، فعلم من هذا التقرير أن المصنف إنما كشف ووصف ما يسعه لسان العلم[١] لا ما يقتضيه حقيقة الحق.

قوله: خرص المتخرصين.

أي: كذب المختلقين، ويكون الخرص بمعنى الحرص والتقدير، ويجوز أن يحمل لفظ المصنف هنا علىٰ ذلك أيضًا.

وسوء تأويل[٢] الجاهلين.

يعني إذا علم مراد القوم بإشاراتهم وبما يقع من الاستعارات في عباراتهم، انتفى عنه سوء تأويل الجاهلين بمرادهم، فإن لكل طائفة اصطلاحات وعبارات من لم يتمرن فيها لم يهتد إلىٰ المراد بها، فيقع في الجهل والغلط وسوء الظن بأهلها.

قوله: ويكون بيانًا إلىٰ قوله: في بلوغ تحقيقه.

عطف علىٰ قوله: وينتفي عنهم، أي وضعت هذا الكتاب لأجل أنه لو أراد شخص سلوك هذا الطريق ولم يجد من يهديه إلىٰ هذا الطريق، فكتابنا هذا يهديه الطريق.

قوله: مفتقرًا إلىٰ الله.

حال عن الضمير الفاعل في أراد، يعني مع كون هذا الكتاب بيانًا له ينبغي أن

---

(١) اللسان معناه البيان عن علم الحقائق ولسان العلم ما تأدى إلينا بواسطة ولسان الحقيقة ما تأدى إلينا بلا واسطه ولسان الحق ما ليس للخلق إليه طريق.

يقول الجيلي: لسان الحق هو الإنسان الكامل وقال غيره ولسان الحق هو الإنسان المتحقق بمظهرية الاسم المتكلم أو الإنسان الكامل.

المعجم الصوفي (ص٢١٢)

(٢) التأويل هو صرف الآية إلىٰ معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه المؤول يوافق الكتاب والسنة، ولذلك فهو يختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ويقول أبو الدرداء: وهذا كلام يحرض كل طالب همة أن يصفي موارد كلام القرآن ويفهم دقيق معانيه.

المعجم الصوفي (ص٤٧)

بعد أن تصفحت كتب الحذاق فيه. وتتبعت حكايات المتحققين له بعد العشرة لهم والسؤال عنهم. وسميته بكتاب "التعرف لمذهب أهل التصوف" إخبارًا عن الغرض بما فيه.

وبالله أستعين وعليه أتوكل وعلى نبيه أصلي وبه أتوسل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يكون له مع الله فقر صادق في بلوغ تحقيق هذا الطريق ليجد الطريق، فإن المتعلم من غير صدق الافتقار[1] إلىٰ الله لم يجد سبيلًا، أو هو حال عن فاعل وضعت بعد أن تصفحت.

يريد أن رسم ما ذكر في هذا الكتاب والكشف والوصف إنما كان بعد أن تتبعت كتب الأستاذين والمهرة في هذا الطريق، والمتحققين به.

والتصفح إنما كان بعد المخالطة بهم والسؤال عنهم.

قوله: إخبارًا. مفعول له لقوله وسميته، أي وسميته بما ذكر لأجل الإخبار عن الغرض في هذا الكتاب، وهو تعرف مذهب التصوف.

وفي بعض النسخ: عن الغرض فيه، وفي البعض الآخر: بما فيه، والأول أوجه: أي عن الغرض في تصنيف هذا الكتاب، واللام في قوله لمذهب أهل التصوف تتعلق بقوله التعرف.

❋ ❋ ❋

---

(١) نعت الفقير الصوفي: السكون عند العدم، والبذل والإيثار عند الوجود، ويقول الجنيد: إذ لقيت الفقير -يقصد الصوفي- فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه، وقيل ليس الفقر عند الصوفية الفاقة والعدم ولكن الفقر المحمود الثقه بالله تعالىٰ والرضا بما قسم.
المعجم الصوفي (ص١٩٤)

الباب الأول
قَوْلهُم فِي الصُّوْفِيَّة لِمَ سُمّيت الصُّوْفِيَّةُ صُوْفِيَّة

قالت طائفة: إنما سميت الصوفية صوفية: لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها.

وقال بشر بن الحارث: الصوفي: من صفا قلبه لله.

وقال بعضهم: الصوفي: من صفت لله معاملته، فصفت له من الله كرامته.

قوله: باب لم سميت الصوفية صوفية[1]

قالت طائفة: لصفاء أسرارها ونقاء آثارها.

يريد بنقاء الآثار طهارة الظاهر عن المخالفات فإنها من آثار صفاء الأسرار عن الكدورات قوله: **وقال بشر بن الحارث الصوفي: من صفا قلبه**، أي بأن لا يكون في قلبه سوى محبة الله، ولا يشتغل بشيء سواه، وذلك أن قلب المؤمن محل نظر الله تعالى، فيجب أن يكون صافيًا عما سواه.

قال سهل بن عبد الله إنه لم يخلق الله خلقًا أعز من قلب المؤمن، ولذلك جعله محل معرفته التي هي أعز عطاياه، فأحسن الناس همة من جعل أعز الأشياء محلًا لأحسنها وهو حب الدنيا.

قوله: وقال بعضهم: الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله كرامته.

---

(١) يقول القشيري في رسالته: إن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسميه سوى صحبة رسول الله ﷺ فقيل لهم: الصحابه ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت مراتبهم فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق وانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة.

انظر الرساله القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم القشيري

وقال قوم: إنما سموا صوفية: لأنهم في الصف الأول بين يدي الله؛ بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.

وقال قوم: إنما سموا صوفية: لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُّفَّة[1]

صفاء المعاملة سلامتها من المفسدات كالرياء والعجب، وذلك بالإخلاص والصدق.

والفرق بينهما أن الإخلاص هو التوقي عن ملاحظة الخلق، والصدق التنقي عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق لا إعجاب له.

ومن صفاء المعاملة عدم رؤيتك لها، وهو الإخلاص في الإخلاص.

قوله: يعني ارتفاع هممهم إليه وإقبالهم بقلوبهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.

يريد بارتفاع هممهم إعراضهم عما سواه خوفًا من الانقطاع عن الله تعالىٰ.

وما أعلا همة من لا يطلب إلَّا إياه.

ومعنى الوقوف بسرائرهم بين يديه أن لا يحجبهم مقام وإن كان أعلا المقامات عن الله، فمن رضي بمقامه حجب عن إمامه.

قوله: وقال قوم: سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُفّة، وهم قوم زوى الله عنهم الدنيا إبقاء عليهم وصونًا لهم لئلا يطغوا، فصاروا في حماه محفوظين من الأثقال، محروسين من الأشغال، لا تشغلهم الأموال ولا تغيرهم الأحوال.

---

(١) ليس لدينا روايات كتابية وثيقة من القرنين الأول والثاني ورد فيها اسم الصوفي ولعل أقدم ما وصلنا من مؤلفات ذكرت اسم الصوفي والصوفية هو كتاب البيان والتبيين للجاحظ المتوفى (٢٥٠ أو ٢٥٥ هـ) إذ يذكر الصوفية من النساك ويورد أسماء من عرف بالفصاحة منهم.
وقد ذهب قوم من عامة الصوفية إلىٰ أن التصوف منسوب إلىٰ أهل الصفة ويرد هذا القول كثير من العلماء منهم ابن الجوزي الذي يقول: ونسبة الصوفي إلىٰ أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صُفّي.

انظر تاريخ التصوف من البداية حتى نهاية القرن الثاني للدكتور عبد الرحمن بدوي (ص٨) وكذلك تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٢٣٣)

الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ . وقال قوم: إنما سموا صوفية: للبسهم الصوف، وأما نسبتهم إلىٰ الصُّفَّة والصوف: فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم، ....

عن الحسن قال: بنيت صُفّه في مسجد النبي ﷺ لضعفاء المسلمين يوصلون إليها ما استطاعوا من خير.

وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول: «**السلام عليكم يا أهل الصُّفّة**»، فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله.

فيقول: «**كيف أصبحتم؟**»، فيقولون: بخير.

فيقول: **أنتم اليوم خير، أم يوم يُغَدى علىٰ أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى، وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة**».

فقالوا: نحن يومئذ خير، يعطينا الله فنشكر.

فيقول: «**بل أنتم اليوم خير**»(١).

قوله: وقال قوم: للبسهم الصوف.

وإنما اختاروا لبسه لأنه أرفق، ولكونه كان لباس الأنبياء وشعار الصالحين.

وقد اختار هذا القول بعض المحققين من المتأخرين لأن غير هذا المعنى يتضمن الدعوى بخلاف هذا، وكلما كان أبعد عن الدعوى كان أليق بحالهم ولا بأس بإظهار التحمل للناس فقد كان رسول الله ﷺ كان له ما يلبسه للوفود.

رأى جعفر الصادق بعض أصحابه وعليه ثوب من خز، فقال له: يا ابن رسول الله ليس هذا من زي أهل بيتك.

فقال: هذا للخلق، وهذا ـ وأشار إلىٰ عباءة كانت تحته ـ للحق.

قوله: وأما من نسبهم إلىٰ الصفة والصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم.

---

(١) أخرجه: أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٤٠) . والحاكم في المستدرك (٣/ ١٥، ٦٢٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٢٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٧٢) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٨)، والطبري في تفسيره (٢٦/ ١٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١١١، ٤/ ١٠).

وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد[١] ....

وذلك انهم قوم تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد وأجاعوا الأكباد وأعروا الأجساد، يعني وهذه كانت أحوال أهل الصُّفّة، تركوا الدنيا، لأن عزها ذل وكثّرُها قُلّ بل متاع الدنيا قليل.

«لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء»[٢].

دخل حاتم علىٰ الخليفة فقال: السلام عليك يا زاهد فقال: لست بزاهد، وكيف أكون زاهدًا والدنيا كلها لي وتحت حكمي.

قال له حاتم[٣]: بل أنت زاهد، فإن الزاهد من قنع بالقليل، والدنيا كلها قليل وقد قنعت بها، وإنما خرجوا عن الأوطان فرارًا من التعزز والتكثر بالإخوان والخلان، واعتمادًا علىٰ الكريم المنان وتوكلًا عليه وتأسيًا بالنبي ﷺ، وقطعًا

---

(١) يلخص ابن الجوزي رأيه عن مراحل ظهور التصوف فيقول إن التصوف بدأ أولاً في شكل زهد وعبادة وكان عند الصدر الأول منهم في شكل مجاهدة النفس للاستقامة وتقويمًا لها وحملها علىٰ الصراط المستقيم حتى يصير تهذيبًا خلقًا جبلية، يقول في نفحات الإنس للجامي: إن أول من حمل اسم صوفي هو أبو هاشم الكوفي بينما يترجم مقدمو الصوفية لأبي هاشم بالزاهد ومنهم أبو نعيم في حلية الأولياء، ونسبه ابن الجوزي في صفة الصفوة إلىٰ الزهد ولم ينسبه إلىٰ التصوف.

انظر الجامي في نفحات الإنس ص٦٦ وحلية الأولياء (١٠/ ١١٢)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦) والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٧٧)، والشجري في أماليه (٢/ ١٦٠، ١٦١، ١٦٥). والزبيدي في الإتحاف (٨/ ٧٩، ٨٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ١٧٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٨)، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٨٦، ٩٤٣).

(٣) حاتم بن عنوان بن يوسف أبو عبد الرحمن المشهور بحاتم الأصم وقيل حاتم بن يوسف، وهو مولي للمثنى بن يحيى المحاربي، صحب شقيقًا ومن أقواله: لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه وكلامك يعرض علىٰ الله تعالىٰ فلا تحترز، وقال: تعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك وإذا سكت فاذكر علم الله فيك.

صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٥٠، ٥١)

لم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه من ستر عورة، وسد جوعة، فلخروجهم عن الأوطان سموا: غرباء، ....

للمألوف، إذ السكون والركون إلىٰ غير الله في طريقهم حرام، ولما في الأسفار من الفوائد التي تعود علىٰ المسافر وإنما هجروا الإخوان لما في الاعتماد علىٰ غير الله من الذل والهوان، فكل ما سواه فان.

والعاقل إنما يتوكل ويعتمد علىٰ من إذا طلبه وجده لا علىٰ من إذا طلبه فقده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وإنما ساحوا في البلاد طلبًا للاعتبار والاستبصار ورغبة في صحبة الصالحين والأخيار، وإنما أجاعوا الأكباد قهرًا للنفوس وقمعًا للشهوات وسدًا لمجاري الشيطان[١]، وإنما اعروا الجساد لمثل ذلك، فإنه من جملة الرياضات.

قوله: لم يأخذوا من الدنيا إلّا ما لا يجوز تركه من ستر عورة وسد جوعة.

وهذا في الحقيقة ليس في الدنيا، إذ يستعان به علىٰ الآخرة.

ومن اقتصر علىٰ قدر الضرورة لم يحرم عليه شيء، كأكل الميتة في المخمصة، والدنيا عند هؤلاء مثلها مثل الجيفة.

قوله: فلخروجهم عن الأوطان سموا غرباء[٢].

والغربة صفة مطلوبة اختارها ﷺ لنفسه وللمهاجرين.

---

(١) اختلف الصوفية في قوله تعالىٰ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] علىٰ رأيين الأول: إن الشياطين كلهم ولد إبليس إلّا أنه جعلهم علىٰ قسمين، فقسم يوسوس للإنسان، وهؤلاء شياطين الإنس، وقسم يوسوس للجن، وهؤلاء شياطين الجن والثاني أن الشيطان هو كل عات متمرد من الإنس والجن.

المعجم الصوفي (ص١٣٩)

(٢) يسمى الصوفية غرباء لخروجهم عن الأوطان وما من بلد فيه من الصوفية أحياءً وأمواتًا، إلا وهم من الغرباء، والصوفي بطبعه ميال للأسفار ويسمونه طيارًا لهذا السبب، وهو غريب وإن كان قريبًا لأن قربه من الله تعالىٰ وليس من الأغيار، ويروىٰ عن الرسول ﷺ أنه قال: **«أحب شيء إلىٰ الله الغرباء، قيل وما الغرباء يا رسول الله؟ قال: الفرارون بدينهم»**.

وتقال الغربة في الاغتراب عن الحال، والغربة عن الحق غربة عن المعرفة بالدهش.

المعجم الصوفي (ص١٨٣)

ولكثرة أسفارهم سموا سياحين. ومن سياحتهم في البراري وإيوائهم إلىٰ الكهوف عند الضرورات سماهم بعض أهل الديار: "شكفتية" والشكفت بلغتهم: الغار والكهف.

وأهل الشام سموهم: "جوعية"؛ لأنهم إنما ينالون من الطعام قدر ما يقيمون به الصلب للضرورة[١].

قوله: ولكثرة أسفارهم سموا سياحين.

وقد أثنى الله علىٰ السياحين في قوله: ﴿التَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾.

وعاب من ترك السياحة والمهاجرة، وإمام في مكان لا يمكنه إظهار دينه بقوله: ﴿أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء: ٩٧].

وقوله: ومن سياحتهم في البراري وإيوائهم إلىٰ الكهوف عند الضرورات سموا شكفتية. والشكفت بلغتهم: الغار والكهف.

وهذا كله فرار منهم إلىٰ الله تعالىٰ من الناس.

وفي الحديث: «**يأتي علىٰ الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه حتى يفر من شاهق إلىٰ شاهق، ومن جبل إلىٰ جبل**»، ولهم في إيوائهم إلىٰ الغار أسوة حسنة بأصحاب الكهف. وقد أوى النبي ﷺ مع أبي بكر إلىٰ الغار عند خروجهما للهجرة.

قوله: وأهل الشام سموهم جوعية لأنهم إنما ينالون من الطعام قدر ما يقيمون به الصلب للضرورة.

---

(١) لخص الدكتور عبد المنعم الحفني في المعجم الصوفي سبب التسميه فقال: سمي صوفي لأنه في الصف الأول بين يدي الله بارتفاع همته إليه وإقباله بقلبه عليه أو لقرب اسمه من اسم أهل الصفة وأوصافهم علىٰ عهد النبي ﷺ أو لأنه يلبس الصوف الذي يعبر عن ظاهره أحواله وذلك أنه قد ترك الدنيا وخرج عن الأوطان وساح في البلاد وأجاع الكبد وأعرى الجسد ولم يأخذ من الدنيا إلا ما يستر عورته ويسد جوعه ولخروجهم عن البلاد سموا الغرباء ولكثرة أسفارهم سموا سياحين ومن سياحاتهم الكثيره في الغياض والقفار وأبوائهم إلىٰ الكهوف سموا شكفتية والشكفت هو الغار والكهف وأهل الشام يسمونهم جوعيه لأنهم لا يتناولون من الطعام إلا بقدر ما يقيم الصلب للضروره .

المعجم الصوفي (ص١٥٢).

كما قال النبي ﷺ: «**بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه**»[١].

وقال السري السقطي ووصفهم فقال: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى، وكلامهم كلام الخرقى ومن تخليهم عن الأملاك سموا فقراء.

لحديث: «**حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه**»[٢].

قال السري: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى.

قيل لابن أدهم: الفقير إذا جاع يومًا ما يصنع؟

قال: يصبر.

قيل: فإن جاع يومين، قال: يصبر.

قيل: فإن جاع ثلاثة أيام، قال: يصبر.

قيل: فإن مات بعد ذلك، قال: ديته علىٰ قاتله ثم قال: من كان قاتله مولاه فديته لقاه.

قوله: ومن تخليهم عن الأملاك سموا فقراء.

في الحديث: «**إن الفقر أزين علىٰ المؤمن من العذار الجيد علىٰ خد الفرس**».

ويكفي الفقير شرفًا وفضلًا أن اعتماده علىٰ مولاه واعتماد الغني علىٰ غناه.

وتقرب الغني إلىٰ الفقير يقربه من الله، وتقرب الفقير إلىٰ الغني يبعده عن الله تعالىٰ، وأفضل ما تقرب به العبد إلىٰ الله تعالىٰ تقربه إليه بما ليس لديه وهو الفقر.

---

(١) تأتي تخريجه قريبًا.

(٢) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٣٨٠)، وابن ماجة في سننه (٣٣٤٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣١)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٨/ [illegible]، ١٣٤٩)، والدارمي في سننه (٢١٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٦)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٢١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٨٠)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٥١)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (٢١٤) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٠٤)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٢٧٩).

قيل لبعضهم: من الصوفي؟
قال: "الذي لا يملِك ولا يُملَك" يعنى: لا يستَرِقّه الطمع.

فتقربوا إليه بالافتقار إليه.

قوله: وقيل لبعضهم: من الصوفي؟ قال: الذي لا يَملك ولا يُملك، يعني لا يسترقه الطمع.

أي لا يملكه غير مالكه الحقيقي، فهو حُرّ عن الأكوان وأما أنه لا يَملك فلأنه عبد عبودية لا يتصور مفارقتها.

والعبد لا يكون مالكًا ولو لم يكن للعبد من الفضل إلَّا أن سيده هو المتكفل بمصالحه لكان فيه الكفاية، ولمّا خيرّ ﷺ بين العبودية[١] والنبوة، وبين الملك والنبوة، فاختار أن يكون عبدًا نبيًّا، وقد قدمت عبوديته علىٰ رسالته في الشهادة حيث قيل: وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

وعبر عنه باسم العبد في أشرف أحواله وأفضلها فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسرَاء: ١].

ومن هنا قال الشاعر:

لا تدعني إلَّا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

---

(١) العبادة لعوام المؤمنين والعبودية لخواصهم وهي أن ترضى بما يفعل ربك.
والعبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموعود والحفظ للحدود، والصبر علىٰ المفقود.
وقيل العبودية ثلاثة: منع النفس عن هواها وزجرها عن مناها والطاعة في أمر مولاها.
وقيل: نهاية العبودية الحرية وإنما غلطت تلك الفرقة التي توهمت أن العبد ما دام بينه وبين الله تعالىٰ تعبد فهو مسمى باسم العبوديه فإذا وصل إلىٰ الله فقد صار حرًا، وإذا صار حرًا فقد سقطت عنه العبودية وخفى علىٰ هذه الفرقه أن العبد لا يكون في الحقيقه عبدًا حتى يكون قلبه حر من جميع ما سوى الله ﷻ فعندئذ يكون في الحقيقة عبدًا لله.
المعجم الصوفي (ص١٧٣)

وقال آخر: "هو الذي لا يملك شيئًا، وإن ملكه بَذَلَه"[١].

ومن لبسهم وزيهم سموا: "صوفية"؛ لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مسه، وحسن منظره، وإنما لبسوا لستر العورة، فتجزوا بالخشن من الشعر، والغليظ من الصوف. ثم هذه كلها أحوال أهل الصُّفَّة، الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله؛ فإنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين، أخرجوا من ديارهم وأموالهم.

قوله: وقال آخر: هو الذي لا يملك شيئًا، وإن ملكه بذله.

أي وإن كان محتاجًا، قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الآية.

قوله: ومن لبسهم وزيهم سموا صوفية، لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مسه وحسن منظره، وإنما لبسوا لستر العورة، فتحرّوا بالخشن من الشعر، والغليظ من الصوف.

أي وكذلك حالهم في غير اللبس، فكان اختيارهم للبس الخشن لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة لاستغراقهم في أمر الآخرة، فلم يتفرغوا لملاذ الدنيا والنفوس وراحاتها.

قوله: ثم هذه كلها أحوال أهل الصُّفّة الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ فإنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم[٢].

---

(١) يقول الشبلي: الصوفي في كل عهد موفق وقال: التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك، وقال: الصوفي الذي لا يرى في الدارين مع الله غيره، وقال أيضًا: هو المنقطع عن الخلق غير متصل بالحق.

وقال أيضًا: هو الذي لا يملك شيئًا ولا يملكه شيء. وقال: الصوفية أطفال في حجر الحق، وقال أبو علي الروذباري: الصوفي من رمى الحركات بالأفكار وسكن عند مجاري الأقدار، ولم يتناول الرفق إلا بمقدار.

انظر تهذيب الأسرار لعبد الملك بن محمد النيسابورى ص ٢٩

(٢) الصُفّة نسبة إلىٰ صُفّة مسجد الرسول ﷺ في المدينة وكان فقراء المهاجرين يأوون إليها وينامون ويأكلون تحتها وهم أوائل الصوفية ذكرهم القرآن فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وكان منهم ابن أم مكتوم الذي عاتب الله تعالىٰ نبيه ﷺ في =

ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا: يخرون من الجوع[١] حتى تحسبهم الأعراب مجانين، وكان لباسهم الصوف حتى إن كان بعضهم يعرق فيه فيوجد منه ريح الضأن إذا أصابه المطر.

هذا وصف بعضهم لهم حتى قال عيينة بن حصن للنبي ﷺ: **«إنه ليؤذيني ريح هؤلاء، أما يؤذيك ريحهم»**.

ثم الصوف: لباس الأنبياء، وزيّ الأولياء. وقال أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ: **«إنه مرّ بالصخرة من الرّوحاء سبعون نَبِيًا، حفاة، عليهم العَبَاء، يؤمُّون البيت العتيق»**[٢].

كانوا يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين وكان لباسهم الصوف فيعرقوا فيه فيوجد منه ريح الضأن إذا أصابه المطر.

قوله: ثم الصوف لباس الأنبياء، وزي الأولياء قال أبو موسى الأشعري، عن النبي ﷺ أنه قال: «مرّ بالصخرة من الروحاء سبعون نبيًا حفاة عليهم العباء يؤمون البيت العتيق»[٣]. والمراد بالبيت العتيق هو الكعبة، سمي البيت عتيقًا، لأن العتيق هو القديم[٤]. **يؤمون** أي يقصدون من أم يؤم، إذا قصد.

= شأنه فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عَبَسَ: ١] فكان إذا رآه رسول الله ﷺ بعد ذلك يقول: **«يا من عاتبني فيه ربي عز وجل»**.

المعجم الصوفي (ص١٤٧)

(١) الجوع عند الصوفية علىٰ أربعة أوجه جوع للمريدين فهو رياضة، وجوع للتائبين فهو تجربه، وجوع للزهاد فهو سياسة، وجوع للعارفين فهو مكرمة .

المعجم الصوفي (ص٦٩)

(٢) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٢٠).

(٣) تقدم تخريجه من قبل.

(٤) الحديث تقدم تخريجه وهو في مجمع الزوائد (٣/ ٢٢٠) والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٥)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٣٦)، وابن حجر في تلخيص الحبير (٢/ ٢٤٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٦٠)، وبلفظ: «لقد مرَّ به (بهذا الوادي) هود وصالح أخرجه: أحمد في مسنده (١/ ٢٣٢)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٩٧)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم في علل الحديث (١٨٥٢).

وقال الحسن: كان عيسى يلبس الشَّعر، ويأكل من الشجرة، ويبيت حيث أمسى.

وقال أبو موسى: "كان النبي ﷺ يلبس الصوف، ويركب الحمار، ويأتي مدعاة الضعيف"[(١)].

وقال الحسن البصري: "لقد أدركت سبعين بدريا، ما كان لباسهم إلا الصوف"، فلما كانت هذه الطائفة بصفة "أهل الصُّفّة" فيما ذكرنا، ولبسهم وزيهم زي أهلها، سموا "صُفِّيَّة"، و"صوفية".

ومن نسبهم إلىٰ الصُّفَّة والصف الأول: فإنه عبر عن أسرارهم وبواطنهم.

ويأتي مدعاة الضعيف، أي دعوته أو موضع دعوته.

سبعين بدريًا: يريد بهم الذين حضروا حرب بدر مع رسول الله ﷺ.

وهو موضع، وقيل: بئر، أو اسم ماء كانت بين مكه والمدينة لرجل يدعى بدرًا، فسمي به.

قوله: فلما كانت هذه الطائفة ـ يعني الصوفية ـ **بصفة أهل الصُّفة فيما ذكرنا**، من أن لبسهم ليس لحظوظ النفس بل لستر العورة فتزيّوا بالخشن وأنهم غرباء فقراء مهاجرون، وزيهم لبس أهل الصُّفّة وغير ذلك من صفات أهل الصُّفّة[(٢)] التي مرّ ذكرها.

---

(١) أخرجه: الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٠)، وابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٥٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦١)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٢٩، ٢٣٠)، والزبيدي في الإتحاف (٩/ ٣٥١).

وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ٦٣)، وفي أخلاق النبوة (١٢٢).

(٢) كان أبو موسى الأشعري يشبه رائحتهم برائحه الشاة من لبس العباءة.

وفي الخبر أن النبي ﷺ كثيرًا ما كان يقف علىٰ الجماعة منهم وقد استتر بعضهم ببعض من العري وقارئ يقرأ عليهم القرآن وهم يبكون، وقد قبل لهذا إن أصل تسمية الصوفية من أصل الصُّفة.

المعجم الصوفي (ص١٤٧)

وذلك أن من ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها، صفَّى الله سره، ونوّر قلبه.

قال النبي ﷺ: «**إذ دخل النور في القلب انشرح وانفسح**».

قيل: وما علامة ذلك يا رسول الله؟

قال: «**التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلىٰ دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله**»[١]. فأخبر النبي أن من تجافى عن الدنيا نور الله قلبه.

وقال حارثة حين سأله النبي ﷺ: «**ما حقيقة إيمانك؟**»، قال: عزفت بنفسي عن الدنيا، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلىٰ عرش ربي بارزًا، وكأني أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعاوون"، فأخبر أنه لما عزف عن الدنيا، نور الله قلبه، فكان ما غاب منه بمنزلة ما يشاهده.

وقال النبي ﷺ: «**من أحب أن ينظر إلىٰ عبد نور الله قلبه، فلينظر إلىٰ حارثة**».

فأخبر أنه منوّر القلب، وسميت هذه الطائفة: "نورية"[٢] لهذه الأوصاف، وهذا أيضًا من أوصاف أهل الصفة.

قوله: وقال حارثة حين سأله النبي عليه الصلاة والسلام قال: «كيف أصبحت يا حارثة». فقال: أصبحت مؤمنًا حقًا.

قال: «**إن لكل حقٍ حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟**».

وهذا الحديث قد مرّ مشروحًا.

---

(١) أخرجه: الزبيدي في اتحاف السادة المتقين (٩/ ٣٢٧، ٣٢٨، ١٠/ ٢٥٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٤، ٥/ ٣٢٥)، وابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٢٨) والقرطبي في تفسيره (٢/ ١٠٤، ٧/ ٨١).

(٢) سميت الصوفية بالنورية لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**من أحب أن ينظر إلىٰ عبد نور الله قلبه فلينظر إلىٰ حارثة**» فأخبر أنه منور القلب وقال: «**إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسخ**» قيل: وما علامة ذلك يا رسول الله؟ قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلىٰ دار =

قال الله تعالىٰ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [التوبة: ١٠٨] ، والتطهر: بالظواهر عن الأنجاس، وبالبواطن عن الأهجاس، وما يتحرك في الضمير من الخواطر.

وقال الله تعالىٰ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] .

ثم لصفاء أسرارهم تصدق فراستهم.

قال أبو أمامة الباهلي عن النبي: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله**»[١] وقال أبو بكر الصديق ﷺ: ألقي في روعي: أن ذا بطن بنت خارجة " ، فكان كما قال. وقال النبي: «**إن الحق لينطق علىٰ لسان عمر**»[٢] .

والأهجاس جمع هاجس[٣] علىٰ غير قياس، وهو ما يدخل في الضمير من الأمور النفسانية.

قوله: ألقي في روعي، أي في قلبي، أن ذا بطن، أي صاحب بطن. وفي رواية: أنّ في بطن، وكلاهما واحد في المعنى.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الحق لينطق علىٰ لسان** ....

= الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله، والنورية فرقة من المتصوفة غلطوا في الأنوار وزعموا أنهم يرون أنوارًا وأن قلوبهم فيها أنوار من الأنوار التي وصف الله تعالىٰ بها نفسه.
المعجم الصوفي (ص٢٤٨)

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٣١٢٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤/ ٩٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٢١) .

(٢) أخرجه: ابن عدي في الكامل (٤/ ١٥٣٥)، وابن سعد في الطبقات (٢/ ٩٩)، وفي تهذيب تاريخ أصبهان (١/ ٣٥٤٠).

(٣) الهاجس يعبرون به عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الرباني، وهو لا يخطئ أبدًا وقد يسمونه السبب الأول ونقر الخاطر، فإذا تحقق في النفس سموه إرادة فإذا تردد الثالثة سموه همة وفي الرابعة سموه عزمًا، وعند التوجه إلىٰ القلب إن كان خاطر فعل سموه قصدًا، ومع الشروع في الفعل سموه نية.

المعجم الصوفي (ص٢٥٢)

وقال أويس القرني لهرم بن حيان ـ حين سلم عليه ـ: وعليك السلام يا هرم ابن حيان[١]، ولم يكن رآه قبل ذلك! ثم قال له: عرف روحي روحك.

وقال أبو عبد الله الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق، فجالسوهم بالصدق؛ فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في أسراركم، ويخرجون من هممكم، ثم من كان بهذه الصفة (من صفوة سره، وطهارة قلبه، ونور صدره)، فهو في الصف الأول، لأن هذه أوصاف السابقين.

قال النبي ﷺ: «**يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب**»[٢].

عمر»[٣] . يريد أنه صادق الفراسة.

وفراسته توافق إرادة الحق، فكان يوقع الحق في قلبه ما هو كذلك في نفس الأمر، ويجريه علىٰ لسانه، فكان كأن الحق ينطق علىٰ لسانه.

قوله: يدخلون في أسراركم.

بمعنى أنه يدخل سره في سره، ويعلم ما في سره بحسب الفراسة.

ويخرجون من هممكم، أي من مقاصدكم، يريد أنهم يعلمون مقاصدكم.

---

(١) هرم بن حيان العبدي البصري، كان عاملاً لعمر بن الخطاب ﷺ بعثه عمر إلىٰ الخليل فغضب رجل فأمر به فوجئت ـ أي ضربت ـ عنقه ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال: لا جزاكم الله خيرًا ما نصحتموني حين قلت، ولا كففتموني عن غضبي والله لا ألي لكم عملاً ثم كتب إلىٰ عمر يا أمير المؤمنين لا طاقة لي بالرعيه فابعث إلىٰ عملك ومن أقواله: ما رأيت كالنار نام هاربها ولا كالجنة نام طالبها، وقال: ما آثر الدنيا علىٰ الآخرة حكيم ولا عصى الله كريم وقال أيضًا: صاحب الكلام علىٰ إحدى المنزلتين: إن قصر فيه حصر وإن أغرق فيه أثم وقال: لو قيل لي: إنك من أهل النار لم أترك العمل لئلا تلومني نفسي فتقول: لم فعلت؟ لم صنعت؟ صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٢٢، ٣٢٣)

(٢) تأتي تخريجه.

(٣) الحديث تقدم تخريجه، وبلفظ: «**جعل الله الحق علىٰ لسان عمر**» أخرجه: أبو داود في سننه (٢٩٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٩٢)، والزيلعي في نصب الراية (٣/ ٤٣٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٨١).

ثم وصفهم وقال: «**الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكوون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**».

فلصفاء أسرارهم وشرح صدورهم ولضياء قلوبهم، صحت معارفهم بالله، فلم يرجعوا إلىٰ الأسباب، ثقة بالله، وتوكلًا عليه، ورضا بقضائه، فقد اجتمعت هذه الأوصاف كلها، ومعاني هذه الأسماء كلها، في أسامي القوم وألقابهم.

قوله: ولا يرقون ولا يسترقون[1]. الرقية تعويذ الغير، والنفث في عوذته.

والاسترقاء طلب الرقية من الغير لنفسه.

والكي باعتبار الغير، والاكتواء باعتبار نفسه.

يقال: كواه بالنار، أي أحرقه، واكتوى أي كوى نفسه والمراد في الحديث من قوله: لا يرقون، أي أنفسهم **ولا يسترقون** أي لا يطلبون الرقية من الغير لأنفسهم **ولا يكوون** أي أنفسهم، **ولا يكتوون** أي لا يطلبون الكي من الغير لأنفسهم.

يريد أنهم لا يعتقدون أن الشفاء إنما حصل منها بل من الله ﷻ.

قوله: صحت معارفهم بالله.

لأن عدم صحة المعارف لحصول الحجب علىٰ البصائر، فإذا صقلت البصائر وصفيت تتصور الأشياء كما هي.

قوله: وقد اجتمعت هذه الأوصاف كلها.

وهي أحوالهم الظاهرة من ترك الدنيا والخروج عن الأوطان وهجر الأخدان والسياحة في البلاد، وإجاعة الأكباد وإعراء الأجساد.

---

(١) قال النووي: قال المازري في معنى هذا الحديث: احتج بعض الناس بهذا الحديث علىٰ أن التداوي مكروه ومعظم العلماء علىٰ خلاف ذلك، واحتجوا بما وقع في أحاديث كثيرة من ذكره ﷺ لمنافع الأدوية والأطعم كالحبة السوداء والقسط والصبر وغير ذلك وبأنه ﷺ تداوى وبأخبار عائشة ؓ بكثيرة تداويه وبما عم من الاستشفاء برقاه، وبالحديث الذي فيه أن بعض الصحابة أخذوا علىٰ الرقي أجرًا فإذا ثبت هذا حمل ما في الحديث علىٰ قوم يعتقدون أن الأدويه نافعة بطبعها ولا يفوضون الأمر إلىٰ الله.

النووي في شرح مسلم (٣/ ٧٦) طبعة دار الكتب العلمية

وصحت هذه العبارات، وقربت هذه المآخذ.

وإن كانت هذه الألفاظ متغيرة في الظاهر، فإن المعاني متفقة؛ لأنها إن أخذت من "الصفاء[1] والصفوة" كانت صَفَويَّة.

وإن أضيفت إلىٰ "الصفّ أو الصُّفَّة" كانت صَفِّيَّة أو صُفِّيَّة.

وأسرارهم الباطنة من تصفية الله سرّهم، وتنور الله قلوبهم بعد تركهم الدنيا والزهد فيها والإعراض عنها.

ومعاني هذه الأسماء، وهي الصُّفة والصوف والصفوة والصف الأول.

في أسامي القوم، وهي صفية وصوفية وصفية وصفوية ونورية وغرباء وشكفتيه وغير ذلك **وصحت هذه العبارات**، يعني أساميهم المذكورة بحسب المعنى وإن لم يصح في بعضها من حيث الاشتقاق اللغوي، كما ذكر في المتن.

وقربت هذه المآخذ والمأخوذ، أي ما أخذ هذه العبارات، وهي الألفاظ والمعاني التي أخذت هذه العبارات منها.

أي تقاربت المأخذ والمأخوذ منها بحسب المعنى.

وإن كانت هذه الألفاظ متغيرة في الظاهر، وهي الصفا والصفوة، والصف والصفوة والصوف، **فإن المعاني متفقة** في الحقيقة، **لأنها** الصوفية **إن أخذت إلىٰ آخره**، الصوفية بحسب اللغة منسوب إلىٰ الصوف، وأنث لأنها صفة لموصوف مؤنث محذوف. أي الطائفة الصوفية.

وإن أُضيفت إلىٰ الصف أي نسبت إليه، وإن كانت من الصف **أو الصفة** فزيادة

---

(١) الصفاء ما خلص من ممازجه الطبع ورؤية الفعل من الحقائق في الحين قال الجريري: ملاحظه ما صفا بالصفاء جفاء، لإن معه ممازجة الطبع ورؤية الفعل.

وقال ابن عطاء: لا تغتروا بصفاء العبودية فإن فيها نسيان الربوبية، لأنها ممازجة بالطبع ورؤية الفعل، وقال الكتاني: الصفاء مزايلة المذمومات أو مزايلة الأحوال والمقامات والدخول في النهايات وصفاء الصفاء إبانة الأسرار عن المحدثات لمشاهدة الحق بالحق علىٰ الاتصال. المعجم الصوفي (ص١٤٥)

ويجوز أن يكون تقديم "الواو" علىٰ "الفاء" في لفظ "الصوفية"، وزيادتها في لفظ "الصَّفِّيَّة والصُّفِّيَّة"، إنما كانت من تداول الألسن.

وإن جعل مأخذه من "الصوف"، استقام اللفظ، وصحت العبارة: من حيث اللغة.

وجميع المعاني كلها من التخلي عن الدنيا، وعزوف النفس عنها، وترك الأوطان، ولزوم الأسفار، ومنع النفوس حظوظها.

وصفاء المعاملات، وصفوة الأسرار، وانشراح الصدور، وصفة السباق.

وقال بندار بن الحسين: الصوفي: من اختاره الحق لنفسه فصافاه، وعن نفسه برأه، ولم يرده إلىٰ تعمل وتكلف بدعوى.

الواو من تداول (الألسن من) الناس، أو من إشباع الضمير إن كانت من الصفة.

وإن جعل مأخذه، أي مأخذ لفظ الصوفية، (**من الصوف استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة**)[1]، وإن أخذت من الصفا والصفوة يجوز أن يكون من قبل القلب، قدم اللام علىٰ العين وضم الفاء لأجل الواو.

قوله: وجميع المعاني كلها، أي وجميع لفظ الصوفية[2] معاني مأخذها كلها.

قوله: من التخلي إلىٰ قوله: وصفة السباق.

بيان لقوله المعاني كلها.

قوله: ولم يَرُدّه إلىٰ تعّمل وتكلف بدعوى.

---

(١) غير موجود بالشرح واستكملناه من المتن ليصح اللفظ.

(٢) بداية تطور الفكر الصوفي كانت طبيعية فقد ظهر أولاً تيار يحاول مواجهة إقبال الناس علىٰ الدنيا بعد زمن الفتوحات الكبرى وانشغال كثير من المسلمين عما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فبدأ بتيار ينادي بالزهد، وظهرت جماعات يسمون الفقراء، وأخرى تسمى البكائين وثالثة تسمى المحبين وأشهرهم رابعة العدوية.
ثم ظهر أقوام تكلموا في الجوع والفقر والوساوس والخطرات .
انظر عقائد الصوفية لمحمود المراكبي (ص١٦)

و "صُوْفِي" : علىٰ زِنَة عُوْفِي، أي: عافاه الله فعوفي.

وكوفي، أي: كافاه الله فكوفي.

وجوزي، أي: جازاه الله؛ ففعل الله به ظاهر في اسمه، والله المتفرد به.

وقال أبو علي الرّوزباري - وسئل عن الصوفي - فقال: من لبس الصوف علىٰ الصفاء، ....

يريد بالتعّمل ههنا أن يرى العمل من عند نفسه وبالتكلف أن يأتي بالعمل بالمشقة من غير رغبة فيه، وبدعوى أي لا يجري الدعوى علىٰ لسانه بل ولا علىٰ قلبه.

ولا تقوم بتدبيره واختياره ولا بصفات نفسه بل يقوم بصفات الحق.

وبالجملة ينبغي أن لا يرى لنفسه رأس مال ولا ملكًا ما في الكونين، فإن من يرى ملكًا في الكونين فقد ادعى كونه مالكًا، ومن ادعى ذلك لم يكن مملوكًا، فإن المملوك لا يجتمع مع كونه مالكًا.

قوله: وصوفي علىٰ وزن عوفي.

يريد أن اسم الصوفي هذا لم يعطه من صفته وفعله بل أُعطي من فعل الله فيه بلا هو، فإن الحق اختاره واصطفاه لنفسه وبرّأه عن كل شيء، أي طهره عنه، فصوفي عن غير الحق، واجتباه الحق، ففعل الله به، أي بالصوفي، وهو مصافاته إياه ظاهر في اسمه[1]. وهو الصوفي لأنه نقل من صيغة المبنى للمفعول وجُعل اسمًا له.

والله المتفرد بذلك الفعل لا بمشاركة غيره.

قوله: من لبس الصوف علىٰ الصفاء.

معناه تصفيه السرّ من لبس الصوف، فإنه رحمه الله يرى ظاهره أولًا عن كل

---

(١) قال ابن الجوزي في نشأة التصوف: كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلىٰ الإيمان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلىٰ العباده واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقًا تخلقوا بها، ورأوا أن أول من انفرد بخدمه الله تعالىٰ عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث بن مرة فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلىٰ الله ﷻ فسموا بالصوفية. انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي

وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه علىٰ القفا وسلك منهاج المصطفى.

علاقة، بل عن غير الحق.

ثم ألبس للظاهر الصوف إذ لا فائدة مع كدر السر من لبس الصوف، فإنه رحمه الله يُرى ظاهره بالخلق فيكون عابدًا للخلق.

قوله: وأطعم الهوى ذوق الجفا.

يعني يجعل الهوى[1] موافقًا لمراد الحق، فإن مراد الحق مُرّ وشاق علىٰ النفس فيحمل النفس عليه بالكره.

وهو موافق لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النَّازعَات: ٤٠].

ولم يقل: وأذاق الهوى طعم الجفا للطيفة فيه.

وهي أن الإذاقة يقال لشيء يسير، وهي غير كافية، بل ينبغي أن يكون ذوق الجفا غداء للهوى وطعامًا له لتعتاد النفس علىٰ موافقه الحق.

وكانت الدنيا منه علىٰ القفا.

معناه أنه يعرض عن الدنيا ويفر منها، فتكون الدنيا منه علىٰ قفاه.

فإن من توجه إليها فإما أن يطلب المقسوم له أو غيره وليًّا ما كان، فلا فائدة فيه إلَّا الإعراض عن الحق **وسلوك منهاج المصطفى** ﷺ مستفاد من قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١]، فإن الله تعالىٰ وضع محبة الله عباده.

---

(١) الهوى هو ميل القلب بالكلية إلىٰ وجهة المحبوب والإعراض عما سواه، وتجريد القصد له في كل حين وصرف الهمة إليه.
وفي الهوى تستحكم المحبة وتشتد صورتها وينبسط سلطانها ويستولى لاعج الشوق ويجدره النظر إلىٰ الصور الجميلة والمحاسن الرائعة النبيلة والشمائل اللطيفة المعاني ولا يصح الاتصاف بالهوى إلَّا لمن خرج عن هواه وآثر طاعة حبيبه علىٰ ما سواه، وطاعة الحق هي أعلى الطاعات وهي التي تخالف ميل النفس إلىٰ مقتضيات الطبع.
المعجم الصوفي (ص٢٥٣)

....

ومحبة العباد إياه في متابعة رسول الله ﷺ.

وله معان كثيرة ومن جملتها أن في الآية إشارة إلىٰ أن بيننا وبين الخلق حجابًا إلَّا محمدًا المصطفى عليه الصلاة والسلام، فإنه لا حجاب بيننا وبينه، فلأجل هذا أمرنا بكونهم تابعين له، وأيضًا أن السعادة التي هي الغاية القصوى، والنهاية العظمى محبة[١] الله تعالىٰ للعبد وهذه السعادة قد وضعها الله في متابعة المصطفى ﷺ.

وأيضًا فيه إشارة إلىٰ أن الخلق في محبتنا إياهم تبع لمحمد عليه الصلاة والسلام، وإلى إظهار عجزهم عن إدراكهم الحق فإنه لا يقدرون عن إدراك عبد من عبادنا، فكيف يقدرون علىٰ إدراكنا فإذا اتبعوا عبدًا يعرفنا، ويكون قدره عندنا أكثر قدرًا منهم يحصل إقبالنا عليهم بواسطته، ودفع البلايا عنهم وإنجاءهم من العذاب ما لا يحصل بغيره.

كما حكي أن جماعة من التجار مشوا إلىٰ خدمة الشيخ أبي الحسن الخرقاني رحمة الله عليه قالوا: عزمنا علىٰ السفر وأزمعنا علىٰ الرحيل، ونخاف في الطريق من قطاعها، فعلمنا شيئًا من الأذكار يحرسنا عن كيد الأعداء.

فقال: سيروا علىٰ اسم الله، وإذا ظهر الخوف فقولوا: أبو الحسن الخرقاني تنجوا، فأنكرت طائفة منهم وقالوا: اسم الله[٢] وقوارع القرآن أولى من اسم واحد من

---

(١) محبة الصوفي لله ولرسوله ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

ويقول عبد الله بن هشام في تفسير معناها: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال عمر: والله يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلَّا من نفسي، فقال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»** فقال عمر: فأنت الآن أحب إليَّ من نفسي فقال الرسول: **«الآن يا عمر»**.

المعجم الصوفي (ص٢٢١)

(٢) الأسماء الإلهية تنقسم باعتبار الذات والصفات والأفعال إلىٰ الأسماء الذاتية كاسم الله، والأسماء الصفاتية كاسمه العليم والأسماء الأفعالية كاسمه الخالق، وتنحصر الأسماء باعتبار الأنس والهيبة لدى مطالعتها في الأسماء الجمالية كاسم اللطيف والأسماء الجلالية كاسم القهار، ولكل مخلوق سوى الإنسان خط من بعض الأسماء دون الكل كحظ الملائكة من =

وسئل سهل بن عبد الله التستري: من الصوفي؟ فقال: من صفا من الكدر،

المخلوقين. وقبلت طائفة وانصرفوا منطلقين إلىٰ السفر، فلما أدركهم الخوف وقطاع الطريق تخلص من تحصن باسم الشيخ وهلك من ذكر اسم الله وتمسك بالآيات والدعوات، وأُغير علىٰ أمواله فازداد تعجب الطائفتين.

فلما رجعوا سأل واحد منهم الشيخ عن هذه الواقعة وقال: يا شيخ أليس اسم الله أعظم من اسم عباده.

قال: نعم، قال: فكيف هذه الحالة.

فقال الشيخ: إنكم قد ذكرتم اسم ما لم تعرفوا مسماه فما ذكرتموه علىٰ الحقيقة، وإنهم ذكروا اسم من عرفوه وهو عارف بالحق، فكأنهم ذكروا الحق.

وهذه الحقيقة لا يؤمن بها ولا يصدقها إلَّا من ذاق الحقيقة وشاهد الأمر.

قوله: من صفا من الكدر والصفا من الكدر علىٰ وجوه:

أحدها: صفاء النفس، وهو أن تصفو من الهوى قبل العمل، ثم يستقيم في العمل علىٰ قدر الطاقة.

وثانيها: صفاء العمل، وهو أن لا يكون فيه رياء وطمع للثواب، وأن لا يرى العمل وإلَّا يكون عابدًا للخلق، وعمله غير جدير ولائق لله تعالىٰ ليطمع منه الثواب.

وقال بعض الكبار: إن معنى ما روي عن رسول الله ﷺ: «**إنه ليغان قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة**»[1].

= اسم السّبوح والقدّوس، وهم لذلك يقولون: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البَقَرَة: ٣٠]. واختص الإنسان بالحظ من الأسماء جميعها ويقول الله تعالىٰ في ذلك: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البَقَرَة: ٣١].

المعجم الصوفي (ص٢٢)

(١) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه كتاب الذكر، حديث رقم (٤١)، وأبو داود في سننه حديث رقم (١٥١٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٢١، ٢٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٥٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٨٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٣٢٤)، والزبيدي في الإتحاف (٥/ ٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٦٣).

وامتلأ من الفكر، ....

وفي رواية: مائة مرة[١].

هو أن استغفاره من مقام الوقوف مع الطاعة التي هو فيها، فإن كل طاعة كان يفعلها رأى نفسه مقصرة في الخدمة فوضع القدم إلىٰ ما فوقها، وقصد خدمة أعلى واستغفر من الخدمة السابقة، ثم كأنه لم يعمل شيئًا فكان حاله مع الله دائمًا علىٰ التزايد.

وثالثها: صفاء الاعتقاد، وهو الإخلاص عن الشرك الخفي، فإن من يرى في الكونين منفعة أو مضرة من غير الحق لا يكون اعتقاده صافيًا.

ورابعها: صفاء القلب، وهو أن لا يخاف ولا يرجو إلَّا من الله، ولا يعتمد إلَّا عليه.

وخامسها: صفاء السرّ، وهو أن لا يرى من العرش إلىٰ تحت الثرى، ومن الأزل إلىٰ الأبد غير الحق أي لا يدخل في سرّه غير الحق، فإن من أراد أن يرى وجهه في المرآة، لو تنفس فيها لصار محجوبًا عن الرؤية، فكذا السرّ، لو أدخل فيه شيئًا غير الحق لكدر به فلا يرى الحق.

قوله: وامتلأ من الفكر، والامتلاء من الفكر هو أن يتفكر في الوقت لإقامة العبودية من الأوامر والنواهي ويتفكر في الخاتمة لخوفها.

لقوله عليه الصلاة والسلام: «**قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**»[٢].

---

(١) قال النووي: قال أهل اللغة: الغين بالغين المعجمة والغيم بمعنى والمراد هنا ما يتغشَّى القلب، قال القاضي: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنبًا واستغفر منه .

قال: وقيل: هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم، وقيل: سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربه العدو ومداراته وتأليف المؤلفة ونحو ذلك فيشتغل بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنبًا بالنسبة إلىٰ عظيم منزلته وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال .

شرح مسلم للنووي (١٧/ ٢٠) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: مسلم في صحيحه كتاب القدر، حديث رقم (١٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٨)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٨٩)، والآجري في =

وانقطع إلىٰ الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

وفي الأزل بحكمه السابق فيتخير، ويعلم أن ذلك الحكم لا يتغير، فيكون دائمًا ممتلئًا من هذا الفكر.

قوله: وانقطع إلىٰ الله من البشر.

وله معان كثيرة، ولكن تشير إلىٰ رمز منه، وهو أنه إذا نظر إلىٰ الخلق فيرى كلهم أسراء لقدرة الحق فتأخذهم وتجرهم بالنواصي والأقدام فيراهم عاجزين مقهورين لها، فإذا كان كذلك ينقطع من كل الخلق إليه.

فانظر كيف قال الله تعالىٰ لنبيه عليه الصلاة والسلام وكيف يعلمه الانقطاع إليه قال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦].

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾[1].

«قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلّا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير».

قوله: واستوى عنده الذهب والمدر.

= الشريعة (٣١٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٠).

قال النووي: هذا من أحاديث الصفات وفيها قولان أحدهما: الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بأنها حق وأن ظاهرها غير مراد، قال الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

والثاني: يتأول بحسب ما يليق بها كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي أي أني قادر علىٰ قهره والتصرف فيه.

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٦٧) طبعة دار الكتب العلمية

(١) الرحمة امتنانية والمقصود بها إسباغ النعم علىٰ الناس وهو ما يستوجب إظهار الامتنان بها، ورحمة وجوبية وهي التي أوجبها الله للمتقين والمحسنين فإذا كانت الامتنانية وقتها للعباد قبل أن يعملوا فإن الوجوبية لهم بعد العمل.

المعجم الصوفي (ص١٠٦)

وسئل أبو الحسن النوري: ما التصوف؟ فقال: ترك كل حظ للنفس.

وهذا موافق لخبر حارثة فإنه لما أخبر عن حقيقة إيمانه، فأخبر من إحدى علاماته وقال: واستوى عندي حجرها ومدرها، وذهبها وفضتها، فإن التمييز بين الشيئين لطالب الدنيا علىٰ وجه يكون لهما أو لأحدهما قدر عنده، ويتعلق قلبه به فإنه يراها بخلاف العارف، فإنه لا يرى إلَّا واحدًا، ولا يتعلق قلبه بغيره ولهذا قالوا: من جاوز الأحد وقع في العدد، ومن وقع في العدد ضل.

ومن تعلق بالأحد نجا من العدد، ومن نجا من العدد أمن من الغلط.

قوله: ترك كل حظ للنفس[1].

يعني كل ما تميل النفس إليه، فإن كان مخالفًا للحق يتركه، وإن كان موافقًا له فيتأمل، فإن النفس لا تميل إلىٰ ما هو موافق للحق إلَّا ولها فيه مكر وخديعة، ولا يصلح مكرها ولا يدفعه إلَّا الله.

قال أحمد بن خضروية: إني قهرت نفسي حتى وجدت يومًا فيها نشاطًا وميلًا إلىٰ الغزو، فتعجبت منها وقلت: إن النفس لا يكون منها نشاط الطاعة إن فيه لها مكرًا.

فقلت: ليس ذلك إلَّا أني أجوعها بالصوم أبدًا فتريد السفر فتفطر.

فقلت: إني لا أفطر في السفر، فوافقتني نفسي فتعجبت.

فقلت: ليس ذلك إلَّا أني أصلي الليل، ولها من السهر مشقة، فتريد أن تنام بالليل في السفر لتستريح.

فقلت أصلي من أول الليل إلىٰ الصبح، فوافقتني نفسي فيه، فتعجبت منه،

(١) حظوظ النفس هي ما زاد في حقوقها، وحقوقها هي ما يتوقف عليه حياتها وبقاؤها.
ويقال: فلان بلا نفس معناه أنه لا تظهر عليه أخلاق النفس لأن من أخلاق النفس الغضب والحدة والتكبر والشَّره والطمع والحسد.
فإذا كان عبد قد سلم من هذه الآفات وما شاكلها يقال إنه بلا نفس يعني كأنه ليس له نفس، وقد قيل النفس علىٰ خمسة أضرب: حيوانية، وأمارة، وملهمة، ولوامة، ومطمئنة.
وكلها أسماء للروح إذ ليست حقيقة النفس إلا الروح وليس حقيقة الروح إلا الحق.
المعجم الصوفي (ص٢٤٦، ٢٤٧)

....

وتفكرت فيه، فقلت ليس ذلك إلَّا أني لا أصحب الناس فتريد السفر لتصحبهم.

فقلت لا أصحب (الناس)[١] فيه الخلق، ولا أنزل إلَّا في الخربة[٢]، فوافقتني فيه أيضًا، فعجزت واضطررت، فتضرعت إلىٰ الله تعالىٰ لينبهني عن مكرها فأقرت.

وقالت: أنت تقتلني كل يوم بخلاف مرادي ألف مرة ولا يدري الخلق.

وفي الغزو أقبل مرة واستريح.

واشتهر بين الخلق أن أحمد بن خضرويه وجد مرتبة الشهادة.

فقلت سبحان من يخلق نفسًا يكون منافقًا في الحياة وبعد الموت، ولا يسلم في الدنيا ولا في الآخرة.

فقلت: والله لا أمشي إلىٰ الغزو، فظننت أنك تريد الطاعة، فتريد ربط الزنار.

فبعد ذلك خالفتها أكثر مما خالفتها قبله.

وقالت الكبار فيما حكى الله تعالىٰ عن بني إسرائيل ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٥٤]، إن حالنا أصعب من حال بني إسرائيل، فإنهم أُمروا بالقتل ظاهرًا، ونحن مأمورون به باطنًا، ولهم في العمر مرة واحدة، وأنا في كل يوم ألف مرة وبالجملة النفس ضد القلب، فحياته في موتها.

ومُثّل بقتل عاميل، فإن الله تعالىٰ لما أراد إحياءه فأمر أن يقتل حي وهي بقرة

---

(١) كذا بالأصل.

(٢) الخرابات في اللغة بمعنى الحانة وفي اصطلاح الصوفية عبارة عن خراب الصفات البشرية وفناء الوجود الجسماني والروحاني، والخراباتي هو العبد الكامل الذي تصدر عنه المعارف الإلهية دون إرادة وهم يقولون أيضًا إن الخراب هو خراب عالم البشرية، وقيل الخرابات عبارة عن مظهر الجلال، فالسالك ينمحي ويفنى من تجلي القهار، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] . كنايه عنه وقيل هو مكان الاعتكاف بالنسبة للشيخ والمريد .

وقيل المراد بالخرابات مقام الوحدة .

المعجم الصوفي (ص٨٨)

وسئل الجنيد عن التصوف فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، ....

ويضرب قطعة منها علىٰ عاميل ليصير حيًّا[١]، فالنفس بمنزلة البقرة، والقلب بمنزلة عاميل، فمتى لم تضرب النفس المقتولة علىٰ القلب لم يصر حيًّا.

وقتل النفس إنما يكون بترك حظوظها طاعة كانت أو معصية، بل المخاطرة في الطاعة أشد وأكثر منها في المعصية فإن لكل منهما يهتدي إلىٰ الله ويضل، فالعام يضل بفعل المعصية أكثر، والخاص يفعل الطاعة.

والذي يدل علىٰ أن المعصية تهدي إلىٰ الحق حال سحرة فرعون، فإن سحرهم صار سببًا للإيمان والذي يدل علىٰ أن بالطاعة يقبل حال إبليس[٢]، فإنه غرّ بغرّ الطاعة فصار شقيًا، فعلم منه أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يستأنس بشيء منهما، بل يفر من المعصية بالندامة والعذر ومن الطاعة بعدم رؤيتها ليكون في الحالتين مع الله فلا يستأنس الآية.

قوله: تصفية القلب عن موافقة البرية.

معناه ظاهر مما مرّ، **ومفارقة الأخلاق الطبيعية** معناه أن الأخلاق الطبيعية أربعة:

---

(١) قال ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده عن عبيدة السلماني قال: كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لا يولد له وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه فقتله ثم احتمله ليلًا فوضعه علىٰ باب رجل منهم ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا وركب بعضهم علىٰ بعض فقال ذوو الرأي منهم والنهي علام يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البَقَرَة: ٦٧] . . . الآية، قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقره ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم حتى انتهوا إلىٰ البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل فأخذ مقابلها ملء جلدها ذهبًا.

تفسير ابن كثير (١/١٠٨)

(٢) إبليس مشتق من الالتباس ولم يكن يدعي قبل ذلك بهذا الاسم فتحقق بدعوته بهذا الاسم أن أمره قد فرغ منه، فلم يجزع ولم يندم ولم يُنب ولم يطلب المغفرة لعلمه أن الله يفعل ما يريد وأن ما يريده الله هو الذي تقتضيه الحقائق فطرده الحق من حضرة القرب إلىٰ حضيض البعد الطبيعي وهذا هو الرجم، لأن الرجم هو طرح الشيء من العلو إلىٰ السفل ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥﴾.

واللعنة هي الإيحاش والطرد.

المعجم الصوفي (ص١١)

وإخماد الصفات البشرية، ....

الدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء.

والدم حار رطب، والبلغم بارد رطب، والصفراء حار يابس، والسوداء بارد يابس، فللدم طبع الهواء، فكل ذرة تجد إليه سبيلًا، فكل قلب يجد مثقال ذرة هو غير الحق إليه السبيل لا يليق لصحبة الحق.

وطبع البلغم طبع الماء، فكل متنجس يصير بصحبته طاهرًا، فإذا نجس الماء لا يطهر شيئًا، فالعارف ينبغي أن يكون بحيث يطهر به الكل لا أن يطهره غيره.

وللصفراء طبع النار من التكبر[1] والاختراق وعدم الإذعان لشيء، وإهلاك ما يصل إليها، وهذه أخلاق الجبارين، ومع التجبر لا يجد صحبة الحق.

وللسوداء طبع الأرض من كونها ميت الوجه. ومصاحبتها لكل نجس وانقياده لكل شيء، فمن صاحب نجسًا أو شيئًا غير الحق، فغير جدير لصحبته والتكبر من فعل الصفراء، والبخل والسقالة من فعل السوداء، والفضول والأنوثة والنوم من فعل الدم، وبلادة الفهم والنسيان من فعل البلغم.

فمن لم يفارق الطبائع الأربع ـ أي مقتضاها ـ مما ذكر ولم يتحل باضدادها فلا يجد إلىٰ الحق سبيلًا ولا يليق بصحبته، ومن فعل ذلك يجوز أن يجد إليه السبيل.

ويجوز أن لا يجد، ولكن لا بد له من العبودية، والحق يفعل ما يشاء.

قوله: وإخماد صفات البشرية.

الإخماد وإماتة النار وصفات البشرية طلب التقدم والفضل علىٰ الخلق والعز

---

(١) الكبر أصله العجب والحقد والحسد والرياء، وله وجهان أحدهما الكبر بين العبد وربه والآخر الكبر بين العبد والعباد فلا يأمنه العلماء والنساك والصوفية علىٰ أنفسهم وحتى في لبس المرقعة فقد يتكبر بها المتصوف حتى ليكون أشد كبرًا من صاحب مطرف الخز.

والكبر قد يكون بالدنيا بالحسب والجمال والقوة والمال وكثره العدد، وقد يكون في الدين فيعجب العبد بعمله ويحمد نفسه عليه وربما يخرجه العجب إلىٰ أن يرى أنه خير من غيره، ونفي الكبر بأن يعرف العبد قدره بمعرفته ببدايته وحياته وعاقبته.

المعجم الصوفي (ص٢٠٧)

ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، ....

والرياسة والتكبر، ومدح نفسه وغير ذلك. وكل هذه صفات الحق، ومن طلب واحدًا منها فقد نازع الحق، فمستحق النار.

وقال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالىٰ الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما فقد أدخلته النار ولا أبالي**»[(١)].

وهذا علىٰ طريق ضرب المثل، فإن الرداء بحسب العرف لإظهار العظمة وجلالة القدر، فكأنه قال: لا تحمد نفسك ولا تمدحها وضع الكبر، فإن هذا جدير بي إذ ليس ما لك بك شيء، بل ما لك مني وحالي مني لا من غيري.

قوله: ومجانبة الدواعي النفسانية.

أي المجانبة مما دعت النفس إليه من عدم المبالاة من المعصية.

وترك الطاعة والأمن بالمعصية، والعجب بالطاعة وعدم الرضا من الله، فمن لم يترك أمثال هذه الدواعي فلا يليق نفسه للخدمة.

قوله: ومنازلة صفات الروحانية.

المنازلة المصاحبة في منزل واحد، يعني ومصاحبة صفات الطائفة الروحانية[(٢)].

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب تحريم الكبر، حديث رقم (١٣٦)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤١٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٥٣)، وابن حبان في صحيحه (٤٩ - الموارد)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٨)، والزبيدي في الإتحاف (٦/ ٣٢٨، ٨/ ٣٣٦).

قال النووي: معنى ينازعني أي يتخلق بذلك فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه وأما تسميته إزارًا ورداء فمجاز واستعارة حسنة كما تقول العرب فلان شعاره الزهد ودثاره التقوى لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار بل معناه صفته كذا قال المازري.
شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٤٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) الروحانية هم الصوفية، فقد ورد ذلك في كتاب التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع للملطي، والروح الأعظم هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، ولذلك =

والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى علىٰ الأبدية، ....

أي الملائكة وصفاتهم ما قاله الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْئَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾، أي عن الخدمة.

وقال: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومع ذلك إنهم لا يطمعون في الثواب، ويرون أنفسهم مقصرين في الخدمة، كما يقولون يوم القيامة ما عبدناك حق عبادتك.

قال الشبلي رحمه الله: إن أكن مع الملائكة في المقام الذي يقول الملائكة هذا مع الله، وأُوذن للجواب: فأجيب: لو لم يذهب بخاطركم أن في الوجود من يستطيع القيام بحق الله تعالى، فأي شيء هذا العذر: ما عبدناك حق عبادتك.

قال بعض الكبار في جواب الشبلي رحمه الله إن قول الملائكة ما عبدناك حق عبادتك رؤية العبادة مع التقصير، وهذا مقام الملائكة.

وأما العارفون من الإنس فلا يعتذرون من التقصير لأن الاعتذار منه إنما يكون إن لو كان هناك فعل والعارف لا يرى من نفسه فعلًا أصلًا حتى يعتذر من التقصير.

قوله: والتعلق بالعلوم الحقيقية والتمسك بها هو العلم بكيفية الإتيان بكمال العبودية وعدم التمسك بها.

بل بتمسك بالقوي العزيز الذي لا قويّ إلّا هو ويحتمل أن يكون معناه أن يعلم أن عمله من غير تقدم توفيق الحق له، لا يوجد منه ما وجد مع تقدمه لا يكون له قيمة وقدر، من غير قبوله ورضاه، فيعلم أنه لا شيء من غير الحق.

قوله: واستعمال ما هو أولى علىٰ الأبدية.

يعني ينظر أنه أي شيء أولى به فيعلمه، ولا أولى للعبد إلّا العبودية وترك الإلهية

=

لا يمكن أن يعلم كنهها إلّا الله تعالى، وقبل الروح الأعظم هو العقل الأول، والحقيقة المحمدية، والنفس الواحدة والحقيقة الأسمائية وهو أول موجود خلقه الله علىٰ صورته والخليفة الأكبر والجوهر النوراني.

ويسمى باعتبار الجوهرية نفسًا واحدة وباعتبار النورانية عقلاً أول.

المعجم الصوفي (ص١١٢)

والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله علىٰ الحقيقة، واتباع الرسول في الشريعة.

للحق فإن الصوفي أولى بخدمته، فيفوض مصالحه إلىٰ الحق ويرضى بما يفعله الحق له ولا يعترض عليه، ويرى نفسه مقصرة في الخدمة.

قوله: والنصح لجميع الأمة.

أي إرادة الخير لجميع الأمة، وله تفاصيل كثيرة.

منها: أن يعظم المطيعين ويشفق علىٰ العاصين ولا يخاصم، وألا تكون النصيحة[1] فضيحة.

ومنها: أن يحمل الناس علىٰ نفسه ولا يحمل أثقاله عليهم ومنها: أن لا يدخل بين الله وبين عباده فيصير فضوليًّا، بل يدعهم مع الله.

قوله: والوفاء لله علىٰ الحقيقة.

والوفاء له أن يكون له كما يريد لا كما تريد، فلو وضع كل المراد في قبضتك لا يغرنك، وأنك عبده ومحل قدرته فلا شيء لك وبك، ولو صب عليك بلاء العالم لا تفر منه، فإنه لا ملجأ لك إلا هو، فسبحان من لا فرار معه ولا مفر منه.

قوله: واتباع الرسول في الشريعة.

أي وإن عظمت مرتبته وكبرت منزلته عند الله فإنه لا يترك متابعة الرسول في الشريعة بل يكون أوقع عنده حينئذ، ولا يصل العبد بالخدمة إلىٰ حيث ترتفع الخدمة عنه مع كونه عاقلًا. وله شعور بذاته إذ لا وصول فوق وصول النبي عليه الصلاة والسلام.

ولم ترتفع عنه، لأن الشكر واجب.

---

(١) قال الخطابي رحمه الله: النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له قال: ويقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام.

قال: وقيل النصيحة مأخوذه من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب، قال: وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط، قال: ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله: الحج عرفة.

النووي في شرح مسلم (٢/ ٣٢، ٣٣) طبعة دار الكتب العلمية

وقال يوسف بن الحسين: لكل أُمَّةٍ صَفْوَة، وهم وديعة الله الذين أخفاهم عن خلقه.

فإن يكن منهم في هذه الأمة: فهم الصوفية.

قال رجل لسهل بن عبد الله التستري: من أصحب من طوائف الناس؟

فقال: عليك بالصوفية؛ فإنهم لا يستكثرون، ولا يستنكرون[١] شيئًا،

وهو لا يرتفع أبدًا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام[٢]: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[٣].

وقال أبو الحسن النوري: ليس لله في عبده مقام ولا حال ولا معرفة يسقط معها آداب الشريعة.

قوله: فإنهم لا يستكثرون شيئًا.

أي لا يعدون شيئًا كثيرًا يعني كل ما يفعلونه بك من المعروف لا يعدونه شيئًا كثيرًا، فلا يمنون عليك، وإذا لم يكن عليك منّة لهم تكون تلك النعمة هنالك، إذ كل نعمة تكون مع المنّة على المنعم عليه تبطل وتفسد كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٤]، ويحتمل أن يكون معناه أن ما يجري عليهم من الطاعات لا

---

(١) كذا بالأصل وقال الشارح: «**لا يستكثرون شيئا**» وقد قام بشرحها علىٰ هذا.
وفي نسخة من كتاب "التعرف لمذهب أهل التصوف": لا يستكثرون ولا يستنكرون شيئًا.

(٢) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه (رقم (٤٨٣٧)، ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين، حديث رقم (٧٩، ٨٠، ٨١)، والترمذي في سننه (٤١٢)، والنسائي (٣/ ٢١٩ أ المجتبي)، وابن ماجه في سننه (١٤١٩، ١٤٢٠)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٥١، ٢٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٩٧، ٣/ ١٦).

(٣) قال النووي: قال القاضي: الشكر معرفة إحسان المحسن والتحدث به وسميت المجازاة علىٰ فعل الجميل شكرًا لأنها تتضمن الثناء عليه وشكر العبد لله تعالىٰ اعترافه بنعمه وثناؤه عليه وتمام مواظبته علىٰ طاعته وأما شكر الله تعالىٰ أفعال عباده فمجازاته إياهم عليها وتضعيف ثوابها وثناؤه بما أنعم به عليهم فهو المعطي والمثني سبحانه، والشكور من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى والله أعلم.
شرح مسلم للنووي (١٧/ ١٣٤) طبعة دار الكتب العلمية

ولكل فعل عندهم تأويل، فهم يعذرونك علىٰ كل حال.

يرونه إلاَّ من الله، فيرون أنفسهم مفلسين فلا يخاصمونك لأنهم يرونك خيرًا من أنفسهم، ولا يجوزون الخصومة مع الخير منهم.

قوله: ولكل فعل عندهم تأويل، فهم يعذرونك علىٰ كل حال.

يعني إن وجدوا منك جفاء ومعصية أولوه، ولا يعرضون به عنك، لأن هذه الطائفة أكثرهم بل كلهم علىٰ إسقاط الجاه من أنفسهم، لأن اجتماع صحة الإسلام مع الجاه[1] عَسِر، بل متعذر ولهم في إسقاط الجاه من أنفسهم حيلة لطيفة وهي أنهم يرون أنفسهم في الظاهر للخلق عاصين وفي الباطن هم أطوع الخلق للحق، فكل من وجدوه علىٰ منكر ينظرون إليه بهذا التأويل وقد جاء في قصص بني إسرائيل أن نبيًا سأل الله تعالىٰ أن يريه من محبته أمره أن يذهب إلىٰ البلدة الفلانية فيها قصاب اسمه فلان، هو محبنا.

وقد ذهب النبي ﷺ إليه وطلبه ومن أي شخص سأله عنه قال: هو فاسق زان شارب الخمر، فقد ذهب إلىٰ حانوته فوجده بلباس العيارين والسارقين وزيهم.

فقال له: أتقبل الضيف[2]؟ فقال: أقبل بشرط أن لو رأيت شيئًا لا تقول مع الخلق.

فقال: لا أقول.

---

(١) الجاه يقول الصوفية لا يصح الفقر للفقير حتى يخرج من الأملاك فإذا خرج منها يتولد له جاه فينبغي أن يبذل جاهه حتى لا يبقى له جاه.

فإذا بذل جاهه لم تبق له إلا قوة نفسه فيبذلها لأصحابه بالخدمة والحركة في أسبابهم فعند ذلك يصح له الفقر.

المعجم الصوفي (ص٦٤)

(٢) قال النووي: أجمع المسلمون علىٰ الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام، ثم قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله تعالىٰ والجمهور: هي سنة ليست بواجبة.

وقال الليث وأحمد: هي واجبة يومًا وليلة، قال أحمد رحمه الله: هي واجبة يومًا وليلة علىٰ أهل البادية وأهل القرى دون أهل المدن، وتأول الجمهور هذه الأحاديث وأشباهها علىٰ الاستحباب ومكارم الأخلاق وتأكد حق الضيف كحديث غسل الجمعة واجب علىٰ كل محتلم أي متأكد الاستحباب وتأولها الخطابي وغيره علىٰ المضطر والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (١٢/ ٢٧) طبعة دار الكتب العلمية

وقال يوسف بن الحسين: سألت ذا النون[(١)] من أصحب؟

فلما جاء المساء أغلق باب الحانوت وذهب إلىٰ الخرابات، واشترى جرة من الخمر، واستأجر امرأة فاجرة، وجاء إلىٰ الحانوت فأكرم الضيف ونومه.

فتناوم الضيف، فقام القصاب وأعطى المرأة أجرتها ونومها وأراق الخمر، وخلع لباسة ولبس لباسًا.

وقام تلك الليلة إلىٰ الصبح بالخدمة لله تعالىٰ.

فانتبه النبي عليه السلام، وقام وبشره بما أوحي إليه في حقه، فبكى كثيرًا، وقال للنبي: إذا هتك الله سري فادعه ليقبض روحي، فدعا فاستجيب.

وبالجملة الأولى أن نظن بالفاسق ظنًا حسنًا، فكيف بالمطيع.

ومن جملة تأويلهم أنهم إذا رأوا منكرًا من شخص يرجعون إلىٰ أنفسهم، بأنه أي شيء فعلنا من الذنوب حتى أُرينا المعصية، فيلومون أنفسهم ويبكون ويتضرعون إلىٰ الله تعالىٰ حتى يسوي الله الخلق معهم بأن يرجعوا عن ذلك المنكر.

سُئل عيال أبي القاسم الحكيم[(٢)] أنه يغضب، فقالوا: نعم، قيل: أتعرفون منه.

قالوا: نعم، قيل: بم تعرفون؟ قالوا: إذا رأى منا ما هو غير لائق بنا ومؤذ إياه.

---

(١) ذو النون المصري بن إبراهيم، أبو الفيض، توفي بالجيزة سنة (٢٤٦) هـ، وأصله من النوبة وكان من اخميم بلده بصعيد مصر فنزل مصر ويقال اسمه الفيض ويقال: ثوبان، وذو النون لقب، وكان أبوه إبراهيم مولى لإسحاق بن محمد الأنصاري.

ومن أقواله: بصحبة الصالحين تطيب الحياه، والخير مجموع في القرين الصالح إن نسيت ذكرك وإن ذكرت أعانك، وقال: من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، وقال: لا يشغلنك عيوب الناس عن عيب نفسك.

صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣١٩، ٣٢٠)

(٢) أبو القاسم الحكيم السمرقندي هو أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن زيد القاضي الحكيم السمرقندي أخذ الفقه والكلام عن الماتريدي ويعد من أشهر تلاميذه، وذكر أبو المعين أنه توفي سنة (٣٣٥) هـ والذي عليه بقية من ترجموا له أنه مات في محرم يوم عاشوراء (٣٤٢) بسمرقند ومن آثار أبي القاسم الحكيم: الرد علىٰ أصحاب الهوى وهو المسمى بالسواد الأعظم ويعد من أهم المتون عند الماتريدية، وأيضًا له رساله صغيره في الإيمان.

....

فيحسننا أكثر مما كان يحسننا قبله، ولا يأكل ولا يشرب ولا يحرم النوم علىٰ نفسه ويبكي ويتضرع إلىٰ الله ويقول: إلهي بأي شيء أؤذيك حتى أخرجتهم عليّ، فتبت، أصلحهم.

ونحن نجتمع ونتفكر أي ذنب فعلناه ونتوب حتى نخرجه من ذلك البلاء.

ومن جملة تأويلهم أنه إذا جفا عليهم صديق لهم طيبوا ذلك الجفاء علىٰ أنفسهم يوم الصداقة ويقولون إنه بشر، والبشر لا يكون من غير عيب وتقصير، فإذا كانوا قبلوه يوم الصداقة[1] مع عرفانهم منه هذا العيب لا يتركون صحبته لصدور الجفاء منه.

ولو اشترى حيوانًا معيبًا وهو يعرف أنه معيب يوم الشراء لا يرده بذلك العيب.

وإذا لم يروه بذلك العيب، مع أنه معيب لئيم فغير عاجز، فكيف برد الكريم الغني الذي لا ينفذ غناه، والقادر الذي لا ينتهي قدرته ما اشتراه بالعيب الذي عرفه يوم الشراء.

حيث قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١].

ومن جملة تأويلهم أنه إذا صحب مريد مع شيخه[2] ورأى الشيخ من ذلك المريد منكرًا لا يخاصم الشيخ معه ولا يتغير عليه، لأنه لو تغير عليه يحتمل أن المريد بشؤم تغيره عليه يسقط من مقام المعصية إلىٰ مقام الكفر ولكن ينظر إليه بنظر الشفقة ليرجع ببركة

---

(١) الصداقة هي استواء القلب في الوفاء والجفاء والمنع والعطاء، قال ذو النون ما بعد الطريق إلّا الصديق، وقال النوري: الصديق لا يحاسب والعدو لا يحسب له شيء، وقال الجنيد: إذا كان لك صديق فلا تسوؤه فيك بما يكرهه.

المعجم الصوفي (ص١٤٣)

(٢) للشيخ مكانة كبيرة في الفكر الصوفي ومن أشهر العبارات التي يتناقلها الصوفية للتعبير عن قمه أدب المريد بين يدي شيخه: أن يكون المريد بين يديه كالميت بين يدي الغاسل" وأول من قال هذه العبارة هو الشيخ عبد القادر الجيلاني ونص عبارته: ينبغي علىٰ المريد أن يكون بين يدي الكتاب والسنة كالميت بين يدي الغاسل" إلَّا أن المشايخ حرفوها ورفعوا الشرع ممثلًا في الكتاب والسنة واستبدلوه بالشيخ وانتشرت هذه العبارة بين الصوفية حتى أنها أصبحت ركنًا من أركان الآداب الصوفية. وذكروا شعرًا في ذلك.

انظر تحفة الإخوان في آداب الطريق لأحمد الدردير (ص٣٨)

فقال: من لا يملّك، ولا ينكر عليك حالًا من أحوالك، ....

هذا النظر، وينتقل من مقام المعصية إلىٰ مقام الطاعة.

وأيضًا المريد طالب لصحبة الشيخ، والشيخ طالب لصحبة الحق، فيخاف الشيخ من أنه لو طرده وحرمه عن صحبته بالخيانة لطردني وحرمني الحق عن صحبته.

قوله: من لا يملك لأن من لا ملك له لا يخاصم.

لأن الخصومة إنما تقع حيث دخل في البيني لي ولك، فإذا ارتفع ذلك من البيني ارتفعت الخصومة.

قوله: ولا ينكر عليك إذ ما من شخص غير الحق إلَّا وفيه عيب، أو يصدر عنه ما هو عيب، وعدم الإنكار أدنى المقامات[1]، لأنه إذا صحت المحبة لا يرى عيبًا، فكيف ينكر.

وحكي أن رجلًا له امرأة وهو لها عاشق، وإحدى عينيها بيضاء، ولا شعور له به، فإذا مضت الدهور وجد منها مرادات كثيرة ونقص عشقه وفتر، فرأى ذلك البياض فقال لها: متى ظهر هذا البياض في عينيك؟

فقالت: منذ نقصت محبتنا في قلبك، ينبغي أن لا يكون للمحب في المحبة مرادًا في غير المحبوب، ليصح منه تلك المحبة.

وألا يكون محبًا للمراد، فيكون كاذبًا.

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: **«حبك للشيء يعمي ويصم»**[2].

---

(١) المقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك، والمقام في التصوف معناه مقام العبد بين يدي الله ﷻ بما يقوم به من مجاهدات ورياضات وعبادات، وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلىٰ مقام إذا لم يستوف أحكام ذلك المقام ففي مقام القناعة مثلًا، ما لم يتحقق العبد بها لتكون القناعة له ملكة لم يصح له الارتقاء إلىٰ مقام التوكل ومن لم يتحقق بعد بالتوكل لم يصح له مقام التسليم وهكذا في كل المقامات.

المعجم الصوفي (ص٢٣٧)

(٢) أخرجه: الزبيدي في اتحاف السادة المتقين (١/ ٤٧٢)، وابن عدي في الكامل (٢/ ٤٧٢)، والسيوطي في الدرر المنتثرة (٧١)، وذكره الحافظ الهندي في كنز العمال (٤٤١٠٤).

ولا يتغير بتغيرك وإن كان عظيمًا، فإنك أحوج ما تكون إليه[١] أشد ما كنت تغيرًا.

أي من رؤية العيب، ومن استماع الملامة، فإن رأى العيب أو خاف الملامة لا يكون محبًا.

قوله: ولا يتغير بتغيرك، وإن كان عظيمًا.

أي وإن كان تغيرك عظيمًا.

قوله: فإنك أحوج ما تكون إليه أشد ما كنت تغيرًا عليه، لعدم تغير من تصحب معه بتغيرك أي ينبغي أن تصحب مع من لا يتغير بتغيرك.

وإن كان تغيرك عظيمًا، لأنك أحوج ما تكون إلىٰ من تصحب معه حاصل في حال شدة تغيرك، فإذا تغير من تصحب معه في حال تغيرك، وأنت تشعر بتغيره فيزداد فيك تغيرًا، فيصير سببًا لازدياد التغير فيك، فلا يكون حافظًا لك، ومعينك علىٰ ما يعيبك.

والمحب[٢] والصديق إنما يكون ليريك عيبك ويخفيه من الخلق، ويحفظك من أن يلحقك عيب أو خسران أو هلاك، لأنك إذا كنت مستقيمًا ولا عيب فيك، فلا احتياج لك إلىٰ محب وصديق.

قوله: أحوج: مبتدأ، وما في ما تكون مصدرية، وتكون تامة أي أحوج كونك

(١) السائل هو يوسف بن الحسين الرازي أبو يعقوب من أهل الري ومن أقواله: يتولد الإعجاب بالعمل من نسيان رؤية المنة، وقال: علم القوم أن الله يراهم واستحيوا من نظره أن يراعوا شيئًا سواه، وقال أيضًا: علىٰ قدر خوفك من الله يهابك الخلق، وعلى قدر حبك لله ﷻ يحبك الخلق، وعلى قدر شغلك بأمر الله يشغل الخلق بأمرك.

صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥)

(٢) أهل المحبة عند الصوفية علىٰ ثلاثة أحوال الأول محبة العامة وهي المحبة الفعليه وتتولد من إحسان الله تعالىٰ إليهم وعطفه عليهم وفيها قال الرسول ﷺ: جبلت القلوب علىٰ حب من أحسن إليها، الثاني: حال المحبة الصفاتية وتتولد من نظر القلب إلىٰ غناء الله وجلاله وعظمته وقدرته وعلمه وهي محبه الخواص أو محبه الصادقين والمتحققين والثالث: هو حال المحبة الذاتية وهي محبة خاصة الخاصة أو محبة الصديقين والعارفين وتتولد من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالىٰ بلا علة فكذلك أحبوه بلا علة.

المعجم الصوفي (ص٢٢٢)

وقال ذو النون: رأيت امرأة ببعض سواحل الشام، فقلت لها: من أين أقبلت رحمك الله؟

يعني أحوج أزمنة وجودك إلىٰ من تصحب معه، وخبر المبتدأ محذوف، وهو ما قدرناه والجملة خبر إن.

وأشد: حال في المعنى من فاعل تكون، وما في ما كنت مصدرية، وكان تامة.

وتغيرًا: نصب علىٰ التمييز من نسبة أشد.

قوله: فقلت لها: من أين أقبلت رحمك الله؟

أي إنما وصفتهم في الجوانب لا بالنسبة، لأن الشرف والعز ليس في النسب، لانقطاع النسب يوم القيامة، لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾. بل وصفتهم بما وصفهم الله تعالىٰ.

لأن الشرف والعز في الاستقامة[1]، وهي اعتقاد الحق، والعمل الصالح.

لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ [البيّنة: ٧].

واعلم أن الطائفة التي وصفوا في الآية الثانية بأنهم لا يشغلهم شيء عن ذكر الله أعلى حالًا من الطائفة التي وصفوا في الآية الأولى بأنهم تتباعد جنوبهم عن المضاجع في الليل.

يعني يستيقظون فيه ويتركون المضاجع ويتوجهون إلىٰ الله تعالى، ويدعونه خوفًا من عذابه، وطمعًا في ثوابه ويتصدقون مما رزقهم الله.

---

(١) الاستقامة هي أن تجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي، وحقيقتها لا يطيقها إلا الأنبياء وكبار الأولياء وهي علىٰ ثلاثة أضرب: استقامة اللسان علىٰ كلمة الشهادة واستقامة الجنان علىٰ صدق الإرادة واستقامة الأركان علىٰ الجهد في العبادة، ولها مدارج ثلاثة أولها: التقويم وهو تأديب النفس، وثانيها: الإقامة وهي تهذيب القلب، وثالثها: الاستقامة وهي تقريب الأسرار.

المعجم الصوفي (ص٢١)

قالت: من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع، قلت: وأين تريدين؟

قالت: إلىٰ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

قلت: صفيهم لي؟ فأنشأت تقول:

قومٌ: هُمُومُهم بالله قد عَلِقت   فما لهم هِمَمٌ[1] تسمو إلىٰ أحد

قوله: قوم همومهم بالله قد علقت.

أي قوم: خبر مبتدأ محذوف، أي هم قوم وهمومهم جمع همٍّ، وهو ما يشغل القلب من أمرٍ يهم.

وهمَّ بالأمر، أي قصد، وبالله يتعلق بعلقت وتقديمه عليه يفيد التخصيص، أي يختص تعلق همومهم بالله لا تتعداه.

والمصراع الثاني ينبئ عن هذا الاختصاص علىٰ سبيل اللزوم عما قبله مِن المصراع الأول بلفظة الفاء في فما لهم، الدالة علىٰ التسبيب.

قال بعض الكبار: قيمة المرء همته، فمن كانت همته[2] دنياه فقيمته ما يخرج منه، ومن كانت همته أُخراه فقيمته أُخراه، ومن كانت همته مولاه فلا قيمة لا في

(١) الهمة هي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلىٰ جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره، وهي أعز شيء وضعه الله في الإنسان ولاستقامتها علامتان الأولى حالية وهي قطع اليقين بحصول الأمر المطلوب علىٰ التعيين والثانية فعلية وهي أن تكون حركات صاحبها وسكناته جميعها مما يصلح لذلك الأمر الذي يقصده بهمته، فإن لم يكن كذلك لا يسمى صاحب همة بل هو صاحب آمال كاذبة وأماني خائبة والهمة من محتدها الأول لا تعلق لها إلا بالجانب الإلهي وكل ما تعلق بالأكوان تعلقًا ما فإن تعلقه لا يسمى همة بل همًّا.
المعجم الصوفي (ص٢٥٢)

(٢) الهمة كما تقدم هي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلىٰ جانب الحق لحصول الكمال له أو لغيره، وهي أعز شيء وضعه الله في الإنسان ولاستقامتها علامتان: الأولى حالية وهي قطع اليقين بحصول الأمر المطلوب علىٰ التعيين والثانية فعلية وهي أن تكون حركات صاحبها وسكناته جميعها مما يصلح لذلك الأمر الذي يقصده بهمته، فإن لم يكن كذلك لا يسمى صاحب همة بل هو صاحب آمال كاذبة وأماني خائبة.
والهمة من محتدها الأول لا تعلق لها إلَّا بالجانب الإلهي.
المعجم الصوفي (ص٢٥٢، ٢٥٣)

فمطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد

الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا لما أغمض رسول الله عليه الصلاة والسلام عينيه عن الكونين جاء في حقه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧].

أي ما زاغ البصر إلىٰ الدنيا، وما طغى إلىٰ العقبى يعني ما أراد عليه الصلاة والسلام في الدنيا إلّا الله تعالى، وما رأى في العقبى إلّا إياه، فنال ما نال، وما ذاك إلّا لهمته الكبرى، كما قال في حقه عليه الصلاة والسلام له هِمم لا منتهى لكبارها، وهمته الصغرى أجلّ من الدهر.

قوله: فمطلب القوم مولاهم وسيدهم.

أي الفاء في فمطلب للسببية، يريد أن اختصاص تعلق هومومهم بالله سبب انحصار مطلوبهم في مولاهم، والمطلب هاهنا يحتمل أن يكون مصدرًا ميميًّا يراد به اسم المفعول، أي المطلوب، ويحتمل أن يكون اسم موضع، أي محل تعلق طلبهم مولاهم، أي طلبهم يختص به، يعني أن مطلوب القوم في كل حال لهم لا يكون إلّا مولاهم، وذلك الطالب لا بدَّ وأن يكون منع التجرد من الدنيا والعقبى وجميع المرادات والهمم[1]، ومع ذلك الطالب علىٰ هذا الوجه فاقد، أي فاقد المطلوب، وهو مأمور بالطلب، فلا يجوز له القعود من الطلب فانظر إلىٰ حال هؤلاء القوم، فليس لهم حصول المراد، لا في الطلب ولا في تركه ومع هذا لا يعرضون عن الطلب طرفة عين، ولا أقل من ذلك.

أما حسن الطلب للواحد فلأنهم قالوا: من تعلق بالأحد نجا من العدد، ومن نجا من العدد أمن من الغلط.

وأما حسن الطلب للصمد[2]، فلأن الصمد هو المستغني عما سواه.

---

(١) همة الإفاقة هي أولى درجات الهمة وهي الباعثة علىٰ طلب الباقي وترك الفاني.

وهمة الأنفة هي الدرجة الثانية وهي التي تورث صاحبها الأنفة من طلب الأجر علىٰ العمل حتى يأنف قلبه من أن يشتغل بتوقع ما وعده الله تعالىٰ من الثواب علىٰ العمل، وهمة أرباب الهمم العالية هي الدرجة الثالثة وهي التي لا تتعلق إلا بالحق ولا تلتفت إلىٰ ما سوى ذلك فهي أعلى الهمم فلا رضا لها بالأحوال والمقامات ولا بالوقوف علىٰ الأسماء والصفات ولا تقصد إلا عين الذات.

المعجم الصوفي (ص٢٥٣)

(٢) الصمد هو الذي يصمد إليه في الحوائج - أي يقصد فيها - وقيل: الذي لا يطعم، وقيل معناه =

ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف   من المطاعم واللذات والولد

والمحتاج إليه ما سواه.

قوله: ما إن تنازعهم دنيا.

أي إن في ما إن تنازعهم زائدة يريد لا تنازع طلبهم مولاهم، **دنيا ولا شرف** أيّ شرف كان، وإلّا لما صح اختصاص طلبهم لمولاهم به، بل يكون لهم مطلوب غيره، وليس كذلك.

وأيضًا يسمعون في كل وقت هذا الخطاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون: ٩].

وأيُّ خسران أعظم من الاشتغال بغير الحق.

قال سمنون المحب: ما اشتغل سرّي قط إلّا بمحبة الله تعالىٰ، وإنما قيل له سمنون المحب(١)، لأن ظاهره وباطنه صارا بصفات المحبين.

وقال أيضًا: تزوجت امرأة لإقامة الشريعة وصحبتها لا لاستعمال الشريعة، فقد أعطاني الله منها بنتًا فالتفت قلبي إليها، ثم غلب عليّ النوم فرأيت القيامة، ورأيت لواء قام خلق كثير تحته.

فسألت: ما هذا اللواء؟ ومن هؤلاء تحته؟

فقيل: هذا لواء المحبين، وهؤلاء محبو الحق، فأوقعت نفسي فيهم، فجاء شخص وأخذ بعضدي وأخرجني من بينهم وقال لي: إنك لست من جملتهم.

= السيد وقيل غير ذلك [illegible] بعض المشايخ الصمد مطلق وهو الملجأ الذي لا يمكن الخروج عنه لإحاطه أمره فهو راجع إلىٰ اسم الله تعالىٰ ومن عرف أنه الصمد لم يصمد لغيره وكان غنيًا به في كل أحواله.

شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٣٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) سمنون بن حمزة أبو القاسم البغدادي، أصله من البصرة، وسكن بغداد، قال: يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه عليّ فاحتبس بوله أربعة عشر يومًا فكان يتلوى كما تتلوى الحية علىٰ الرمل يتقلب يمينًا وشمالاً فما أطلق بوله قال: يا رب تبت إليك.

صفة الصفوة لابن الجوزي (ص١٢٠)

ولا للبس ثياب فائق آنق ولا لروح سرور حل في بلد

فقلت له: إني أيضًا محب الحق.

فقال: اسمك في ديوان المحبين[1] إلىٰ يوم، فالتفت قلبك اليوم إلىٰ بنتك فمحى اسمك من ديوان المحبين.

فقلت في النوم: إلهي إن كانت هذه تقطعني عنك فارفعها، فإذا سمعت أصوات النسوة، فلما استيقظت قلت: أي شيء وقع.

فقالت: إن الصبية وقعت من السطح وكسر عنقها.

قوله: ولا للبس ثياب.

عطف علىٰ مقدّر تقديره مطلب القوم مولاهم لا لما ذكر من الدنيا والشرف ولا للبس ثياب **فائق آنق**.

يقال: فاق الرجل أصحابه، أي علاهم بالشرف وشيء أنيق، أي حسن معجب.

يجوز أن يكون آنق في البيت بكسر النون، أصله أنيق فخفف.

ووصف **ثياب** بالمفرد، وهو فائق آنق، لأن المراد بالثياب نفس الجنس أي الثوب، فوصفه باعتبار المعنى.

والروح الراحة.

ومن جملة معاني البيت أنهم لا يشتغلون بشيء من الراحة والبشر والسرور لأنهم في خطر عظيم.

---

(١) قيل في سبب المحبة إنه ميل الجميل إلىٰ الجمال بدلالة المشاهدة كما ورد أن الله جميل يحب الجمال، وذلك لأن كل شيء يجذب إلىٰ أصله وجنسه وينتزع إلىٰ أنسه ووصله فانجذاب المحب إلىٰ جمال المحبوب ليس إلا لجمال فيه. والجمال الحقيقي صفة أزليه لله تعالىٰ شاهده في ذاته أولاً مشاهدة علمية فأراد أن يراه في صنعه مشاهدة عينيه، فخلق العالم كمرآة شاهد فيه عين جماله عيانًا، والحب الإلهي وراء حب العقلاء فإنه صفة قديمه قائمة بذاته تعالى، وصفته عين الذات فهي قائمة بنفسها.

المعجم الصوفي (ص٢٢٢)

إذ شأنهم مع من لا يبالي ولا يكترث من شيء قال بعض الفقراء[١] في السنة التي استولى وغلب الروم فيها على طرسوس: أنا مع شيخ فيها فخرجنا منها ومشينا على موضع عال وننظر إليها.

فدخل الروم في تلك البلدة وحرقوا مسجد الجمعة وأخذوا النساء بنوائبهم وجاءوا بهن وبأطفال المسلمين في المهود، وطرحوهم في النار.

فقلت لذلك الشيخ: على أي ديوان يكتب هذا.

فقال: على ديوان لا أبالي.

معنى هذا الكلام أن من قال في الأزل: "هؤلاء في النار ولا أبالي، وهؤلاء في الجنة ولا أبالي"[٢]، فهو لا يبالي عنك، ويحتمل أن يكون معناه هؤلاء في الجنة ولا أبالي بجفائهم، وهؤلاء في النار ولا أبالي بوفائهم، ويحتمل أن يكون معنى لا أبالي أن من يعز ويذل من غير علة، فلامه الخلق فإني فعلت كذا ولا أبالي من ملامة، فمن هو شأنه مع مثل هذا الشخص فمن أي سرور يجد راحة، أو من أي نعمة يجد لذة.

ومن جملة معانيه أنهم من فرط محبتهم وغلبة شوقهم لم يجدوا طرفة عين راحة، لأن المحبة لا تجتمع مع الراحة، فإن لكل شيء غداء يبقى به، فإذا أمسك الغداء عنه هلك، فغداء المحبة البلاء، فإذا أمسك عنها لا تبقى المحبة، فكل شيء يبقى

---

(١) يقصد بالفقير الصوفي، والفقر مقام شريف وهو يقتضي مقام الصبر، وقيل: ليس الفقر عند الصوفية الفاقه والعدم ولكنه الفقر المحمود الثقة بالله تعالى والرضا بما قسم، والفقراء على ثلاث طبقات: فمنهم من لا يملك شيئًا ولا يطلب بظاهره ولا بباطنه من أحد شيئًا ولا ينتظر من أحد شيئًا وإن أعطى شيئًا لم يأخذه، فهذا المقربون ومنهم من لا يملك شيئًا ولا يسأل أحدًا ولا يطلب ولا يعرض وإن أعطى شيئًا من غير مسألة أخذ ومنهم من لا يملك شيئًا وإذا احتاج انبسط إلى بعض إخوانه ممن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه فكفارة مسألته صدقه.
المعجم الصوفي (ص١٩٤)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٣٣٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١٣٥)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٠٨)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢٩٢).

إلّا مســارعــة فــي إثــر مــنــزلــة قد قارب الخطو فيها باعد الأبد

بالراحة، ويفنى بالبلاء والمحبة بالعكس، فإذا ادعى القوم المحبة أغلقوا باب الراحة علىٰ أنفسهم وفتحوا باب البلاء عليهم ليظهروا صدقهم في المحبة.

قوله: إلّا مسارعة في إثر منزلة . . . . البيت.

يعني ليس مطلب القوم مولاهم إلّا لأجل مسارعة هممهم في إثر منزلة القرب[١] التي قارب خطو القلب في تلك المنزلة الوصول بمولى الأزل والأمد الغاية.

والمراد ههنا الأزل، روي فيما باعد الأمد.

وفيها إلّا باعد الأمد، فعلى هذا الأول يجوز جرّ باعد لزيادة ما فيها، أو لكونه بدلًا أو صفة لما، ويجوز رفعه علىٰ أنه خبر المبتدأ المحذوف، وعلى الثاني باعد منصوب مفعول قارب، والضمير في فيها يعود إلىٰ منزلة وعلى التقديرين باعد اسم الفاعل المراد وهو الحق.

واعلم أن سفر العارفين بالهمة وسفر طالب الدنيا بالحظوة، وكما أن سفر الزهاد بالطاعة، ويتقدمون بها ويقطعون المنازل ليصلوا إلىٰ العقبى، فالعارفون[٢] يتقدمون بالإفلاس ويضعون قدم الهمة علىٰ الكونين، ويجلسون في سفينة البلاء ويطرحون

---

(١) القرب هو قرب العبد من الحق سبحانه بالمكاشفة والمشاهدة والانقطاع عما دون الله وقيل القرب هو الدنو من المحبوب بالقلب وهو علىٰ نوعين: قرب النوافل وهو زوال الصفات البشرية وظهور صفاته تعالىٰ علىٰ البشر بأن يسمع المسموعات من بعيد ويبصر المبصرات من بعيد ويحيى ويميت بإذن الله تعالىٰ وهذا معنى فناء: الصفات في صفات الله تعالىٰ وهو ثمرة النوافل وقرب الفرائض وهو فناء العبد بالكلية عن الشعور بجميع الموجودات حتى نفسه أيضًا بحيث لم يبق في نظره إلا وجود الحق سبحانه وهذا معنى فناء العبد في الله تعالىٰ وهو ثمرة الفرائض.

المعجم الصوفي (ص٢٠١)

(٢) العارف من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال عن نفسه والمعرفة حاله وعلامة العارف ثلاثة: أن لا يطفئ نور معرفته ولا يعتقد باطنًا من العلم ينقض عليه ظاهرًا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله وكراماته عليه علىٰ هتك أستار محارم الله، والعارفون علىٰ ثلاثة أصناف: صنف منهم ليس لهم من الحق نفسي، وصنف منهم يحثهم الوجد إلىٰ الحال الذي يتولاهم الحق بالحفظ فيه، وصنف منهم غاب عنهم العرف والعادة واستوى عندهم النطق والصمت وغير ذلك بعناية الحق لهم فإن سكتوا فلله وإن نطقوا فعن الله ينطقون.

المعجم الصوفي (ص١٦٥)

فـهـم رهـائـن غُـدران وأوديــة وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

❊ ❊ ❊

أنفسهم في بحر العظمة ويرفعون شراع التسليم ويصغون الأذن بريح المشيئة، فيحتمل أن يتحرك الريح من جانب اليمين فيوصلهم عن قريب إلىٰ المراد، ويحتمل أن يتلاطم الأمواج ونكست السفينة وغرقت فلم يبق العارف ولا معرفته.

قوله: فهم رهائن غيران وأودية . . . البيت.

رهائن جمع رهينة بمعنى مرهونة.

وروي رهائن جمع رهيان علىٰ حذف المد في الجمع.

وروي غدران جمع غدير وهو الحوض.

وروي موضع غدران غيران، والغيران جمع الغار والأودية جمع الوادي، والشوامخ جمع شامخة وهو الجبل المرتفع، يعني أنهم لا يختلطون بالسر مع الخلق، فكأنهم بالباطن في الغيران والأودية والجبال المرتفعة، لأن هذه المواضع خالية فيكونون خالين بالسر عن غير الحق ولكن يخالطون في الظاهر مع الخلق ليخفوا أوقاتهم وأحوالهم عليهم لا للأنس معهم.

قوله: مع العدد.

يحتمل أن يكون خبرًا لقوله هم بعد خبر.

ويحتمل أن يكون حالًا من الضمير المفعول في تلقاهم.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني
في رجال الصوفية

ممن نطق بعلومهم، وعبّر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولًا وفعلًا بعد الصحابة رضوان الله عليهم. علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي الباقر[1]، وابنه جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم، بعد علي والحسن والحسين رضي الله عنهم، وأويس القرني[2]، والحسن بن أبي الحسن البصري، وأبو حازم سلمة بن دينار المديني، ومالك

قوله: باب رجال الصوفية

فيمن نطق بعلومهم وعبّر عن مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولاً وفعلاً.

ذكر أربعة أشياء: العلم، والوجد، والمقام، والحال، والمراد بعلومهم ههنا هي علوم الوراثة التي منحوها لصدق المجاهدات وخلوص المعاملات وهي علوم الصوفية، بدليل إضافتها إليهم، وتسمى علوم الأحوال أيضًا، وهي التي تفردت بها الصوفية.

والوجد ما يرد على الباطن من الله ويغيره عن هيئته، ويُغيّبه عن أوصافه بشهود الحق.

---

(١) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر الباقر توفي سنة (١١٧) هـ وهو ابن (٧٣ سنة).

قال الباقر: الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ولا تصيب الذاكر، وقال: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل أو كثر.

(٢) أويس بن عامر بن جرير بن مالك القرني قال أسير ابن جابر: كان عمر بن الخطاب إذ أتت عليه أمداد أهل اليمن سألهم هل فيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد؟ ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: كان بك برص فبرأت إلا موضع درهم؟ قال: نعم قال: لك والدة؟ قال: نعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتي عليكم أويس بن عامر مع إمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها يدلو أقسم على الله لأبرّه فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي . .»** إلى آخره.

انظر صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٣٠، ٣١)

ابن دينار، وعبد الواحد بن زيد، وعتبة الغلام، وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وابنه علي بن الفضيل[١]، وداود الطائي، وسفيان بن سعيد الثوري وأبو سليمان الداراني[٢]، وابنه سليمان، وأحمد بن الحواري الدمشقي[٣]، وأبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري، وأخوه ذو الكفل، والسري بن المغلس السقطي[٤]، وبشر بن الحارث الحافي، ومعروف الكرخيّ[٥] وأبو حذيفة المرعشي، ومحمد بن المبارك الصوري، ويوسف بن أسباط[٦].

وقيل: الوجد ما يظهر علىٰ الظاهر مما يرد علىٰ الباطن من الله، فلو ورد علىٰ

---

(١) علي بن الفضيل بن عياض المكي مات في حياة أبيه، قال الفضيل بن عياض: بكى ابني علي فقلت: يا علي ما يبكيك؟ قال: يا أبت أخاف ألا تجمعنا القيامه قال سفيان بن عيينه: ما رأيت أحدًا أخوف من الفضيل وابنه علي، وكان علي بن الفضيل يصلي حتى يزحف إلىٰ فراشه ثم يلتفت إلىٰ أبيه فيقول يا أبه سبقني العابدون.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي أبو سليمان الداراني وداريا قرية من قرى دمشق، توفي سنة (٢٠٥) هـ، ومن أقواله: مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله، وقال: لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

وقال: كل ما شغلك عن الله ﷻ من أهل ومال أو ولد فهو عليك مَشْوم.

(٣) أحمد بن أبي الحواري ميمون، أبو الحسن الشامي، نشأ في بيت كله ورع وزهد، توفي سنة (٢٣٠)، قال عنه الجنيد: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام.

وقال عنه يحيى بن معين: أظن أهل الشام يسقيهم الله الغيث به، ومن أقواله: كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

(٤) السري بن المغلس السقطي أبو الحسن البغدادي خال أبي القاسم الجنيد، وأستاذه، ودعا له معروف الكرخي: أغنى الله قلبك فوقع الزهد في قلبه حينئذ ومن أقواله: أجلد الناس من ملك غضبه، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله، ولن يكمل رجل حتى يؤثر دينه علىٰ شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته علىٰ دينه.

(٥) معروف بن الفيرزان الكرخي، أبو محفوظ البغدادي وهو منسوب إلىٰ كرخ بغداد، توفي سنة (٢٠٠) هـ وقيل إنه في علته أوصى فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانًا كما دخلت إليها عريانًا.

ومر يومًا علىٰ سقَّاء يسقي الماء وهو يقول: رحم الله من شرب فشرب وكان صائمًا وقال: لعل الله أن يستجيب له.

(٦) يوسف بن أسباط، توفي قبل سنة (٢٠٠) هـ قال: لي أربعون سنة ما حاك في صدري شيء=

ومن أهل خراسان والجبل: أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، وأبو حفص الحداد النيسابوري وأحمد بن خضرويه البلخي[١]، وسهل بن عبد الله التستري، ويوسف بن الحسين الرازي، وأبو بكر بن طاهر الأبهري، وعلي بن سهل بن الأزهر[٢] الأصفهاني، وعلي بن محمد البارزي وأبو بكر الكناني[٣] الدينوري، وأبو محمد بن الحسن بن محمد الرحاني، والعباس بن الفضل بن قتيبة ابن منصور الدينوري، وكهمس بن علي الهمداني، والحسن بن علي بن يزدانيار.

الباطن تجلي الجمال ظهر منه علىٰ الظاهر صوت معه طرب ودلال.

ولو ورد علىٰ الباطن تجلي الجلال[٤] ظهر منه علىٰ الظاهر منه صوت معه جزع وبكاء.

=

إلّا تركته وكان يدعو فيقول: اللهم عرفني ولا تقطع رجاءك من قلبي، وقيل له: ما غاية الزهد؟ قال: لا تفرح بما أقبل، ولا تأسف علىٰ ما أدبر.

(١) أحمد بن الخضر البلخي أبو حامد، ومعروف بابن خضرويه البلخي، توفي سنة (٢٤٠) هـ، قال أبو حفص: ما رأيت أحدًا أكبر همة ولا أصدق حالاً من أحمد بن خضرويه سئل أحمد: أي الأعمال أفضل؟ فقال: رعاية السر عن الالتفات إلىٰ شيء غير الله جل جلاله.

ومن أقواله: القلوب جوالة إما أن تجول حول العرش وإما أن تجول حول الحش، الصبر زاد المضطرين والرضا درجه العارفين وقال: لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة.

(٢) علي بن سهل بن الأزهر، أبو الحسن الأصبهاني كان من المترفين فتزهد فكان يبقى الأيام الكثيره لا يأكل، وتوفي سنة (٣٠٧) هـ.

كان يقول: ليس موتي كموتكم بأعلال وأسقام وإنما هو دعاء وإجابة أدعى فأجيب، فكان كما قال: كان يومًا قاعدًا في جماعة فقال: لبيك ووقع ميتًا.

(٣) أبو بكر الكناني محمد بن علي بن جعفر، أصله من بغداد، لكنه أقام بمكة ومات بها سنة (٣٢٨) هـ كان المرتعش يقول: الكناني سراج الحرام، وقال أبو جعفر الأصفهاني: صحبت الكناني سنين فكان يزداد علىٰ الأيام ارتفاعًا وفي نفسه اتضاعًا.

ومن أقواله: روعة عبد عند انتباه من غفلة وارتعاد من خوف خطيئة أعود علىٰ المريد من عبادة الثقلين.

(٤) الجلال صفة القهر، ويطلق أيضًا علىٰ الصفات السلبية مثل أن لا يكون الله تعالىٰ جسمًا ولا جسمانيًا ولا جوهرًا ولا عرضًا ونحو ذلك من السوالب.

والجلال صفة العظمة والكبرياء والمجد والثناء وكل جمال له فإن شدة ظهوره يسمى جلالاً كما أن =

....

ولو ورد على الباطن تجلي الخوف، ظهر على الظاهر منه هيبة وصمم.

ولو ورد على الباطن تجلي اللطف، ظهر على الظاهر منه انبساط.

ولو ورد تجلي[1] المحبة ظهر منه على الظاهر علامة عدم المراد.

ولو ورد تجلي الشوق[2]، ظهر منه على الظاهر علامة السكر ولو ورد تجلي القرب، ظهر منه على الظاهر علامة الحيرة، فما ظهر على الظاهر يقال له الوجد.

وما ورد على الباطن يقال له الحال[3].

= كل جلال له فإنه في مبادي ظهوره على الخلق يسمى جمالاً، ومن هنا قيل إن لكل جمال جلالاً، ولكل جلال جمالاً وإن الخلق لا يشهدون من الله إلَّا جمال الجلال أو جلال الجمال.

المعجم الصوفي (ص٦٥)

(١) التجلي هو عبارة عن ظهور ذات الله وصفاته وهذا هو التجلي الرباني وتجلي الروح أيضًا، وقيل: التجلي إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه وقيل: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

المعجم الصوفي (ص٤٨)

(٢) الشوق هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب وهو في قلب المحب كالفتيلة في المصباح والعشق كالدهن في النار، وقيل: من اشتاق إلى الله أنس إلى الله ومن أنس طرب ومن طرب وصل، ومن وصل اتصل ومن اتصل طوبى له وحسن مآب.

والفرق بين الشوق والاشتياق أن الشوق يسكن باللقاء والاشتياق لا يزول باللقاء بل يزيد ويتضاعف.

المعجم الصوفي (ص١٣٧)

(٣) الحال هو ما يرد على القلب أو يحل به من كرب أو حزن أو بسط أو قبض وتسمى الحال بالوارد أيضًا، ولذا قالوا لا ورد لمن لا وارد له.

وقيل: الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه إما واردة عليه ميراثًا للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب، وإما نازلة من الحق تعالى امتنانًا محضًا.

وإنما سميت الأحوال أحوالاً لحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الحقية ودرجات القرب.

المعجم الصوفي (ص٧١)

....

....

وقيل: الحال ما يرد على القلب من غير تعمّل واجتلاب ومن شرطه أن يزول، ويعقبه المثل بعد المثل إلىٰ أن يصفو[١].

وقد لا يعقبه المثل ومن ههنا نشأ الخلاف، فمن أعقبه المثل قال بدوامه، ومن لم يعقبه المثل قال بعدم دوامه.

وقيل: الحال تغير الأوصاف على العبد، وأما المقام فهو استيفاء حقوق المراسم على التمام مثل أن يستوي في حقوق مرسوم الفقر والزهد[٢] والتوكل[٣] وغيرها من المقامات.

وقال في العوارف: الأحوال مواجيد، والمقامات طرقها، ولا مقام إلّا بعد سابقة حال.

❊ ❊ ❊

---

(١) الصفو عدم المعارضة وصفو الوجد معناه ان لا يعارضك شيء في وجدك سوى وجودك.
والصفوة هم المتصفون بالصفاء من كدر الغيريّة ويقال للمؤمنين عامة الصفوة وللأئمة الحافظين الحدود القائمين على أمر الدين والداعين له خاصة الصفوة وهؤلاء هم المقتدون برسول الله ﷺ وعلى سنته وآدابه وأخلاقه وأفعاله وأحواله وحقائقه وهم المعنيون بقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: ٣١] وهؤلاء هم الصوفية.
المعجم الصوفي (ص١٤٨)

(٢) الزهد هو خلو القلب عما خلت منه اليد، وأن تترك الدنيا لا تقول أبني بيتًا أو مسجدًا.
والزاهد لا يملك مع الله سببًا، ولا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة.
والزهد في الحرام لأن الحلال مباح وهو في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة.
المعجم الصوفي (ص١١٧)

(٣) سئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلًا؟ فقال إذا رضي بالله تعالىٰ وكيلًا، والتوكل يقتضي مقام الرضا وعرفه السري السقطي أنه الانخلاع من الحول والقوة وقال ابن مسروق: إنه الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام.
والتوكل المقصود هو توكل العناية لا توكل الكفاية وهو أن يطالب العبد ربه بالأعواض.
المعجم الصوفي (ص٦١)

الباب الثالث
فيمن نشر علوم الإشارة كتبًا ورسائل

أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي[1] وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الصمد النوري وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، ويقال له لسان التصوف.

وأبو محمد رويم بن محمد، وأبو العباس أحمد بن عطاء، وأبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي، وأبو يعقوب يوسف بن حمدان السوسي، وأبو يعقوب إسحاق بن محمد بن أيوب النهرجوري وأبو محمد الحسن بن محمد الجريري.

وأبو عبد الله محمد بن علي الكتاني، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص[2]، وأبو علي الأوراجي، وأبو بكر محمد بن موسى الواسطي، وأبو عبد الله الهامشي، وأبو عبد الله هيكل القرشي، وأبو علي الروذباري، وأبو بكر القحطبي، وأبو بكر الشبلي، وهو دلف بن جحدر.

....

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز القويري البغدادي توفي سنة (٢٩٨) شيخ الصوفية الكبير.

(٢) إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، أبو إسحاق من أهل الري، مات بها سنة (٢٩١) هـ.
من أقواله: من لم يصبر لم يظفر، وإن لإبليس وثاقين ما أوثق بنو آدم بأوثق منهما: خوف الفقر والطمع.
وقال: دواء القلوب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.
وقال: من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه.
انظر صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٤)

الباب الرابع
فيمن صنف في المعاملات

أبو محمد عبد الله بن محمد، وأبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكيان، وعبد الله بن خبيق الأنطاكي والحارث بن أسد المحاسبي، ويحيى بن معاذ الرازي، وأبو بكر محمد بن عمر بن الفضل الوراق[1] الترمذي، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرازي[2]، وأبو عبد الله محمد بن علي الترمذي[3]، وأبو عبد الله محمد ابن الفضل البلخي، وأبو علي الجوزجاني، وأبو القاسم بن إسحاق بن محمد

والأحوال[4] مواهب، والمقامات مكاسب يريد أن الأحوال موهبة من الله تعالىٰ.

---

(١) محمد بن عمر أبو بكر الوراق، ويقال له الحكيم، وأصله من ترمذ، لكنه أقام ببلخ.

دخل رجل عليه فقال: إني أخاف من فلان، فقال: لا تخف منه فإن قلب من تخافه بيد من ترجوه.

ومن أقواله: لو قيل للطمع من أبوك؟ قال: السك المقدور، ولو قيل: ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل ولو قيل: ما غايتك؟ قال: الحرمان.

ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٨٠)

(٢) سعيد بن إسماعيل الحيري، أبو عثمان من أهل الري والمتوفي (٢٩٨) هـ، ولد بالري وخرج إلىٰ نيسابور مع شيخه شاه بن شجاع يزوران أبا حفص النيسابوري فزوجه أبو حفص ابنته وتوطن نيسابور ومات بها من أقواله: حق لمن أعزه الله بالمعرفة أن لا يزال نفسه بالمعصية.

صفة الصفوة (٢/ ٩٨)

(٣) محمد بن علي بن الحسين الترمذي أبو عبد الله من أهل ترمذ، من كبار مشايخ خراسان، له التصانيف المشهورة ومن أقواله: ليس في الدنيا حمل أثقل من البرّ، لأن من برّك فقد أوثقك، ومن جافاك فقد اطلقك.

وقال: المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه والمنافق حزنه في وجهه وبشره في قلبه.

وقال أيضًا: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع عنك نعمته واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه.

صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/ ٢٧٧)

(٤) سميت الأحوال أحوالاً لحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلىٰ الصفات الحقية ودرجات القرب، وذلك هو معنى الترقي. وقيل معنى الأحوال هو ما يحل بالقلوب.

المعجم الصوفي (ص٧١)

الحكيم السمرقندي. وهؤلاء هم الأعلام المذكورون المشهورون المشهود لهم

والمقامات مكاسب العبد، فلا مقام إلّا بعد سابقة حال، لأن أول المقامات وأصلها التوبة، وهي مسبوقة بالزجر والانتباه عن الغفلة، وذلك موهبة من الله تعالىٰ.

والعلم يدل علىٰ الحال، إذ لا علم من غير سبق حال وهكذا سنة الله تعالىٰ جارية أن كل حال صاحب له ذوق[١] فيها، لا بدّ أن يكشف له علم لحال أعلى مما هو فيه فيكون في حاله الأول صاحب ذوق.

وفي الحال التي لو كشف بها صاحب علم، ولحال فوق ذلك صاحب إيمان حتى لا يزال طريق القلب مسلوكًا، فيكون في حال الذوق صاحب قَدم[٢].

وفي حال العلم صاحب نظر، وفي حال فوق ذلك صاحب إيمان.

قوله: وزين العابدين[٣] عطف بيان لقوله: علي وهو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وإنما سمي بذلك الاسم لأنه ليس من أهل بيت الرسول عليه الصلاة

---

(١) الذوق نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره.

وهو كالشراب لكن الشراب لا يستعمل إلا في الراحات والذوق يلائم الراحات والمتاعب.

وأول التجليات الذوق، ثم الشرب، فإذا بلغ النهايه يسمى ريًا، وأهل الذوق من تكون أحكام تجلياتهم نازلة من مقام أرواحهم وقلوبهم إلىٰ مقام نفوسهم وقواهم كأنهم يجدون ذلك حسًا ويدركونه ذوقًا ويلوح ذلك من وجوههم.

المعجم الصوفي (ص١٠٠)

(٢) القدم بفتح القاف ما ثبت للعبد علىٰ علم الحق من باب السعادة والشقاوة، وقدم الصدق هي السابقة الجميلة والموهبة الجزيلة التي حكم بها الحق تعالىٰ لعباده الصالحين المخلصين في قوله تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢].

والصدق هو الخيار في كل شيء.

المعجم الصوفي (ص١٩٩، ٢٠٠)

(٣) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسين توفي بالمدينة سنة (٩٤) هـ، وهو ابن (٥٨ سنة) وهو عليّ الأصغر، وأما الأكبر فإنه قتل مع الحسين، وكان عليّ هذا مع أبيه إلا أنه كان مريضًا نائمًا علىٰ فراش فلم يقتل.

وكان علي بن الحسين إذا توضأ يصفر، فيقول له أهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم. وكان يحمل جراب الخبز علىٰ ظهره بالليل=

بالفضل الذين جمعوا علوم المواريث إلىٰ علوم الاكتساب سمعوا الحديث،

والسلام من كان مشابهًا للرسول عليه الصلاة والسلام في ظاهره وباطنه وأفعاله وأقواله وحركاته وخلقه غيره.

ونقل أن نسل رسول الله ﷺ كله منه وابنه محمد الباقر، وسمي بذلك الاسم لتبقره في العلم. التبقر التوسع في العلم والمال.

وجعفر الصادق[١] ابن محمد الباقر.

ولهم كلمات عجيبة غريبة، وكتب هذه الطائفة من كلماتهم مملوءة.

ووقع الاتفاق علىٰ أن علي بن أبي طالب ؓ رأس العارفين، وله كلمات لم يقل قبله ولا بعده مثلها أحد حتى يقال إنه علىٰ المنبر يومًا قال: سلوني عما دون العرش[٢] فإن بين الجوانح علمًا جمًّا.

هذا لعاب رسول الله ﷺ في فمي هذا ما رزقني رسول الله ﷺ زقًا زقًا فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما لوضعت وسادة فأخبرت بما فيهما، فصدقاني كل ذلك.

= فيتصدق به ويقول إن صدقة السر تطفئ غضب الرب ﷻ.
صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٢١٩، ٢٢٠)

(١) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين أبو عبد الله توفي بالمدينة سنة (١٤٨) هـ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق.
قيل: كان مشغولاً بالعبادة عن حق الرياسة ومن أقواله: لا يتم المعروف إلا بثلاثه: بتعجيله وتصغيره وستره، وقال: من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة.
وقال: أصل الرجل عقله وحسنه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون.
صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٤٧)

(٢) قيل العرش الأكبر هو قلب الإنسان الكامل والعرش هو مظهر العظمة ومكانه والتجلي وخصوصية الذات فمتى قيل العرش مطلقًا فالمراد به هذا الفلك المذكور ومتى قيد شيء من الصفات فالمراد به ذلك الوجه من الفلك كقوله تعالى: ﴿الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] فإن المراد به من عالم القدس المرتبة الرحمانية التي هي منشأ المجد وكذلك ﴿الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] فإن المراد به الحقائق الذاتية والمقتضيات النفسانية التي مكانتها العظمة.
المعجم الصوفي (ص١٧٤)

وجمعوا الفقه والكلام، واللغة، وعلم القرآن، تشهد بذلك كتبهم ومصنفاتهم.

وكان في المجلس رجل يقال دعلب اليماني فقال: ادّعى هذا الرجل دعوى عريضة لأفتضحنّه.

فقام فقال: أأسأل؟

فقال: ويلك سل تفقهًا[1] ولا تسأل تعنتًا.

فقال: أنت حملتني علىٰ ذلك، هل رأيت ربك يا علي؟

فقال: ما كنت لأعبد ربًا لم أره.

قال: كيف رأيته؟

فقال: لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيقان ربي واحد لا شريك له، أحد لا ثاني له، فرد لا مثل له، لا يحويه مكان ولا يداوله زمان لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، فصاح دعلب وسقط مغشيًا عليه، فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لا أسأل أحدًا بعد هذا تعنتًا.

فقال علي بن أبي طالب ﷺ: هذا إذا كان الأمر إليك.

وكذا روي أن كميل بن زياد سأل عليًا عن الحقيقة قال: ما لك والحقيقة؟

قال: أولست صاحب سرك؟

قال: بلى، ولكن يترشح عليك مما يطفح عني[2].

قال: أو مثلك يخيب سائلًا؟

---

(١) الفقه قال في الصحاح الفقه الفهم، وفي القاموس المحيط الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وفي المصباح المنير الفقه: فهم الشيء، قال ابن فارس: وكل علم لشيء فهو فقه، فالفقه هو الفهم لما ظهر أو خفى قولاً كان أو غير قول وقد استعمل اسم الفقه في اصطلاح الفقهاء للدلالة علىٰ معنيين: أحدهما حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية الواردة بالكتاب والسنة وما استنبط منها سواء حفظت مع أدلتها أم حفظت مجردة من هذه الدلائل، وقال علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «نعم الرجل الفقيه في الدين إن احتيج إليه نفع وإن استغني عنه أغنى نفسه».

(٢) بالهامش: طفح الإناء طفوحًا إذا امتلأ حتى يفيض.

ولم نذكر المتأخرين وأهل العصر وإن لم يكونوا بدون من ذكرنا علمًا، لأن الشهود يغني عن الخبر عنهم.

***

قال: الحقيقة كشف سبحات الجلال من غير إشارة[١].

قال: زدني فيه بيانًا.

قال: محو الموهوم مع صحو المعلوم.

قال: زدني فيه بيانًا.

قال: كشف الستر مع غلبة السرّ.

قال: زدني فيه بيانًا.

قال: جذب الأحدية[٢] بصفة التوحيد.

قال: زدني فيه بيانًا.

قال: نور يشرق من صبح الأزل علىٰ هياكل التوحيد آثاره.

قال: زدني فيه بيانًا.

قال: اطف السراج فقد طلع الصبح.

ومناقب أولاده أكثر من أن تحصى وأوفر من أن تستقصى.

***

(١) الإشارة هي الأخبار من غير الاستعانة بالتعبير باللسان، وقيل ما خفي عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه، وتكون مع القرب ومع حضور الغيب وتكون مع البعد، وعلم الصوفية علم إشارة فإذا صار علم عبارة خفي.

المعجم الصوفي (ص٢٣)

(٢) الأحدية مجلى ذاتي ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشيء من مؤثراتها فيها ظهوره، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية الخَلْقية وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم من ذلك إذا استغرقت في ذاتك ونسيت اعتباراتك وأخذت بك فيك عن خواطرك لكنت أنت في أنت من غير أن تنسب إليك شيئًا مما تستحقه من الأوصاف الحقية.

المعجم الصوفي (ص١٣)

الباب الخامس
شرح قولهم في التوحيد

اجتمعت الصوفية علىٰ أن الله واحد أحد[1] فرد ....

قوله: شرح قولهم في التوحيد

أجمعت الصوفية علىٰ أن الله تعالىٰ واحد أحد.

نشير إلىٰ معاني هذه الألفاظ علىٰ سبيل الاختصار فنقول وبالله التوفيق: **واحد** بحسب الذات والصفات أي لا أجزاء له ولا جزئيات، ولا يشبه صفته صفة غيره (.....)[2] لا عين ولا غير.

أحد بحسب الأفعال، أي لا نظير له في الفعل.

وقيل: أحد[3] في ذاته واحد في صفاته.

وقيل: لا فرق بينهما في المعنى.

فرد: أي في ذاته وصفاته وأفعاله.

وقيل: الفرد هو أن لا مثل له.

---

(١) الأحد هو المنفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو واحد في ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يحل في محل واحد في صفاته لا يشبه شيئًا ولا يشبهه شيء واحد في أفعاله لا شريك له ولا نظير (وهذا تعريف الواحد أيضًا) وقد يقال: إنه الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، الأحد في وحدانيته فلا يقبل التغيير ولا التشبيه بحال والله تعالىٰ أعلم.
شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٣٧) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٣) من عرف أنه الأحد لم يبق للأكوان عنده نسبة في الوجود ولا في العدم.
قال ابن عطاء الله السكندري في الحكم: الأكوان ثابتة بإثباته، وممحوة بأحدية ذاته.
وقال أيضًا: شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك علمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده لإعدامك ولنفي وجودك "وكان الله ولا شيء معه، وهو الآن علىٰ ما عليه كان".
المرجع السابق (ص١٣٨)

صمد قديم عالم قادر حيّ، سميع بصير ....

والصمد[1]: فعل بمعنى المصمود إليه، ويقال: للسيد. وسمي بذلك لأنه يقصد إليه في الحوائج والرغائب وقيل الصمد الذي لا جوف له، يعني لا يأكل ولا يحتاج إليه، وهو يطعم ولا يطعم وقيل: الصمد[2] هو الذي يستغني ولا يستغنى عنه **والقديم** موجود لا أول له. **والعالم** هو المدرك للأشياء.

والقادر[3] هو الذي يصح منه الفعل والترك.

والحي ههنا هو الذي يصح أن يعلم ويقدر.

سميع: أي له صفة بها يدرك المسموع.

بصير[4]: أي له صفة بها يدرك المبصر.

وقيل: هما في حقه تعالىٰ المدرك للمسموعات والمبصرات.

---

(١) من خاصية اسم الله الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائه وخمسه وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية والله تعالىٰ أعلم.
ومن عرف أنه الصمد لم يصمد لغيره وكان غنيًا به في كل أحواله.
والتقرب بهذا الاسم تعلقًا بالرجوع إليه تعالىٰ والرغبة في عموم الأوقات والحالات وتخلقًا، يجزي عن تفسيره.
انظر شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٣٩، ١٤٠) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال البخاري: قال أبو وائل: الصمد هو السيد الذي انتهى سؤدده، وقيل: معناه الدائم، وقيل: الباقي بعد فناء الخلق.
انظر سلاح المؤمن لابن الإمام (ص٢٦٣)

(٣) القادر هو المتمكن من الفعل بلا معالجة ولا واسطة، الذي لا يلحقه عجز فيما يريد إنكاره.
وقال بعض المشايخ: القادر من القدرة، وهو ظهور الأشياء في الأعيان والشهادة، وهو راجع إلىٰ اسم الله تعالىٰ المقتدر والذي قيل: بمعنى القادر وقيل: أخص منه، وقال بعض المشايخ: المقتدر من الاقتدار وهو الاستيلاء عن كل من أعطاه حظًا من قدرة وهو يرجع إلىٰ جامع الملك.
شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٤١) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٤) البصير هو الذي يدرك لكل موجود لرؤيته والسمع والبصر صفتان من صفاته المعنوية ثابتان له تعالىٰ كما يليق بوصفه تعالى، ومن عرف أنه السميع البصير راقبه في الحركات والسكنات حتى لا يراه حيث نهاه أو يفقده حيث أمره.
المرجع السابق (ص٧٥)

عزيز عظيم جليل كبير جواد رؤوف متكبر جبار باق أول ....

عزيز: أي غالب، من قولهم عز أي غلب، وقيل: عديم المثل.

وقيل: هو الذي يتعذر الإحاطة بوصفه ويعسر الوصول إليه مع أن الحاجة تشتد إليه.

عظيم: أي باعتبار السلطنة والحكم.

جليل(١): أي باعتبار الهيبة والحشمة.

كبير: أي في ذاته باعتبار أنه أكمل الموجودات وأشرفها.

جواد: أي مفيد لما ينبغي لا لعوض.

رؤوف: أي ذو رأفة، وهي شدة الرحمة.

وهو أبلغ من الرحيم بمرتبة، ومن الراحم بمرتبتين.

متكبر(٢): أي مترفع على غيره بأن يرى لنفسه شرفًا عليه، وينظر إلى الغير نظر المالك إلى عبده.

جبار: أي قهار، أو دائم الجبر، أي الإصلاح.

باق: أي مستمر الوجود.

أول(٣): أي مبدأ الوجود.

---

(١) الجليل هو الذي عظم شأنه وظهر أمره فلا يوازيه غيره ولا يدانيه في ذات ولا في صفات ولا اسم ولا فعل، وقال بعض المشايخ: الجليل من الجلالة وهو التعالي قدرًا عن أعلى ذوات الاقتدار قال: ويناظره الإكرام وهو التنزل إلى بر من هو أقل ذي قدر ومنه ذو الجلال والإكرام.

من عرف جلاله ظهر في عوالمه إجلاله فكان ذا هيبة ومحبة وأنس واحترام.

المرجع السابق (ص٩٤)

(٢) المتكبر هو المظهر كبرياءه لعباده بظهور أمره حتى لا يبقى كبرياء لغيره، كما جاء في الحديث **«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته في النار»** الحديث.

قال بعض المشايخ: المتكبر هو اسم جامع لمعاني التنزيه كما ذكر إمام الحرمين وهو من الأسماء التي جبلت على الفطرة فقال معناه كما جبلت الفطره على الإذعان لاسم الله تعالى لذلك اقترن مساق ذكر الاسمين في مبدأ الإحرام في الصلاة لأنها فطرة ما يتم به أمرها فابتدأت بالفطره وهو أعلم . انتهى.

(٣) الأول الآخر هو الذي لا مفتح لوجوده ولا مختتم له لثبوت قدمه واستحالة عدمه وكل شيء منه =

إله سيد مالك رب رحمن رحيم مريد حكيم، ....

إله: أي مستحق للعبودية.

سيد: أي مالك مطاع.

مالك[١]: أي للكل رب، أي مالك مُرب علىٰ الإطلاق.

رحمن رحيم: كلاهما من الرحمة بمعنى رقه القلب فرحمة الله علىٰ العباد إما إرادة الإنعام عليهم ومنع الضرر عنهم.

وإما نفسه الإنعام والدفع.

والرحمن أبلغ من الرحيم[٢] لزيادة بنائه، فيكون معناه هو المنعم الحقيقي، تام الرحمة، عميم الإحسان، ولذلك قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة ويا رحيم الآخرة.

مريد: أي لما يشاء.

بالإرادة القديمة، والإرادة صفة تخصيص أحد الطرفين بوقت حصوله.

حكيم[٣]: أي ذو أحكام، وهي كمال العلم والعمل، وإحسان العمل والاتقان فيه.

= بدأ ويعود إليه، وقال بعض المشايخ: الأول الآخر اسما إحاطة بتقدم الأول علىٰ كل أول وإحاطة الآخر لكل آخر فبه البدء وإليه الانتهاء، فليس قبله شيء ولا بعده شيء قال: وإنما عطف بالواو لتباعد ما بين موقعي معناهما وإنما يرجعان به إلىٰ حكم الاسم الواحد من أبطن الغيب.

شرح أسماء الله الحسنى (ص١٤٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) مالك الملك: هو الذي له التصرف المطلق في كل مملوك ومالك بلا حجر ولا تردد ولا استثناء ولا توقف ومن عرف أنه مالك الملك لم يطلب من غيره ولم يطلب غيره في ملكه ولم يدبر معه شيء في ملكه والتقرب بهذا الاسم تعلقًا بدوام الخضوع ولزوم الحضور وتخلقًا: أن تكون مالك نفسك عما يخالف الحق بكل حال.

شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٥٤) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(٢) الرحيم دائم الرحمة، موصول العطاء يعطي بلا حدود فهو أصل الوجود واهب الجود يكسب المعدوم، يرحم الموجود يحيط الوجود برحمته فلا يفلت أحد من قبضته من هرب منها لقيته ومن فر منها احتضنته، تتنزل من السماء ليل نهار علىٰ الأبرار والفجار علىٰ الخلق دون خيار وعلى الليل والنهار فقد وسعت رحمته كل شيء ميت أو حي سالم أو حي.

(٣) الحكيم هو المحكم للأشياء حتى صارت متقنة علىٰ وفق علمه وإرادته ومشيئته بقضائه وقدره =

متكلم خالق رازق، موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته مسمى بكل ما سمي به نفسه لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته غير مشبه للخلق بوجه من الوجوه لا تشبه ذاته الذوات ولا صفته الصفات لا يجري عليه شيء من سمات المخلوقين الدالة علىٰ حدثهم لم يزل سابقًا متقدمًا للمحدثات، موجودًا قبل كل شيء، ....

متكلم: معنى كلامه سيجيء.

خالق: أي موجدًا لكل البعض من غير أصل له.

والبعض الآخر مع أصل له.

رازق[1]: أي معطي الرزق، وهو ما يشفع به، سواء كان مباحًا أو محظورًا.

قوله: موصوف بكل ما وصف به نفسه، أي الله متصف بكل ما وصف به نفسه، سواء وصف الخلق أو لم يصفه.

ومسمى بكل اسم سمي به نفسه، سواء سماه به الخلق أو لم يسمه.

والسمات جمع سمة، وهي العلامة. والمراد من السمات الدالة علىٰ الحدث هي الاحتياج والإمكان.

= وقال بعض المشايخ: الحكيم من الحكمة وهي وضع الأشياء علىٰ الترتيب والتنزيل من أعلى إلىٰ أدنى وحكم صدور المراتب علىٰ محالها يرجع إلىٰ معنى العلم والإتقان ومن عرف أنه الحكيم لم يعترض عليه في شيء ولم يتهم حكمه بشيء بل يرى كل أحواله جميلاً بالنسبة إليه.

شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٠٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

(١) الرازق ممد كل كائن بما يتحفظ به صورته ومادته فأمد الأجسام بالأغذية والعقول بالعلم والقلب بالفهوم والأرواح بالتجليات ثم كذلك.

وقال بعض المشايخ: الرزاق من الرزق وهو الإمداد بما فيه أصل الخلق فكل خلق خلق من شيء ثم أديم له مدد منه كان ذلك المدد رزقه.

ومن عرف أنه الرزاق لم يهتم برزقه ولم يتوجه فيه لأحد من خلقه ثقة بما أعد له من الرزق وسكونًا لجميل وصفه.

المرجع السابق (ص٦٣)

لا قديم غيره، ولا إله سواه. ليس بجسم ولا سبح، ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عرض. لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرك ولا يسكن ولا ينقص ولا يزداد. ليس بذي أبعاض ....

قوله: لا قديم غيره.

لا ينافي ما سبق من قوله: لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته، لأن المراد بالقديم ههنا هو بحسب الذات وأسماؤه وصفاته قديمتان بالذات لا بأنفسهما.

قوله: ولا سبح.

وهو جسم ليس فيه نفع ولا خير.

وقيل هو الجسم، وقيل: هو البدن، وقيل هو الخيال.

قوله: ولا صورة، أي شيء يخيل في شيء.

قوله: ولا شخص.

الشخص سواد الإنسان وغيره، تراه من بعيد.

قوله: ولا جوهر[1].

والجوهر ههنا ممكن موجود، لا في موضوع.

والعرض موجود في موضوع، والموضوع محل يقوم ما حل فيه.

والاجتماع والافتراق والتحرك والسكون والانتقاص والازدياد من صفات المخلوقين.

---

(١) الجوهر ماهيه إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وينحصر الجوهر في خمسة: هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل، لأنه إما أن يكون مجردًا أو غير مجرد فالأول إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف وهو العقل أو لا يتعلق وهو النفس والثاني وهو غير المجرد فإما أن يكون مركبًا وهو الجسم أو لا فيكون حالاً وهو الصورة أو محلًا وهو الهيولي وتسمى أيضًا بالنفس الرحماني والهيولي الكلية، وما يتعين منها وصار موجودًا من الموجودات يسمى بالكلمات الإلهية، قال تعالىٰ: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] .

المعجم الصوفي (ص٦٩)

ولا أجزاء ولا جوارح ولا اعضاء ولا ذي جهات ولا أماكن.

لا تجري عليه الآفات، ولا تأخذه السنات، ولا تداوله الأوقات ولا تعيّنه الإشارات لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان.

لا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن.

لا تحيط به الأفكار ولا تحجبه الأستار ولا تدركه الأبصار.

وقال بعض الكبراء في كلام له: ....

قوله: ولا ذي جهات، وألا يكون محدودًا.

قوله: لا تجري عليه الأوقات.

أي لا يدخل تحت حكم الزمان.

وفي بعض النسخ: الآفات جمع أنه بمعنى العاهة وهو أوفق لقوله: ولا تداوله الأوقات، أي لا تدين ولا تغيره.

والسنات جمع سنة بالكسر وهو النوم الخفيف.

قوله: ولا تعينه الإشارات، لا الحسية ولا العقلية بمعنى أنه الشيء الفلاني، **ولا يجري عليه زمان** بمعنى أنه لا ينتهي.

يقال: جرى عليه الزمان، يعني انتهى.

قوله: ولا تحجبه[1] الأستار بمعنى أنه يبصر كل شيء معاينةً، ولا يحجب السرّ إبصاره، **ولا تدركه الأبصار.**

أي لا تحيطه الأبصار، أي في الدنيا.

قوله: قال بعض الكبراء في كلام له.

---

(١) الحجب هي انطباع الصور الكونية في القلب لأنها مانعة من قبول التجلي الإلهي، والحجاب الذي يحتجب به الإنسان عن قرب الله قد يكون ظلمانيًا بتأثير ظلمة الجسم وكل المدركات الباطنه من النفس والعقل والقلب والسر والروح والخفى لها حجب تحجبها عن الله تعالى. المعجم الصوفي (ص٧٤)

لم يسبقه قبل ولا يقطعه بعد، ولا يصادره من، ولا يوافقه عن، ....

يريد به حسين بن المنصور[١]، فإنه ذكر في كتاب له يقال له كتاب نفي الشبيه كلمات ذكرها صاحب الكتاب ههنا.

من جملتها **لم يسبقه قبل** لأنه مبدأ الوجود، **ولا يقطعه بعد،** لأنه بعد كل شيء.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

أي من قبل كل شيء، ومن بعد كل شيء.

ولا يصادره من، يعني لا يجعل كلمة من له ابتداء، فإن من للابتداء كما يقال صدر من كذا، وكان من يوم كذا، أو من وقت كذا.

ويحتمل أن يكون معناه أن من للاتصال، فينفي هذا المعنى من الله تعالى، يعني لا يتصل[٢] بغيره.

ولا يوافقه عن.

يريد أن كلمة عن ليس له موافقة معه بمعنى أن كلمة عن، ورد بمعنى الحكاية، كما يقال رويت هذا عن فلان، وبمعنى النيابة كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧]. وهذان المعنيان محالتان علىٰ الله تعالىٰ فهما تقتضيان سبق الغير علىٰ الحاكي والنائب.

والله تعالىٰ منزه عن ذلك، ويحتمل أن يكون معناه أن كلمة عن للانفصال، فينفي هذا المعنى عنه، أي لا انفصال له عن الغير.

---

(١) حسين بن منصور الحلاج المقتول تقدمت ترجمته من قبل.

(٢) قال النبي ﷺ: «**الاتصال بالحق علىٰ قدر الانفصال عن الخلق**».

وقال بعضهم: من لم ينفصل لم يتصل أي من لم ينفصل عن الكونين لم يتصل بمكون الكونين وأوفى الوصال مشاهدة العبد ربه تعالىٰ بعين القلب، فإذا رفع الحجاب عن قلب السالك وتجلي له يقال إن السالك الآن واصل، والوصال هو الانقطاع عما سوى الحق وليس المراد به اتصال **الذات** بالذات لأن ذلك إنما يكون بين جسمين وهذا التوهم في حقه تعالىٰ كفر.

المعجم الصوفي (ص٢٦٠)

ولا يلاصقه إلىٰ. ولا يحله في، ولا يوقفه إذ، ولا يؤامره إن ولا يظله فوق ولا يقله تحت، ولا يقابله حذاء، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحدّه أمام، ولا يظهره قبل، ولا يفنيه بعد ولا يجمعه كل، ....

قوله: ولا يلاصقه إلىٰ، لأن إلىٰ للانتهاء، ولا انتهاء لله تعالىٰ.

ولا يحله في، لأن كلمة في للظرفية، فيقتضي محلًا، والله تعالىٰ ليس محلًا ولا حالًا.

ولا يوقفه إذ، أي لا يجعله واقفًا بأنه كان في الزمان الماضي، لأن إذ للماضي.

ولا يؤامره إن، أي لا يشاوره كلمة إن، لأن كلمة إن تقتضي التعليق ولا تعليق في وجوده، ولا في صفته، ولا يحتاج في الفعل إلىٰ التعليق.

ولا يظله فوق. لا بمعنى الفوقية المكانية ولا بمعنى السلطنة.

ولا يقله تحت، لأن هذا صفة المتمكن[1].

ولا يقابله حذاء، أي لا شيء من الحذاء يقابله، لا بحسب المكان ولا بحسب القوة.

ولا يزاحمه عند، لأنه للمكان ولا مكان له.

ولا يأخذه خلف، ولا يحدّه أمام، وإلَّا يكون ممكنًا.

ولا يظهره قبل، ولا يفنيه بعد، وإلَّا يكون ممكنًا.

ولا يجمعه كل، وإلَّا كان مركبًا.

---

(١) قال النووي: لأهل العلم في أحاديث وآيات الصفات قولين: أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالىٰ وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالىٰ ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهه وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول هو مذهب جماعه من المتكلمين واختاره جماعه من محققيهم وهو أسلم، والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول علىٰ ما يليق بها علىٰ حسب مواقعها ويسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفًا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع.

شرح مسلم للنووي (٣/ ١٨) طبعة دار الكتب العلمية

ولا يوجده كان، ولا يفقده ليس، ولا يستره خفاء تقدم الحدث قدمه، والعدم وجوده، والغاية أزله. إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه، وإن قلت قبل، فالقبل بعده. وإن قلت هو، فالهاء والواو خلقه، ....

ولا يوجده كان، لأنه يشير به إلىٰ الزمان الماضي من غير استمرار الوجود ولا يجوز ذلك علىٰ الله.

ولا يفقده ليس. يقال: فقده ليس يعني يكون ليس، ولا يكون هو.

ولا يفقده ليس.

يعني يكون هو ولا يكون ليس يعني لا يتطرق إليه النفي **ولا يستره خفاء**[1]، لأنه في غاية الظهور.

قوله: والعدم وجوده.

أي وتقدم وجوده علىٰ عدم كل وجود، وتقدم أزله علىٰ غاية كل ذي غاية.

إن قلت متى فقد سبق الوقت كونه. يعني إن سئل عنه بمتى، وهو سؤال عن الزمان فقد سبق وجوده نفس الزمان، فلا يسأل عنه بأنه متى كان.

وإن قلت قبل، أي هو قبل الشيء الفلاني، (فـ) **ذلك القبل بعده**.

وإن قلت هو، فالهاء والواو خلقه.

فليس هو ولا ما يشار إليه بهو، لأن المشار إليه بهو يكون هو معينًا[2].

---

(١) النفي محو صفات البشرية والخفاء لطيفة ربانية مودعه في الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل إلا بعد غلبات الواردات الربانية ليكون واسطه بين الحضرة والروح في قبول تجلي صفات الربوبيه وإفاضه الفيض الإلهي علىٰ الروح.

المعجم الصوفي (ص٩٠، ٢٤٧)

(٢) قال في المعجم الصوفي: هو: الغيب الذي لا يصح شهوده للغير، وهو في حق الله إشارة إلىٰ كنه ذاته "وهو بلا هو" إشارة إلىٰ تفريد التوحيد كأنه يقول هو بلا قول القائل هو، ولا كتابة الكاتب هو وهو بلا ظهور هذين الحرفين الهاء والواو.

المعجم الصوفي (ص٢٥٣)

وإن قلت كيف، فقد احتجب عن الوصف ذاته. وإن قلت أين فقد تقدم المكان وجوده. وإن قلت ما هو، فقد باين الأشياء هويته.

لا يجتمع صفتان لغيره في وقت، ولا يكون بهما على التضاد، ....

وقد ذكر من قبل أنه لا يعينه الإشارات، لأنه يشار به إلىٰ غائب، وليس هو بغائب عن شيء بل هو حاضر دائمًا.

فلو أشار إليه غيره بهو، يكون باعتبار غيبة المشير[1].

ولو أشار الله تعالىٰ إلىٰ نفسه بهو يكون معناه لكونه متعاليًا عن أن يحيط به الأفكار أنه يذكرها نفسه **وإن قلت كيف فقد احتجب عن الوصف** بالكيفية **ذاته**، لأن كيف إنما يُسأل به عما له كيفية، فما لا كيفية له لا يسأل عنه به، وإنما يسأل بأين عما هو أيني، فما ليس بأيني لا يسأل عنه به، ولا يسأل عنه بما هو، لأن السؤال به إنما يطلب به الماهية من حيث هي هي.

ومعرفة حقيقته من حيث هي هي ممتنعة، فلا تطلب بما هو ولا يقاس ماهيته شيء عن الأشياء لأنه مباين للأشياء بهويته بحيث لا مشابهة له بها، وإذا لم يكن بينه وبين شيء ما اشتراك بوجه فلا يعرف ماهيته من شيء من الأشياء.

قوله: لا يجتمع صفتان لغيره في وقت، ولا يكون بهما على التضاد.

أي لا يجتمع صفتان لغير الله في وقت واحد[2].

---

(١) الأسماء الإلهية تنقسم باعتبار الذات والصفات والأفعال إلىٰ الأسماء الذاتية كاسم الله، والأسماء الصفاتية كاسمه العليم، والأسماء الأفعالية كاسمه الخالق.

وتنحصر الأسماء باعتبار الأنس والهيبة لدى مطالعتها في الأسماء الجمالية كاسم اللطيف والأسماء الجلالية كاسم القهار ولكل مخلوق سوى الإنسان حظ من بعض الأسماء دون الكل كحظ الملائكة من اسم السبوح والقدوس وهم لذلك يقولون: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] واختص الإنسان بالحظ من الأسماء جميعها يقول الله تعالىٰ في ذلك ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

المعجم الصوفي (ص٢٢)

(٢) صفات الله علىٰ الحقيقة هو بها موصوف وهي ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر فهو سميع وبصير علىٰ الحقيقة ولا أعراض ولا جواهر فهو سميع وبصير علىٰ الحقيقة ليس=



فهو باطن في ظهوره، ظاهر في استتاره، فهو الظاهر الباطن ....

والحال أنه يكون ذلك الغير بهما علىٰ التضاد، يعني لا يجتمع صفتان متضادتان لغير الله في وقت واحد باعتبار واحد، فعلىٰ هذا يكون لفظة لا في ولا يكون بهما زائدة ليستقيم معناه، **فهو باطن** أي للأغيار، أو بالحقيقة **في** حال **ظهوره**، أي للمحبين، أو بصفاته وأفعاله.

وظاهر في حال **استتاره**، لأنه محتجب بنوره ولا سبب لاحتجابه بنوره إلَّا كمال نوره، فلهذا قال بعض المحققين: سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره، واختفىٰ عنها بكمال نوره.

فهو الظاهر الباطن، أي ظاهر للقلوب باطن للأبصار.

أو هو ظاهر بالنعم وباطن بالبلايا.

أو هو ظاهر بالآيات والدلائل.

إذ وجود كل موجود يدل علىٰ وجوده وباطن عن الإحاطة به.

أو هو ظاهر للمحبين، وباطن للأعداء[1].

= كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه، وليست بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء وليست هي الله تعالىٰ وليس معنى إثباتها له أنه محتاج إليها وأنه يفعل الأشياء بها لكن معناها نفي أضدادها وإثباتها في أنفسها وإنها قائمات به وهي من حيث ما تقتضيه حقائقها علىٰ أربعة أقسام، فقسم منها صفات جمال كالعليم والرحيم والسلام والمؤمن والباري والمصور، وقسم منها صفات جلال كالكبير والمتعالي والعزيز والعظيم والجليل والقهار وقسم صفات كمال كالرحمن والملك والرب.

المعجم الصوفي (ص١٤٦)

(١) الظاهر الباطن هو الواضح الربوبيه بالدلائل المحتجب عن الكيفية والأوهام، فهو الظاهر من جهة التعريف، الباطن من جهة التكليف والتقرب بالظاهر والباطن تعلقًا: بوجود العبودية علىٰ المشاهد ونسيان الخلق بذلك مع التعظيم والإجلال الناشئ عن ذلك.

وتخلقًا: بإخفاء أعمالك، وما خصصت به حتى يكون باطنًا عن أفهام الأغيار وإظهار خصائصك للمحبين حتى تكون ظاهرًا لديهم.

شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٤٥، ١٤٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

القريب البعيد، امتناعًا بذلك عن الخلق أن يشبهوا فعله من غير مباشرة وتفهيمه من غير ملاقاة وهدايته من غير إيماء.

لا تنازعه الهمم ولا تخالطه الأفكار.

ليس لذاته تكييف، ولا لفعله تكليف.

قوله: القريب البعيد.

قريب بالكرامة وبعيد بالإهانة، أو قريب بقدرته وبعيد بذاته.

أو هو قريب من السرائر، وبعيد من الظواهر.

أو هو قريب من محبته، وبعيد عن الأعداء.

قوله: امتناعًا بذلك عن الخلق.

يريد كون الله ظاهرًا وباطنًا، قريبًا وبعيدًا في حالة واحدة لأجل امتناعه بذلك عن الخلق.

من أن يشبهوه بشيء من الخلق، لأنه لا شيء من خلقه متصف بمتضادين في وقت واحد باعتبار واحد ليشبهوه به.

قوله: فعله من غير مباشرة، أي ملامسة، وتفهيمه من غير ملاقاة، أي اجتماع في محل، وهدايته من غير إيماء، أي بآلة.

لا تنازعه الهمم، لأن الهمم المقهورة لحكمه، فكيف تنازعه في شيء **ولا تخالطه الأفكار**، لأنه ليس له أجزاء ولا جزئيات حتى يخالطها الفكر **وليس لذاته تكييف ولا لفعله تكليف**، لأن التكييف فعل مكيف. والتكليف فعل مكلف، فلو كان كذلك للزم انفعال ذاته عن غيره وعجزه.

وأجمعوا أنه لا تدركه العيون ولا تهجم عليه الظنون، ولا تتغير صفاته ولا تتبدل أسماؤه لم يزل كذلك، ولا يزال كذلك.

هو الأول والآخر، والظاهر والباطن[1]، وهو بكل شيء عليم.

ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

لا تتغير صفاته لأنها ناشئة عن ذاته، وذاته لا تتغير **ولا تتبدل أسماؤه** لعدم تبدل مسماها.

❋ ❋ ❋

---

(١) الظاهر الباطن هو الواضح الربوبية بالدلائل المحتجب عن الكيفية والأوهام، فهو الظاهر من جهة التعريف الباطن من جهة التكليف.

ولذلك قال ابن عطاء الله في الحكم: أظهر كل شيء لأنه الباطن وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر وقيل: معنى الظاهر: القاهر.

والظاهر من الظهور وهو نهاية القوة والعلو، فعلوه له الظهور والفوق الذي ليس فوقه شيء، الباطن من البطن وهو الألف الأدنى من غيب كل دنو على مناظرة معنى الظاهر، ومن عرف أنه الظاهر لم يستدل بشيء عليه ورجع لكل شيء إليه، ومن عرف أنه الباطن استدل بكل شيء عليه ورجع به إليه.

المرجع السابق (ص١٤٥، ١٤٦)

الباب السادس
شرح قولهم في الصفات

أجمعوا أن لله صفات علىٰ الحقيقة هو بها موصوف من العلم[1] والقدرة والقوة والعز والحلم والحكمة والكبرياء والجبروت والقدم والحياة والإرادة

قوله: باب في الصفات

أجمعوا علىٰ أن لله تعالىٰ صفات علىٰ الحقيقة هو بها موصوف.

أي صفات حاصلة له تعالىٰ علىٰ الحقيقة، لورود كلام الله تعالىٰ بها.

الحليم[2]: هو أن لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه ولا يمنعه من إيصال نعمته إليه.

والغفور: هو الذي لا يعاقب المسيء مع القدرة عليه وصفة الحكمه قد يراد بها العلم بالدقائق، وقد يراد بها إيصال المنافع إلىٰ العباد بطرق خفية عجيبة.

وأن صفات الله ليست بأجسام، إذ الصفة تقوم بالغير.

---

(١) علم الله صفة أزلية فعلمه سبحانه بنفسه وخلقه علم واحد غير منقسم ولا متعدد، ولكنه يعلم نفسه بما هو له، ويعلم خلقه بما هم عليه.

وقيل: علم الله سبحانه بذاته نفس ذاته.

فالعالم والمعلوم واحد، وهو الوجود الخاص.

ويسمى الحق عليمًا بنسبة العلم إليه مطلقًا، وعالمًا بنسبه معلومية الأشياء إليه، وعلامًا بنسبة العلم ومعلومية الأشياء إليه معًا.

المعجم الصوفي (ص١٧٨)

(٢) الحليم هو الذي يسامح الجاني ويمهله مع استحقاقه العقوبة والمؤاخذه بالذنب، قال بعض المشايخ: هو من الحلم أي رفع العقوبه في موضع استحقاقها ومن عرف أنه الحليم سكن إلىٰ حلمه من غير اغترار فغلب عليه الأمن به والرجاء فيه والتقرب بهذا الاسم تعلقًا: أن تشكر منته في حلمه وترجع إليه قبل ظهور أمره في الدار الآخرة بإنفاذ حكمه.

وتخلقا: أن يصفح عن الجنايه ويسامح لهم في ما يعاملونه به من السيئات بل يجازيهم بالإحسان تحقيقًا للحلم والغفران.

شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص٨٢) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

والمشيئة والكلام، وأنها ليست بأجسام ولا أعراض ولا جواهر، كما أن ذاته ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر، وأن له سمعًا وبصرًا ووجهًا ويدًا علىٰ الحقيقة ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه.

وأجمعوا أنها صفات الله، وليست بجوارح ولا أعضاء ولا أجزاء.

وأجمعوا أنها ليست هي هو ولا غيره.

ولا أعراض، لأن العرض عند بعض أهل السنة[1] لا يبقى زمانين.

قوله: وأجمعوا أنها صفات الله.

أي أن السمع والبصر والوجه واليد صفات الله، وأجمعوا أنها ليست هي هو ولا غيره، أي أن صفات الله ليست هي نفس ذاته ولا غير ذاته.

اعلم أن صفات الله تعالىٰ[2] إما وجودية حقيقة.

وهي التي لا تكون بالقياس إلىٰ الغير كالوجود والحياة أو وجودية إضافية وهي

---

(١) أهل السنة والجماعة هم الذين عناهم الرسول ﷺ لما سئل عن الفرقة الناجية فقال: "الجماعه"، وقال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**.

فكانت تسميتهم لذلك أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث.

وأهل الأهواء هم الذين لا يتابعون الكتاب ويخالفون السنة ويخرجون عن الإجماع ويفرقون الأمه، ويصدق فيهم قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وأهل السنة والجماعة تمسكوا بعروة الإسلام وحبل الدين واجتمعوا في أصولهم غير متفرقين فكانوا هم أهل النجاه.

موسوعة الفرق والجماعات (ص٧٥)

(٢) من الفرق الإسلامية الصفاتية وهؤلاء من السلف كانوا يثبتون لله تعالىٰ صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعزة والعظمة ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقًا واحدًا، وكذلك يثبتون صفات خبريه مثل اليدين والوجه ولا يؤولون ذلك إلا أنهم يقولون: هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسميها صفات خبرية، والمعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتونها سمى السلف الصفاتية والمعتزلة المعطلة وبالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلىٰ حد التشبيه واقتصر بعضهم علىٰ صفات دلت الأفعال عليها وما ورد به الخبر.

موسوعة الفرق والجماعات (ص٢٧٥)

....

....

التي تكون بالقياس إلىٰ الغير كالوجوب والتقدم والخلق.

أو عدمية كالغنى، فإنه عبارة عن عدم الحاجة.

وهذا الحصر بالقياس إلىٰ بسائطها، وجاز صفة تتركب من قسمين كالقدم فإنه موجوديّته لا تكون مسبوقة بالعدم.

وكالأولية فإنها موجودية سابقة إلىٰ الغير[١].

وكالخلق فإنه موجودية التي لا يكون بالآلة.

والمتكلمون لا يطلقون الصفة إلّا علىٰ الوجودي، ويسمون العدميات نعوتًا، فيجعلون العلم صفة والغنى نعتًا.

ثم اختلفوا في الصفات الحقيقية والوجوب من الإضافية.

فقالت الفلاسفة والمعتزلة أنها عين ذات الله تعالىٰ.

وقال المحققون من المتكلمين: إن هذه الصفات غير ذات الله علىٰ معنى أنها معان زائدة علىٰ ذات الله تعالىٰ.

وقال أهل السنة من الأشاعرة وغيرهم: إن هذه الصفات دون الوجود لا عين الذات ولا غيرها، والوجود عينها، وفسروا الغيرين علىٰ وجه صح ذلك.

والمشهور منهم تفسيران:

---

(١) نفى المعتزله الصفات وقالوا: إثبات صفات أزليه قديمة لله زائده علىٰ ذاته يجعل الصفة تشارك الذات في القدم الذي هو أخص أوصاف الذات والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم وهذا يعني المماثلة أي أنها تصير آلهة إلىٰ جانب الذات الإلهية وذلك شرك وقال أبو الحسين الخياط المعتزلي في كتابه الانتصار إن الله تعالىٰ لو كان عالمًا يعلم فإما أن يكون ذلك العلم قديمًا أو يكون محدثًا ولا يمكن أن يكون قديمًا لأن هذا يوجب وجود اثنين قديمين وهو تعدد وهو قول فاسد وإما أحدثه في نفسه فيكون محلاً للحوادث فهو حادث وهذا محال فلا يبقى إلا أن الله عالم بذاته.

انظر موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٨)

....

الأول: أنهما اللذان يمكن انفكاك إحداهما عن الآخر، إما بمكان لجسمين أو زمان كالأب والابن، أو وجود وعدم.

والثاني: هما ذاتان ليست إحداهما الأخرى.

ولا شك أن صفات الله تعالىٰ بهذين التفسيرين ليست غير ذاته ولا عينها.

وإلَّا لزم أن يكون العلم عين الوجود عند الخصم، عين الذات[1] وذلك باطل بالضرورة، يظهر بالتأمل وأشار صاحب الكتاب فيه إلىٰ مذهب أهل السُّنة.

واعلم أن هذا النزاع لفظي لأنه يرجع إلىٰ تفسير معنى لفظ الغير، فإن فسر بما فسره أهل السُّنّة فلا نزاع في أن صفاته تعالىٰ ليست عين[2] ذاته ولا غيرها، علىٰ ذينك التفسيرين، وإن فسر بأن المفهوم من أحدهما غير المفهوم من الآخر، فلا شك أنها غير ذاته تعالىٰ بهذا التفسير.

---

(١) مطلق الذات هو الأمر الذي تستند إليه الأسماء والصفات في عينها لا في وجودها فكل اسم أو صفة استند إلىٰ شيء فذلك الشيء هو الذات سواء كان معدومًا كالعنقاء أو موجودًا.

والموجود نوعان: نوع موجود محض وهو ذات الباري سبحانه.

ونوع موجود ملحق بالعدم وهو ذات المخلوقات وذات الله سبحانه عبارة عن نفسه التي هو بها موجود لأنه قائم بنفسه وهو الشيء الذي استحق الأسماء والصفات بهويته.

المعجم الصوفي (ص٩٨)

(٢) العين إشارة إلىٰ ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء.

قال الواسطي: وقوم علموا مصادر الكلام من أين، فوقعوا علىٰ العين فأغناهم عن البحث والطلب، أي إن مقصدهم كان الله تعالىٰ وليس سواه.

وقيل عين الله هو الإنسان الكامل لأن الله تعالىٰ ينظر بنظره إلىٰ العالم كما قال: لولاك ما خلقت الأفلاك والإنسان هو عين العالم لأنه متحقق بالاسم البصير، لأن كل ما يبصر في العالم من أشياء فإنما يبصر بهذا الاسم، وعين التحكم هو أن يتحدى الولي بما يريده إظهارًا لمرتبته لمن يراه.

المعجم الصوفي (ص١٨٢)

وليس معنى إثباتها أنه محتاج إليها، وأنه يفعل الأشياء بها، ولكن معناها نفي أضدادها وإثباتها في أنفسها وأنها قائمات به.

ليس معنى العلم نفي الجهل فقط، ولا معنى القدرة نفي العجز، ولكن إثبات العلم والقدرة، ولو كان بنفي الجهل عالمًا وبنفي العجز قادرًا لكان المراد بنفي الجهل والعجز عنه عالمًا وقادرًا.

وكذلك جميع الصفات.

وليس وصفنا له بهذه الصفات صفة له، ....

قوله: وليس معنى إثباتها أنه محتاج إليها.

أي ليس معنى إثبات الصفات لله تعالىٰ أنه محتاج إليها، وأنه يفعل الأشياء بتلك الصفات، لأن صفته ناشئة عن ذاته تعالىٰ فيكون الصفة محتاجة إليه، فحينئذ تكون الذات مستقلة بالعلية، فلا تفعل الأشياء بواسطة الصفة.

ولكن معنى إثبات الصفات نفي أضدادها وإثبات الصفات له تعالىٰ في أنفسها، وأنها قائمات به.

فمعنى العلم نفي الجهل عنه، وإثبات العلم له.

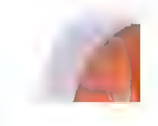
ومعنى القدرة نفي العجز عنه وإثبات القدره له[1] لا أن معنى العلم نفي الجهل عنه فقط، ولا أن معنى القدرة نفي العجز عنه فقط.

وإلّا يلزم أن يكون الجماد عالمًا وقادرًا.

---

(١) القدرة قوة ذاتية لا تكون إلّا لله وشأنها إبراز المعلومات إلىٰ العالم العيني علىٰ المقتضى العلمي فهي مجلى، أي مظهر أعيان معلوماته الموجوده من العدم لأنه يعلمها موجودة من عدم في علمه فالقدرة هي القوة البارزة للموجودات من العدم وهي صفة نفسية بها ظهرت الربوبية وهي أي القدرة عين هذه القدرة الموجودة فينا، فنسبتها إلينا تسمى قدرة حادثة، ونسبتها إلىٰ الله تعالىٰ تسمى قدرة قديمة.


المعجم الصوفي (ص١٩٩)



بل وصفنا بصفتنا، وحكاية عن صفة قائمة به ومن جعل صفة الله وصفه له من غير أن يثبت الله صفة علىٰ الحقيقة، فهو كاذب عليه في الحقيقة وذاكرًا له بغير وصفه.

وليس هذا كالذكر فيكون مذكورًا بذكر في غيره لأن الذكر صفة الذاكر، وليس بصفة للمذكور والمذكور مذكور بذكر الذاكر.

والموصوف ليس بموصوف بوصف الواصف.

ولو كان وصف الواصف صفة له لكانت أوصاف المشركين والكفرة صفات له، كنحو الزوجة والولد والأنداد.

قوله: بل وصفنا وصفتنا.

لأن وصفنا إياه فعلنا الذي صدر عنا فيكون صفة لنا، فوصفنا إياه **حكاية عن صفة قائمة به تعالىٰ فمن جعل وصفه لله تعالىٰ صفة الله من غير أن يثبت له صفة علىٰ الحقيقة، فهو كاذب عليه في الحقيقة**، لأنه جعل وصفه صفة الله، فهو كاذب عليه **وذاكر له بغير وصفه**، لأنه إذا لم يثبت له صفة علىٰ الحقيقة يكون ذاكرًا له بغير وصفه.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون وصفنا إياه كذكرنا له فكما أنه بذكرنا له يكون مذكورًا بذكر فينا، فكذا بوصفنا إياه يكون موصوفًا بوصف فينا أجاب عنه بأن الذكر صفة الذاكر، لأنه فعله وليس بوصفه للمذكور، فإذا ذكره الذاكر يصدق أنه مذكور بذكر الذاكر له.

والموصوف ليس بموصوف بوصف الواصف وهو صفة له.

فإن الشيء لا يكون موصوفًا بصفة الغير، بل هو موصوف بصفته، أي بصفة قائمة به[1] ولو كان وصف الواصف لله صفة له لكان وصف المشركين إياه بنحو الزوجة والولد والأنداد صفات له.

---

(١) صفات الله إما جلالية أو جمالية أو كمالية وقيل الصفات الجلالية هي ما يتعلق بالقهر والعزة والعظمة والسعة والصفات الجمالية ما يتعلق باللطف والرحمة، والصفات الذاتية هي ما يوصف بها ولا يوصف بضدها كالقدرة والعزة والعظمة وغيرها والصفات الفعلية هي ما يجوز أن يوصف بضده كالرضا والحكمة والسخط والغضب ونحوها، والصفات الكمالية تشترك بين الجمال والجلال كالعدل والحكمة.

المعجم الصوفي (ص١٤٦)

وقد نزه الله تعالىٰ نفسه عن وصفهم له فقال تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] .

فهو جل وعز موصوف بصفة قائمة به ليست بائنة عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

وقال: ﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] .

وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فاطر: ١١] .

وقال: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] ﴿ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ، ﴿ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨] .

وقد نزه الله تعالىٰ نفسه عن وصفهم إياه بما ذكر، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠] .

وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، إلىٰ قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧] .

يدل علىٰ إثبات الله تعالىٰ لنفسه العلم والقوة والفضل والعزة والجلال والإكرام، وعلى حصولها له. وفسروا الجلال بالنعوت السلبية والإكرام بالصفات الإضافية.

واعلم أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلىٰ أنه لا صفة لله تعالىٰ وراء السبعة أو الثمانية: وهي الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، والثامن البقاء[(١)] .

وقالوا: إن الوجود عين الذات، وجعلوا باقي الصفات بعضها راجعة إلىٰ تلك الصفات وبعضها إلىٰ الإضافيات، أو السلوب.

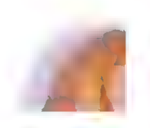
فقالوا: المحبة إرادة الثواب، فهي راجعة إلىٰ الإرادة.

والرحمة إنعامه علىٰ العباد فهي من الإضافيات إذ الإنعام علىٰ العباد نسبة بين الله تعالىٰ وبين العباد.

---

(١) البقاء هو رؤية العبد قيام الله علىٰ كل شيء وقيل بقاء رؤية العبد بقيام الله له في قيامه لله بالله، وقيل: هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله وهو مقام النبيين، والباقي هو العبد تصير الأشياء كلها له شيئًا واحدًا.

المعجم الصوفي (ص٤٤، ٤٥)



وأجمعوا أنها لا تتغاير ولا تتماثل.

وليس علمه قدرته ولا غير قدرته.

وكذلك جميع صفاته من السمع والبصر والوجه واليد، ليس سمعه بصره ولا غير بصره، كما أنه ليس هي هو ولا غيره.

واختلفوا في الإتيان والمجيء والنزول[١].

وقال الأشعري[٢]: الرحمة إرادة الإنعام، فرده إلىٰ الإرادة، والرضا إن فسر بإرادة إكرام المؤمنين فهو راجع إلىٰ الإرادة، وإن فسر بترك الاعتراض فهو سلبي.

وأثبت الأشعري اليد صفة غير القدرة، وما بيّن حقيقتها.

وكذا أثبت الوجه صفة وراء الوجود، وما بيّن، والاستواء غير السبعة أو الثمانية وما بيّنه.

قوله: وأجمعوا علىٰ أنها لا تتغاير.

أي علىٰ أن صفاته لا تتغاير بالتفسيرين اللذين ذكرنا للغيرين، كما أنه ليست

---

(١) في حديث: «**ينزل ربنا كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا**» قال النووي: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما: مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق علىٰ ما يليق بالله تعالىٰ وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالىٰ عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنها تتأول علىٰ ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره، والثاني: أنه علىٰ الاستعارة ومعناه الإقبال علىٰ الداعين بالإجابه واللطف والله أعلم.
شرح مسلم للنووي (٦/ ٣٣) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله ابن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري.

ولد بالبصرة سنة (٢٦٠) هـ، وتبنى الأشعري نظرية الجوهر الفرد كما وضعها المعتزله ليقيموا بواسطتها براهينهم العقلية علىٰ بعض المسائل الدينية وقد انشق عنهم إثر خلاف بينه وبين شيخه فأراد أن يقيم مذهبًا وسطًا يجمع بين المذهب المعتزلي العقلاني والفكر السني المعتمد علىٰ الرواية والحديث وكان صاحب مذهب باسمه وهو المذهب الأشعري، وتوفي بالبصرة سنة (٣٢٤) هـ.

فقال الجمهور منهم إنها صفات له كما يليق به ولا يعبر عنها بأكثر التلاوة والرواية، ويجب الإيمان بها، ولا يجب البحث عنها.

وقال محمد بن موسى الواسطي: كما أن ذاته غير معلولة، كذلك صفاته غير معلولة. وإظهار الصمدية إياس عن المطالعة علىٰ شيء من حقائق الصفات، أو لطائف الذات.

صفاته عين ذاته، ولا غير ذاته.

قوله: كذلك صفاته غير معلولة.

أي لما هو مباين لذاته أو لغير ذاته، أو بمعنى أنه لا يجوز زوال صفاته كالمعلولات الجائزة الزوال، فتكون غير معلولة بهذا المعنى.

أو بمعنى أنها لا تدرك بالحقيقة إذ المدرك معلول للمدرك.

قوله: وإظهار الصمدية إياس عن المطالعة عن شيء من حقائق الصفات أو لطائف الذات.

أي وإظهار الله هذه الصفة لنفسه إياس للخلق عن اطلاعهم علىٰ شيء من حقائق الصفات[١]، أي الصفات التي ذكرها للخلق أو لطائف الذات التي لم يذكرها لهم.

وهذا يحتمل وجوهًا: أحدها: أن صفة الصمدية عند أكثر أهل التفسير معناها أن لا سبيل لأحد إلىٰ الحق إلَّا بثبوتها وثبوت صفاته له فيقرون به وإذا كان كذلك فلا سبيل إلىٰ معرفة حقائق الصفات، أو لطائف الذات.

أو يقال المراد بالصفات ههنا الصفات الحقيقية لأنا إذا رجعنا إلىٰ عقولنا لم نجد من معرفة الله تعالىٰ إلَّا أحد أمور أربعة.

---

(١) ذكر العلماء صفات لله تعالىٰ ثابتة بلا كيف وأهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله بلا تشبيه ولا كيف فالله لا يشبه المخلوقات وهو متصف بصفات الكمال وبصفة الوجود بلا مكان وصفه الوحدانيه والقدم فهو أزلي لا بداية له ولا نهاية به وبصفة البقاء لا نهاية له وقيامه بنفسه لا يحتاج لغيره وبصفة القدرة فهو قادر علىٰ كل شيء وهو متصف بصفة الإرادة فكل شيء بمشيئة الله والعلم علم الله أزلي والسمع والبصر فهو يسمع كل المسموعات ويرى كل المرئيات بغير عين أو أذن أو جارحه والله حي ليس بروح أو لحم أو دم، والكلام ليس بحرف أو صوت أو لغه فهو ليس كمثله شيء.

وأولها بعضهم فقال: معنى الإتيان منه إيصاله ما يريد إليه، ونزوله إلىٰ الشيء إقباله عليه وقربه كرامته، وبعده إهانته.

إما العلم بوجوده، أي بإثباته.

وإما العلم بدوام وجوده.

وإما العلم بصفات الجلال وهي الاعتبارات السلبية وإما العلم بصفة الإكرام وهي الاعتبارات الإضافية فلا تعرف ذاته ولا شيئًا من صفاته الحقيقية.

وأقرب من ذلك أن يقال صفة الصمدية لله تعالىٰ هي احتياج ما سواه إليه في كل ما له، واستغناؤه عما سواه.

وذكر الله تعالىٰ أنه هو الصمد واظهره، ولم يخصص صمديته في بعض دون بعض فيكون عامًا في الجميع، في جميع الأزمان.

وإذا اطلع الخلق علىٰ شيء من حقائق صفاته أو لطائف ذاته، فلم يبق الاحتياج لهم إليه في إظهار الصمدية العامة، فلم يبق في يد العقل إلَّا أن يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن الإدراك. فههنا العجز عن درك الإدراك إدراك[1].

قوله: وأولها بعضهم.

أي أول الإتيان والمجيء والنزول فقال: معنى الإتيان من الله تعالىٰ إلىٰ الشيء إيصاله إليه ما يريده، وهو معنى المجيء أيضًا.

---

(١) المعنى أن الإنسان إذا عرف الله تعالىٰ بأنه موجود لا كالموجودات موجود بلا مكان ولا كيفيه واقتصر علىٰ هذا ولم يبحث عن ذات الله تعالىٰ للوصول إلىٰ حقيقة الله فهذا إيمان هذا رشد وإيمان وصواب، والذي يكتفي بأن الله تعالىٰ موجود لا يشبه الموجودات لا يتصور في حقه مكانًا ولا هيئة ولا كيفيه بل اكتفى بأن يعتقد أن الله موجود لا يشبه الموجودات موجود بلا كيفيه ولا مكان اقتصر علىٰ ذلك وقنع ورضى بذلك هذا يقال عرف الله.

وتكملة الشعر وهو منسوب لعلي بن أبي طالب:

العجز عن درك الإدراك إدراك ... والبحث عن سر ذات السر إشراك

وفي سرائر همات الورى همم ... عن دركها عجزت جن وأملاك

وعلى هذا جميع هذه الصفات المتشابهة.

وعلى هذا جميع الصفات المتشابهة من الوجه واليد وغير ذلك.

يعني أن الجمهور يقولون: إنها صفات له كما يليق به ولا يعبر عنها بأكثر من التلاوة والرواية.

ويجب الإيمان بها، ولا يجب البحث عنها.

وأولها بعضهم والمتشابه ما لم يتضح معناه.

وهو المجمل، والمأوّل بخلاف المحكم فإنه ما اتضح معناه وهو النص والظاهر.

❊ ❊ ❊

الباب السابع
اختلافهم في أنه لم يزل خالقًا

واختلفوا في أنه لم يزل خالقًا.

فقال الجمهور منهم والأكثرون من القدماء منهم والكبار: إنه لا يجوز أن يحدث لله تعالىٰ صفة لم يستحقها فيما لم يزل[1]، وإنه لم يستحق اسم الخالق لخلقه الخلق، ولا لإحداث البرايا استحق اسم البارئ ولا بتصوير الصور استحق اسم المصور، ولو كان كذلك لكان ناقصًا فيما لم يزل وتم بالخلق، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقالوا: إن الله تعالىٰ لم يزل خالقًا بارئًا مصورًا غفورًا رحيمًا شكورًا.

قوله: لم يزل خالقًا إلى قوله **شكورًا**.

أي كان في الأزل مسمى بهذه الأسماء وموصوفًا بهذه الصفات.

ولو كان في الأزل غير مستحق لصفة أو لاسم ثم استحقه لكان ناقصًا في ذاته في الأزل مستكملًا بالغير، وهو محال.

والشكور: هو الذي يقبل شكر عباده.

---

(١) تنقسم الصفات باعتبار الثبوت وعدمه لنوعين: صفات ثبوتية وهي التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ كالحياة والعلم والوجه والنزول والاستواء وغيرها من الصفات وكلها صفات مدح وكمال وهي أغلب الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة وهذا النوع يجب إثباتها له سبحانه، والنوع الثاني: صفات سلبية: وهي التي نفاها الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ كالموت والنوم والظلم وكلها صفات نقص والواجب في هذا النوع نفي النقص مع إثبات كمال الضد فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] فيجب الإيمان بانتفاء الظلم عن الله وثبوت ضده وهو العدل الذي لا ظلم فيه.
انظر مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١/ ١٢٤)

وكذلك جميع صفاته التي وصف بها نفسه يوصف بها كلها في الأزل[١].

كما يوصف بالعلم والقدرة والعز والكبرياء والقوة كذلك يوصف بالتكوين والتصوير والتخليق والإرادة والكرم والغفران والشكر ....

قوله: يوصف بالتكوين والتصوير والتخليق.

قال قوم من علماء ما وراء النهر: إن الله تعالىٰ صفة التخليق وهي مغايرة لصفة القدرة، وقد عبروا عنها بالتكوين، لأن الله تعالىٰ قادر علىٰ خلق الشموش والأقمار الكثيرة في هذا العالم، وما خلقها فالقدرة حاصلة دون التخليق.

وصفة التخليق غير المخلوق لأنا نقول: وجد هذا المخلوق لأن الله تعالىٰ خلقه فيعلل وجوده بتخليق الله تعالىٰ إياه، فلو كان عينه لكان القول المذكور جاريًا مجرى قولنا، وجاء ذلك المخلوق بنفسه، وذلك باطل.

ولعل هذا الرأي إنما نشأ من قوله تعالىٰ: ﴿كُن فَيَكُونُۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] لأن هذا بالحقيقة هو التكوين.

وقالوا: التخليق قديم تأمركن قديم، والكائن حادث لكنهم قالوا: التخليق هو ليس أمركن، بل شيء آخر. وبيان أنه شيء آخر قيل عسير جدًا.

---

(١) من الصفات التي توصف باعتبار تعلقها بذات الله وأفعاله إلىٰ صفات ذاتيه: وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفًا بها فهي لا تنفك عنه سبحانه وتعالى كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والوجه واليدين ونحو ذلك ويسمى هذا النوع الصفات اللازمة أنها ملازمة للذات لا تنفك عنه.

وصفات فعلية: وهي التي تتعلق بمشيئة الله إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها وتتجدد حسب المشيئة كالاستواء علىٰ العرش والنزول إلىٰ السماء الدنيا والغضب والفرح والضحك وتسمى الصفات الاختيارية وصفات فعليه باعتبارين: باعتبار أصل الصفة ذاتي.

وباعتبار آحاد الفعل فعلي فالكلام مثلاً صفة ذاتية باعتبار أصله لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا.

أما باعتبار آحاد الكلام فهو صفة فعليه لأن الكلام يتعلق بمشيئته سبحانه.

انظر مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٢٤)



ولا يفرقون بين صفة هي فعل وبين صفة لا يقال إنها فعل، نحو العظمة والجلال[١] والعلم والقدرة.

وكذلك أنه لما ثبت أنه سميع بصير قادر خالق بارئ مصور، وأنه مدح له، فلو استوجب ذلك بالخلق، والمصور والمبرئ لكان محتاجًا إلىٰ الخلق، والحاجة أمارة الحدث.

وأخرى أن ذلك يوجب التغير والزوال من حال إلىٰ حال[٢].

وقال: الظاهر أنه أمركن لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

ولو فرق بين التخليق والتكوين بأن التكوين إيجاد يتعلق بالمادة دون التخليق، فإنه لا يختص به، فلا بأس به، كما لو قيل هما واحد.

قوله: ولا يفرقون بين صفة هي فعل، وبين صفة لا يقال إنها فعل.

والصفة التي هي الفعل مثل التكوين والتصوير والتخليق والصفة التي لا يقال إنها فعل نحو العظمة والجلال والعلم والقدرة فلا يفرقون بينهما بمعنى أنهم قائلون بأن الله تعالىٰ لم يزل موصوفًا بهذه الصفات أفعالًا كانت أو لا.

قوله: وأخرى أن ذلك، أي وعلة أخرى أنه لو استوجب الله الصفة التي هي فعل

---

(١) من أقسام الصفات باعتبار الجلال والجمال نوعان صفات الجمال: وهي الصفات التي تبعث في القلب محبه الخالق والرغبة فيما عنده سبحانه وتعالى ومن ذلك صفة الرحمة والمغفرة والرأفة.

وصفات الجلال: وهي الصفات التي تبعث في القلب مخافة الله جل وعلا وتعظيمه ومن ذلك صفة القوة والقدرة والقهر.

(٢) إن منهج أهل السنة في إثبات الصفات مبني علىٰ التوقيف لأنها من الأمور الغيبية التي يجب الوقوف فيها علىٰ ما ثبت في الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث، قال الإمام أحمد رحمه الله: لا يوصف الله إلّا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث".

فيكون غير خالق ثم يكون خالقًا وغير مريد، ثم يكون مريدًا.

وذلك نحو الأفول الذي انتفى منه خليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]. والخلق والتكوين والفعل[1] وصفات الله تعالىٰ وهو بها في الأزل موصوف، والفعل غير المفعول.

وكذلك التخليق والتكوين، ولو كانا جميعًا واحدًا لكان كون المكونات بأنفسها.

بالخلق، والمصور[2] والمبروء، وهو يوجب التغير من حال إلىٰ حال.

وذلك هو الأفول الذي انتفى منه خليله إبراهيم. وذلك إشارة إلىٰ التغير والزوال.

أي التغير المذكور، هو الأفول الذي نفاه من الله تعالىٰ إبراهيم صلوات الله عليه بقوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، والأفول الغَيْبة، يقال: أفل أي غاب.

قوله: والفعل غير المفعول، وكذا التخليق والتكوين، أي غير المخلوق والمكون، ولو كان الفعل غير المفعول يلزم أن يكون كون المكونات بأنفسها،

---

(١) من الصفات التي أثبتها الماتريدية ونفاها الأشاعرة صفة التكوين والمراد بصفة التكوين صفات الفعل وهي ما يرجع إلىٰ التكوين من الصفات كالتخليق والترزيق والإحياء والإماتة.

فصفه التكوين هو أنه سبحانه يكون الأشياء فيخلق ويصور ويبرئ ويحيي ويميت بقوله كن فيكون فما يلزم لتكوين المخلوق داخل فيها من الخلق والبرء والإحياء والإماتة.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنها تسمى صفة الخلق أو الفعل فقال رحمه الله: وهو الصفات الفعلية مثل كونه خالقًا رازقًا عادلاً محييًا مميتًا وتسمى صفة التكوين وتسمى صفة الخالق وتسَمى صفة الفعل.

انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٤٢٦)

(٢) المصور معطي كل مخلوق ما هُيئ له من صورة وجوده بحكمته، فهو من معاني اسمه الحكيم، فبهذه الثلاثه ظهور الوجود، فالإرادة للتخصيص والعلم للإتقان والقدرة للإبراز.

قال بعض المشايخ: هذه الأسماء جامعة لمعاني ما تظهر به الصورة من الخلق، الذي هو التقدير لأجزاء أصولها، وما يكون البر صلاح تلك الأصول ونهايتها للقبول بها يجري مجرى =

لأنه لم يكن من الله إليها معنى سوى أنها لم تكن فكانت، ومنع بعضهم لم يزل خالقًا وقال إنه يوجب كون الخلق معه في القدم[١].

إذ لا معنى (. . . . . .)[٢] من الله، إلَّا أنها لم تكن ثم كانت، وهذا باطل، وبهذا يشير إلىٰ نفي مذهب المعتزلة، فإن الخلق عندهم عين المخلوق، بل التأثير عندهم عين الأثر وقد ذكرنا الأدلة من الطرفين.

وتزييف أدلة المعتزلة، مع أبحاث شريفة في هذه المسألة في شرحنا للأصول لابن الحاجب رحمة الله عليه.

قوله: ومنع بعضهم لم يزل خالقًا، وإلَّا يلزم قدم المخلوق[٣].

وتقريره أنه لو كان الله لم يزل خالقًا للزم كون الخلق معه في القدم.

لاقتضاء الخلق المخلوق، فيلزم قدم الخلق وهو باطل.

=

الحق وتدقيق الأجزاء، وعلى ذلك يجري ظهور التمام في المصور.

قال: فهذه الأسماء بمضمونها بمعنى ولذلك تناسقت والله تعالىٰ أعلم.

شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص٥٢، ٥٣)

(١) أي أن الله قديم أي أزلي لا بداية له فلم يسبق وجوده عدم ولا يمكن أن تتصور أن الله في فتره من الفترات لم يكن موجودًا ثم صار موجودًا هذا الاحتمال والقصور باطل وكفر.

وفي معنى القديم في هذا العرض الأزلي فكما أن الله قديم فإن صفات الله تعالىٰ تكون قديمه أي أزليه فلا يمكن أن تكون صفات الله مخلوقة وهو أزلي.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

(٣) يسمى المعتزلة أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدريه والعدلية فقالوا في نفي الصفات فإثبات صفات أزليه قديمة لله زائدة علىٰ ذاته يجعل الصفة تشارك الذات في القدم الذي هو أخص أوصاف الذات، والاشتراك في الأخص يوجب الاشتراك في الأعم، وهذا يعني المماثلة أي أنها تصير آلهة إلىٰ جانب الذات الإلهية وذلك شرك، ولذا عطلوا الصفات فسموا المعطله وأسرفوا في الاستدلال العقلي، فابتعدوا عن مناهج غيرهم وخاصة أهل الحديث النقليين فصاروا يرمونهم بالجهالة ويلقبونهم بالحشويه ويتهمونهم بالكذب ومن ثم لجأوا إلىٰ الاضطهاد الديني وتأليب السلطة علىٰ الفقهاء كما فعلوا مع الإمام أحمد بن حنبل الأمر الذي أدى إلىٰ خلق معارضة قوية لهم وإلى اتهامهم اتهامات تنكر عليهم.

موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٨، ٣٦٠)

واجمعوا أنه لم يزل مالكًا إلهًا ربًا ولا مربوب ولا مملوك.

وكذلك يجوز أن يكون خالقًا بارئًا مصورًا ولا مخلوق ولا مبروء ولا مصور.

وأجاب عنه بالنقض بأنه لم يزل مالكًا وربًا.

والمالكية والربية تقتضيان المملوك والمربوب مع أنه **لا مملوك ولا مربوب في الأزل معه.**

فكذلك يجوز أن يكون خالقًا بارئًا مصورًا، ولا مخلوق ولا مبروء ولا مصور.

قال الإمام فخر الدين الرازي: وأما الخالق في حق الله تعالىٰ فيرجع إلىٰ العلم، فعلى هذا يرتفع النزاع، لكن بينهما بون، لأن المفهوم من الخلق غير المفهوم من العلم بدليل قوله تعالىٰ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

❊ ❊ ❊

الباب الثامن
اختلافهم في الأسماء

واختلفوا في الأسماء، فقال بعضهم: أسماء الله ليست هي الله ولا غيره كما قالوا في الصفات.

وقال بعضهم: أسماء الله هي الله.

قوله: واختلفوا في الأسماء، فقال بعضهم: أسماء الله ليست هي الله ولا غيره كما قالوا في الصفات بالتفسير الذي ذكر للغير.

وقال بعضهم: أسماء الله هي الله[1].

وهذه المسألة مفرعة علىٰ أن الاسم هل هو عين المسمى أم لا.

قالت الحشوية والكرامية والأشعرية: الاسم غير المسمى وغير التسمية.

وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى وعين التسمية والمختار عند الآخرين أن الاسم غير المسمى وغير التسمية.

وقال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالىٰ: استخرجنا لقول من يقول الاسم نفس

---

(١) الله هو الاسم الجامع لمعاني الأسماء وحقائقها وقد اختلف في كونه مشتقًا أو مرتجلاً وعلى كل فهو الذات الكريمة جار مجرى الأعلام لاختصاصه بها.

وقال غيره: مدلوله ذات المعبود الحق الغني عن العلة والفاعل الموصوف بصفات الألوهية.

وقال مدلوله: ذات الله تقدست عن صفات الحوادث ذاته وشهدت بوجوده موجوداته ودلت علىٰ وحدانيته آياته.

وقال آخر: هو الموصوف بصفات الكمال المنزه عن النقص والمثال.

وكل الأسماء يصح لمعانيها التخلق إلا هذا الاسم فإنه للتعلق وكل الأسماء راجعه إليه، فالمعرفه به معروفة بها.

شرح أسماء الله الحسنى (ص٢٥، ٢٦) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

....

المسمى تأويلًا لطيفًا دقيقًا، وهو أن لفظ الاسم اسم لكل لفظ دال علىٰ معنى من غير أن يدل علىٰ زمانه المعين، ولفظ الاسم كذلك فوجب أن يكون لفظ الاسم اسمًا لنفسه.

ففي هذه الصورة الاسم نفس المسمى، وفيه نظر، لأن لفظ الاسم من حيث هو هو اسم للفظ الاسم مع اعتبار أنه لفظ دال علىٰ معنى غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة.

فلفظ الاسم مع اعتبار هذا المعنى غيره من غير الاعتبار، فلا يكون نفسه.

ودليل من قال الاسم عين المسمى[1] النص والحكم أما النص فلقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٨].

والمتبارك هو المتعالي وهو الله تعالىٰ.

وقوله: اعبدوا الله، والمعبود هو المسمى لا الاسم.

وأما الحكم فهو أن الرجل إذا قال: زينب طالق يقع الطلاق علىٰ المسمى، فلو كان الاسم غير المسمى لكان ينبغي أن يقع الطلاق علىٰ غير تلك المرأة.

أجيب عن الآية **الأولى**: بجوار أنه يجب علينا أن نعتقد تنزيه الألفاظ الموضوعة لتعريف ذات الله تعالىٰ عن النقص، كما يجب علينا ذلك في جانب الذات.

وعن **الثانية**: بأن معناها: اعبدوا الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ.

---

(١) مسألة الاسم هل هو المسمى أو غيره ففيها للناس ثلاثة أقوال: أحدها أن الاسم هو المسمى وهو قول أبي عبيدة وسيبويه واختاره الباقلاني وابن فورك وقال الرازي في مقدمات تفسيره: قالت الحشويه والكرامية والأشعرية الاسم نفس المسمى وغير نفس التسمية وقالت المعتزله الاسم غير المسمى ونفس التسميه والمختار عندنا أن الاسم غير المسمى وغير التسمية.

ثم نقول: إن كان المراد بالاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات متقطعة وحروف مؤلفة، فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى، وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات وهو عبث فثبت أن الخوض في هذا البحث علىٰ جميع التقريرات يجري مجرى العبث كذا كلام الرازي.

انظر تفسير ابن كثير (١/ ١٨)

....

وعن الحكم بأن معنى قولنا: زينب طالق أن الذات التي يعبر عنها بهذا اللفظ طالق.

ودليل من قال: الاسم عين التسمية[1] قوله تعالىٰ: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].

وقال: ﴿ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾، وفيه نظر ظاهر.

ودليل من قال الاسم غيرهما: إما أنه غير المسمى فلأن اختلافهما وجودًا وعدمًا، وتعدد الأسماء مع وحدة المسمى، وتعدد الضميرين.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠] يدل علىٰ تغايرهما.

وإما أنه غير التسمية فلأن الاسم لفظ والتسمية معنى يتعلق به، فهو غيرهما.

واعلم أنه لا خلاف في أن الاسم قد يطلق ويراد به المسمى.

وقد يطلق ويراد به التسمية، وقد يطلق ويراد به اللفظ.

مثل اكتب زيدًا، وإنما الخلاف في أنه حقيقة في المسمى ومجاز في غيره.

أو هو حقيقة في التسمية ومجاز في غيرها.

أو هو حقيقة في اللفظ ومجاز في غيره.

وهذا اختلاف لفظي لا يتعلق باعتقاد ولا بحقيقة ومن هذا التحقيق يعلم معنى أن أسماء الله هل هي الله أم لا.

❋ ❋ ❋

(١) احتج من قال الاسم هو المسمى بقوله تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمٰن: ٧٨] والمتبارك هو الله تعالىٰ والجواب أن الاسم معظم لتعظيم الذات المقدسه وأيضًا فإذا قال الرجل زينب طالق يعني امرأته طلقت ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق والجواب أن المراد أن الذات المسماه بهذا الاسم طالق، قال الرازي: وأما التسمية فإنها جعل الاسم معينًا لهذه الذات فهي غير الاسم أيضًا والله أعلم.

تفسير ابن كثير (١/ ١٩)

الباب التاسع
قولهم في القرآن

أجمعوا أن القرآن كلام الله تعالىٰ علىٰ الحقيقة وأنه ليس بمخلوق ولا محدث ولا حدث[1]، وأنه متلو بألسنتنا مكتوب في مصاحفنا محفوظ في صدورنا غير حال فيها، وأجمعوا أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض.

قوله: أجمعوا علىٰ أن القرآن كلام الله ﷻ علىٰ الحقيقة وأنه ليس بمخلوق ولا محدث ولا حدث.

اختلفوا في معنى كلامه تعالى فقالت المعتزلة والحنابلة هو هذه الحروف والألفاظ الدالة علىٰ تلك المعاني[2]، لكن المعتزلة ذهبت إلىٰ أنها حادثة قائمة بغير ذات الله تعالىٰ.

وقالوا: معنى كونه تعالىٰ متكلمًا كونه موجدًا لهذه الحروف والألفاظ الدالة علىٰ المعاني في أجسام مخصوصة من مَلَك أو نبي.

وزعمت الحنابلة أنها قديمة قائمة بذات الله تعالىٰ وقال الأشاعرة وغيرهم من أهل السُّنَّة: إن كلام الله تعالىٰ هو مفهوم هذه الألفاظ والحروف وهو المسمى بالكلام النفسي، إذ المتكلم به النفس وهو أزلي قائم بذات الله تعالىٰ[3].

---

(١) بعد أن قرر المعتزلة وحدة الذات الإلهية والصفات قرروا نفي الصفات الزائدة عن الذات الإلهية وصفاتها تحولى إلىٰ النظر فيما ورد من هذه الصفات داخل النصوص الدينية عبر إخضاعها للتأويل العقلي واعتقد المعتزلة أن كلام الله محدث ومخلوق في محل كما هو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه وادعوا بخلق القرآن بذلك.

(٢) القول في كلام الله علىٰ قولين: قول المعتزلة والجهمية الذين يقولون إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره ولذلك قالوا بخلق القرآن.

وقول أهل السنة الذين يثبتون صفه الكلام وأن الله يتكلم إذا شاء متى شاء وأنه كلم موسى ويكلم عباده يوم القيامة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وهذا شامل لحروفه ومعانيه وأن نوع الكلام قديم وجنسه حادث بناء علىٰ أن الله يتكلم بمشيئته وإرادته ولم يكن هناك قول ثالث حتى جاء ابن كلاب فابتدع القول بأن كلام الله قديم وأنه معنى واحد وأنه لا يتعلق بمشيئة الله وإرادته.

(٣) قال الشيخ الإسلام ابن تيمية: في جواب عن سؤال علىٰ أن القول بأن كلام الله قديم لا بصوت =

....

وقالت الكرامية[1]: كلام الله تعالىٰ أزلي، ولكنه ليس بلفظه ولا معناه، بل هو قدرته علىٰ إحداث قوله في ذاته.

والقول هو هذه الألفاظ الدالة علىٰ المعاني، ففرقوا بين كلامه وقوله، وجعلوا قوله حادثًا قائمًا بذاته. ونقل عنهم أيضًا أنهم قالوا: كلام الله تعالىٰ حادث.

هذا هو مذهبهم من غير أدلتهم، والحق أن كلام الله تعالىٰ هو الكلام النفسي.

والقرآن هو الكلام المعبر بهذه العبارات، فلهذا صح وصفه بالقديم وبالمحدث وبالعربي وبالمسموع والمتلو والمكتوب والمحفوظ في صدورنا.

وتحقيق الكلام النفسي أن من يريد أن يأمر أو ينهى أو يخبر أو يستخبر يجد في نفسه قبل التلفظ معنًى ما ثم يعبر عنه بشيء، فذلك المعنى هو الكلام النفسي، وما عبر به هو الكلام الحسي، ولا التباس بين الكلام النفسي وشيء من الصفات سوى العلم، فإنهما يتقاربان، والفرق أن الكلام النفسي لابد وأن يكون مع قصد الخطاب، إما مع النفس أو مع الغير دون العلم فإنه لا يكون فيه قصد الخطاب ولو كان لصار كلامًا.

قوله: علىٰ الحقيقة. احتراز عن مذهب المعتزلة، فإنه علم من مذهبهم أنه متكلم بالمجاز، لأن المتكلم بالحقيقة علىٰ مذهبهم هو الأجسام التي أوجد هذه الحروف والألفاظ فيها.

قوله: وأنه ليس بمخلوق ولا محدث.

المخلوق والمحدث يطلق كل منهما علىٰ موجود، وجوده عن غيره، سواء كان سبق عدمه زمانيًا أو لا ويطلق أيضًا علىٰ موجود وجوده مسبوق بعدمه سبقًا زمانيًا، وهذا

= ولا حرف إلا معنى قائم بذات الله هو قول الأشعرية فقال: هذا صحيح ولكن هذا القول أول من قاله في الإسلام عبد الله بن كلاب فإن السلف والأئمة كانوا يثبتون لله تعالىٰ ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته والجهميه تنكر هذا وهذا، فوافق ابن كلاب السلف علىٰ القول بقيام الصفات القديمة وأنكر أن يقوم به شيء يتعلق بمشيئته وقدرته.

انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/١٧٨)

(١) بالهامش: الكرامي بفتح الكاف وتشديد الراء بعده، النسبه إلىٰ عبد الله بن محمد بن كرام النيسابوري، وكان والده يحفظ الكرم فقيل له الكرام.

....

المعنى أخص من الأول، ومراد صاحب الكتاب بهما ههنا هو هذا المعنى لا الأول.

قوله: ولا حدث.

يحترز به من مذهب الكرامية[1]، فإنهم قالوا: لا نقول إن القرآن مخلوق أو محدث، وإلَّا يلزم إحداث شيء في ذاته تعالىٰ من غيره لكنا نقول إنه محدث أو حادث، وهذا العدول لفظي إذ لا فرق في المعنى بين الحادث والمحدث.

واعلم أنه لا يجوز أن يحدث في ذات الله تعالىٰ شيء بالمعنى الثاني للحدوث، لأنه إن حدث لذاته تعالىٰ أو لصفة من صفاته[2] الناشئة عن ذاته لزم قدم ذلك الشيء.

والتقدير أنه حادث وإن لم يكن لذلك فقد استكمل الواجب بما لا يكون منشأه الذات، وذلك هو النقصان، لأنه في الكمال يحتاج إلىٰ الغير قوله: غير حال فيها.

أي في صدورنا، بل الحال فيها هو صور الألفاظ التي عبر القرآن بها لا نفسها.

قوله: ولا عرض، لأن العرض عند أهل السُّنّة لا يبقى زمانين. والقرآن ليس كذلك، وأيضًا العرض من صفات المحدثات.

---

(١) الكرامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني المتوفي (٢٥٥) هـ وكان من المرجئه وهم عدة فرق قيل اثنتا عشرة فرقه أهمها: الحقائقية والطرائقية والإسحاقية، والعابدية والتونية والزرينية والواحديه والهيصمية ولكل فرقة رأي وقد يختلفون إلَّا أنه قد جرى العمل علىٰ اعتبارهم فرقة واحدة لأنهم يكفرون بعضهم بعضًا وكانوا جميعًا من الصفاتية وإن كانوا قد انتهوا إلىٰ التجسيم والتشبيه، فقال ابن كرام في كتابه عذاب القبر والذي شرح فيه مذهبه وكان يدعو إلىٰ تجسيم معبوده وقال: إنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه . . . إلىٰ آخر كلامه.
انظر موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٢٧)

(٢) مطلق الذات هو الأمر الذي تستند إليه الأسماء والصفات في عينها لا في وجودها.
فكل اسم أو صفة استند إلىٰ شيء فذلك الشيء هو الذات سواء كان معدومًا كالعنقاء أو موجودًا والموجود نوعان: نوع موجود محض وهو ذات الباري سبحانه، ونوع موجود ملحق بالعدم وهو ذات المخلوقات، وذات الله سبحانه عبارة عن نفسه التي هو بها موجود لأنه قائم بنفسه وهو الشيء الذي استحق الأسماء والصفات بهويته وذات الله تعالىٰ غيب الأحدية لا تدرى بمفهوم عبارة ولا تفهم بمعلوم إشارة وليس ذاته في الوجود مناسب ولا مطابق ولا مناف ولا مضاد.
المعجم الصوفي (ص٩٨)

الباب العاشر
اختلافهم في الكلام ما هو

واختلفوا في الكلام ما هو؟

فقال الأكثرون منهم: كلام الله صفة الله في ذاته لم يزل، وإنه لا يشبه كلام المخلوقين بوجه من الوجوه وليست له ماهية، كما أن ذاته ليست لها ماهيّة إلَّا من جهة الإثبات.

وقال بعضهم: كلام الله أمر ونهي وخبر ووعدٍ ووعيد، والله تعالىٰ لم يزل آمرًا ناهيًا مخبرًا واعدًا موعدًا، حامدًا ذامًّا.

قوله: كلام الله صفة الله في ذاته، لم يزل هذا اعتقاد السلف وأهل السُّنَّة[1].

فإنهم قالوا: صفة الله في ذاته لم يزل ولم يعبروا بأكثر منه، وليس له ماهيّة، فلا يسأل عنه بما هو، لأن السؤال بما هو إنما يطلب المائية.

وإذا لم يكن له ماهية فلا يسأل عنه بما هو، بل يجب إثباته تعالى، كما أن ذاته ليس لها ماهية فلا يسأل عنها بما هو، بل يجب إثباته تعالىٰ. والحق أن المراد بقوله: ليس له ماهية أي لا نطلق عليه، أو لا نسأل عنه بما هو.

قوله: وقال بعضهم كلام الله أمر ونهي وخبر ووعد ووعيد.

---

(١) أهل السنة علىٰ أربعة مذاهب هي المالكية والحنبلية والشافعية والحنفية وكتبهم المعتمدة هي الصحاح الستة وهي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وأهل السنة يتبعون السلف من الصحابه والتابعين والأئمة الأربعة ولا خلاف بين هؤلاء الأئمة في الاعتقادات وجميع أهل الحديث والرأي مثل مالك والأوزاعي والزهري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل والثوري وابن عيينة وابن معين وابن راهويه وأبي يوسف وغيرهم من مختلف الطبقات لم يختلفوا في تقدمهم من الصحابه والتابعين وأتباع التابعين.
موسوعة الفرق والجماعات (ص٧٨)

إذا خلقتم وبلغت عقولكم فافعلوا كذا.

وأنتم مذمومون علىٰ معاصيكم، مثابون علىٰ طاعتكم إذا خلقتم، كما أنّا مأمورون مخاطبون بما نزل من القرآن علىٰ النبي ﷺ، ولم نخلق بعد ولم نكن موجودين.

إلىٰ قوله: **ولم نكن موجودين.**

ذهب بعض أهل السُّنَّة إلىٰ أن كلام الله كان في الأزل أمرًا ونهيًا وخبرًا ووعدًا ووعيدًا.

واعترضت المعتزلة عليه بأنه يلزم هذه الأشياء بدون المخاطب، لأن المخاطبين إنما وجدوا فيما لا يزال وذلك عبث لا يليق بكلام الله تعالىٰ.

وأيضًا أخبر الله تعالىٰ بلفظ الماضي في كثير من المواضع كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [نوح: ١]، فلو كان الكلام قديمًا لزم الكذب إذ ما أرسله قبل الأزل.

وأجابوا عن ذلك بأنا نقول: إن الله تعالىٰ لم يزل آمرًا ناهيًا مخبرًا واعدًا موعدًا حامدًا ذامًّا إذا خلقتم وتكونون بصفة التكليف فأنتم مأمورون مخاطبون ومذمون علىٰ معاصيكم ومثابون علىٰ طاعتكم بالأمر الأزلي، وإن لم يكن في الأزل[1] وقت ذلك الخطاب.

كما أنّا مأمورون مخاطبون بما نزل من القرآن علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، ولم نخلق بعد ولم نكن موجودين وقت نزول القرآن.

وللمعتزلة أن يفرقوا بين كوننا مأمورين بما نزل من القرآن علىٰ النبي عليه الصلاة

---

(١) الأزل معناه القِدَم، لأن القديم يسمى به غير الباري والأزل والأزلية لله تعالىٰ ولا يتسمى بالأزل شيء غير الله جل جلاله والأزل اسم من أسماء الأوليه فهو الله القديم الذي لم يزل ولا يزال، والأزلية من صفاته.

وفي شرح النصوص للجامي الأعيان الثابتة وبعض الأرواح المجردة أزلية، والفرق بين أزليتها وأزليه المبدع تعالىٰ نعت سلبي بنفي الأولية بمعنى افتتاح الوجود عن العدم لأنه غير الوجود وأزليه الأعيان والأرواح دوام وجودها مع دوام مبدعها مع افتتاح الوجود عن العدم لكونه من غيرها.
المعجم الصوفي (ص٢٠)

....

....

والسلام بوجود بعض المخاطبين في زمان النبي عليه الصلاة والسلام بخلاف أمر الله في الأزل، فإنه لا يكون حينئذ مخاطب أصلًا مع أن الجواب المذكور غير دافع للشبهة الثانية.

والشبهتان واردتان علىٰ المذهب الأول أيضًا.

بل الجواب أن الله تعالىٰ منزه عن الزمان[1].

فلا يكون له ماض ولا حاضر ولا مستقبل، بل جميع الأزمنة من الأزل إلىٰ الأبد بالقياس إليه تعالىٰ كامتداد واحد متصل بالنسبة من هو خارج عنه، فيكون كل قوم في زمانهم بالنسبة إليه تعالىٰ كالحاضر في زمانه، وإن كان بعضهم بالنسبة إلىٰ البعض سابقًا أو لاحقًا أو معًا في نفس الأمر، وفي علم الله تعالىٰ أيضًا.

والكلام النفسي إنما يكون مع مخاطب نفسي، فيخاطب الله تعالىٰ أيضًا كل قوم بحسب زمانه وتقدمه وتأخره وهذه الشبه بالحقيقة إنما يرد علىٰ الحنابلة[2].

واختلف في لفظ القرآن فقال قوم: خلق الله تعالىٰ صورة اللفظ علىٰ اللوح المحفوظ لقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

وذهب قوم إلىٰ أنه لفظ جبرائيل عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾.

وذهب آخرون إلىٰ أنه لفظ النبي عليه الصلاة والسلام لقوله تعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ والمنزول به علىٰ القلب هو المعنى.

---

(١) لا يجري الزمان علىٰ الحق، أي لا يتعين وجوده بزمان بمعنى إن وجوده ليس زمانيًا، والفرق بين كان الله ويكون، وبين كان زيد ويكون أن وجوده تعالىٰ مستمر مع الزمان لا فيه.

بخلاف وجود زيد فإنه في الزمان ومنطبق عليه ولا يوجد بدون هذا الزمان لتعلقه بأمور منطبقة عليه، وكما أن الزمان لا يجري عليه تعالىٰ فكذلك لا يجري علىٰ صفاته القديمة. المعجم الصوفي (ص١١٦)

(٢) الحنابلة اتباع مذهب أحمد بن حنبل قال فيه الشافعي: أحمد إمام في ثماني خصال: إمام في في الحديث، وإمام في الفقه، وإمام في اللغة وإمام في القرآن، وإمام في الفقر، وإمام في الزهد وإمام في الورع، وإمام في السنة، وقيل فيه هو إمام وحجه وكان شعار أهل السنة أن حب الإمام أحمد علامة السنة وبغضه علامة البدعة.

وأجمع الجمهور منهم علىٰ أن كلام الله تعالىٰ ليس بحروف ولا صوت ولا هجاء، بل الحروف والصوت والهجاء دلالات علىٰ الكلام، وأنها لذوي الآلات والجوارح التي هي اللهوات والشفة والألسنة.

والله تعالىٰ ليس بذي جارحة، ولا محتاج إلىٰ آلة فليس كلامه بحروف ولا صوت[(١)].

وقال بعض كبرائهم في كلام له: من تكلم بالحروف فهو معلول، ومن كان كلامه باعتقاب فهو مضطر.

فيكون اللفظ لفظ النبي عليه الصلاة والسلام.

والأول أقرب وأولى بكلام الله تعالى، وكونه معجزًا.

قوله: وأنها لذوي الآلات والجوارح.

أي أن الحروف والأصوات والهجاء لأولي آلاتها من الحلق واللسان والشفة بحسب مخارجها.

قوله: من تكلم بالحروف فهو معلول.

أي من تكلم بالحروف فهو معلول بعلة الجواز حينئذ، لأن الحروف لا بد لها من مخارج، بعضها حلقي وبعضها لساني وبعضها شفوي، ومن كان كلامه باعتقاب فهو مضطر، أي إلىٰ التكلم بذلك الكلام علىٰ سبيل الاعتقاب، لأنه لا يقدر علىٰ التكلم به

---

(١) نقل شيخ الإسلام ابن تيمية نصًا لأبي نصر السجزي في رسالته المعروفه لأهل زبيد والتي تسمى باسم "الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت" بين فيه نشأة قول ابن كلاب ومن اتبعه في كلام الله فقال: اعلموا أرشدنا الله وإياكم أنه لم يكن خلاف بين الخلق علىٰ اختلاف نحلهم من أول الزمان إلىٰ الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد علىٰ المعتزلة وهم معهم بل أخس منهم في الباطن من أن الكلام لا يكون إلّا حرفًا وصوتًا ذا تأليف واتساق وإن اختلفت به اللغات وعبر عن هذا المعنى الأوائل الذي تكلموا في العقليات وقالوا الكلام حروف منسقه وأصوات مقطعة.

وقالت العرب يعني علماء العربيه الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى . . . . إلىٰ آخر ما جاء.
الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت (ص٩٢)

وقالت طائفة منهم: كلام الله حروف وصوت وزعموا أنه لا يعرف كلامه إلّا كذلك مع إقرارهم أنه صفة الله تعالىٰ في ذاته غير مخلوق وهذا قول حارث المحاسبي، ومن المتأخرين ابن سالم.

والأصل في هذا أنه لمّا ثبت أن الله تعالىٰ قديم وأنه غير مشبه للخلق من جميع الوجوه.

كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، فلا يكون كلامه حروفًا وصوتًا ككلام المخلوقين[1]، ولما أثبت الله لنفسه كلامًا بقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾. وقال: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] .

وجب أن يكون موصوفًا به لم يزل، لأنه لو لم يكن موصوفًا به فيما لم يزل لكان كلامه ككلام المحدثين ولكان في الأزل موصوفًا بضده من سكوت أو آفة ولما ثبت أنه غير متغير، وأن ذاته ليست بمحل للحوادث، وجب أن لا يكون ساكتًا، ثم صار متكلمًا فإذا ثبت كلامه، وثبت أنه ليس بمحدث وجب الإقرار به[2]، ولما لم يثبت

إلّا أن يقول حرفًا بعد حرف ولفظًا بعد لفظ، فيكون مضطرًا، والله تعالىٰ ليس بذي جارحة ولا هو مضطر ومحتاج إلىٰ شيء، فلا يكون متكلمًا بالحروف.

قوله: من سكوت أو آفة.

أي مانع من الكلام.

---

(١) قال ابن تيميه: إنما اضطر ابن كلاب والأشعري ونحوهما إلىٰ هذا القول أنهم لما اعتقدوا أن الله لا تقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته لا فعل ولا تكلم ولا غير ذلك وقد تبين لهم فساد قول من يقول القرآن مخلوق ولا يجعل لله تعالىٰ كلامًا قائمًا بنفسه بل يجعل كلامه ما خلقه في غيره وعرفوا أن الكلام لا يكون مفعولاً منفصلاً عن المتكلم ولا يتصف الموصوف بما هو منفصل عنه بل إذا خلق الله شيئًا من الصفات والأفعال بمحل كان ذلك صفه لذلك المحل لا لله وهذا التقرير مما اتفق عليه القائلون بأن القرآن غير مخلوق من جميع الطوائف مثل أهل الحديث والسنة والكرامية والكلابية وغيرهم.

(درء التعارض) (٢/ ٩٥، ١٠٨)

(٢) القول بقدم القرآن وأنه معنى واحد أول من ابتدعه ابن كلاب وأن الذين اتبعوه في أقواله في =

أنه حروف وصوت وجب الإمساك عنه ثم القرآن ينصرف في اللغة علىٰ وجوه منها:

مصدر القراءة كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨].

والحروف المعجمة في المصاحف تسمى قرآنًا.

قال النبي ﷺ: «لا تسافروا بالقرآن إلىٰ أرض العدو»[(١)].

ويسمى كلام الله قرآنًا، فكل قرآن سوى كلام الله فمحدث مخلوق.

والقرآن الذي هو كلام الله فغير محدث ولا مخلوق والقرآن إذا أرسل

قوله: والقرآن إذا أرسل.

أي عن القيد، وهو ههنا بمعنى أطلق، يعني القرآن إذا أُطلق فُهِمَ منه كلام الله لا غير[(٢)] لأنه صار حقيقة فيه، وكلام الله غير مخلوق لما ذكر.

فالقرآن إذن غير مخلوق[(٣)].

= كلام الله بناء علىٰ نفي الصفات الاختياريه القائمة بالله طائفتان الأولى: الأشاعره ومن اتبعهم قالوا بقوله إلا في ثلاث مسائل: الأولى مسألة أزليه الأمر والنهي أي هل كان في الأزل آمرًا وناهيًا أو صار آمرًا ناهيًا بعد أن لم يكن أي عند وجود المأمور والمنهي الأولى قول الأشعري والثانية قول ابن كلاب والمسألة الثانية أن الكلام مع القول بقدمه وأزليته وأنه معنى واحد هل هو صفة واحدة أو خمس صفات الأول قول الأشعري والثاني قول ابن كلاب، والمسألة الثالثة أن القرآن حكاية عن كلام الله عند ابن كلاب وعبارة عنه عند الأشعري.

انظر الكيلانيه مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٦) وانظر منهاج السنة (٢/ ١٠١، ١٠٢)

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه في الإمارة حديث رقم (٩٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٢٦٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٦، ١٠).

(٢) قال الطحاوي في عقيدته المشهورة: وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفيه قولاً، وأنزله علىٰ رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون علىٰ ذلك حقًا.

(٣) وأيقنوا أنه كلام الله تعالىٰ بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦]. فلما أوعد الله بسقر لمن قال ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر. انتهى.

انظر لمعة الاعتقاد (ص٢٢)

وأطلق لم يفهم منه غير كلام الله تعالىٰ فهو إذًا غير مخلوق.

والوقف فيه لأحد الأمرين، إما أن يقف فيه وهو يصفه بصفة المحدث والمخلوق، فهو عنده مخلوق، ووقوفه تقية، أو يقف وهو مضمر علىٰ أنه صفة لله في ذاته فلا معنى لوقوفه عن عبارة الخلق والنطق به.

قوله: والوقف فيه لأحد أمرين.

أي الوقف في القرآن عن أن يقال إنه مخلوق أو غير مخلوق لأحد أمرين:

إما تقية أو مضمر أنّ القرآن صفة الله في ذاته.

هذا الكلام رد علىٰ من توقف في القرآن.

وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا أقول إنه غير مخلوق.

قال صاحب الكتاب رحمة الله عليه: إما أن يقف في القرآن وهو يصفه بصفة المخلوق والمحدث، فالقرآن عنده مخلوق **ووقوفه تقية، أو يقف وهو مضمر** أي معتقد أن القرآن صفة لله تعالىٰ في ذاته، فلا معنى لوقوفه عن التكلم بالحق والنطق به.

اللهم إلّا أن يعتقد أن القرآن صفة الله. وصفة الله غير مخلوقة، ولم يمتحن بناف لكونه مخلوقًا يجب عليه إثبات ذلك النافي فيقول: القرآن كلام الله ويسكت **عن عبارة الخلق والنطق به**[(١)]، وهو أن يقول إنه غير مخلوق، فحينئذ يكون لوقوفه معنى إذ لم

(١) قال ابن قدامه رحمه الله: القرآن هو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة محفوظ في الصدور مسموع بالآذان مكتوب في المصاحف فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢] وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر وفي هذا حجة قاطعه علىٰ أنه حروف. انتهى.
انظر لمعة الاعتقاد (ص٢٢ ـ ٢٨)

اللهم إلَّا أن ينطوي علىٰ أنه صفة لله.

وصفات الله غير مخلوقة، ولم يمتحن بناف يجب عليه إثباته فيقول: القرآن كلام الله ويسكت إذ لم يأت بغير مخلوق رواية ولا تليت به آية فهو عند ذلك مصيب.

يأت بغير مخلوقيته رواية عن الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا تُليت بغير مخلوقيته آية عن الله، فهو عند الوقف بهذا المعنى مصيب.

***

الباب الحادي عشر
قولهم في الرؤية

أجمعوا علىٰ أن الله تعالىٰ يُرى بالأبصار في الآخرة وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين، لأن ذلك كرامة من الله تعالىٰ لقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] . وجوزوا الرؤية بالعقل وأوجبوها بالسمع.

وإنما جاز في العقل لأنه موجود، وكل موجود فجائز رؤيته.

قوله: قولهم في الرؤية

أجمعوا علىٰ أن الله تعالىٰ يُرى بالأبصار في الآخرة[1]، **وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين، لأن رؤية الله كرامة منه تعالى،** فتلك لا تكون إلَّا للمحسنين الذين هم المؤمنون، لقوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] .

الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ كذا وردت الرواية عن النبي عليه الصلاة والسلام، والكافر غير محسن فلا يكون له رؤية الله تعالىٰ.

وقال بعضهم: إن الكافر يراه أيضًا لا لكرامته، بل لزيادة الحسرة، ليعلم ما فات منه من النعمة التي لا تقابل بشيء.

اتفق أهل السُّنّة علىٰ جواز رؤية الله تعالىٰ في الآخرة[2] منزهًا عن المسامتة

---

(١) اعلم أن مذهب أهل السنة بأجمعهم أن رؤية الله تعالىٰ ممكنه غير مستحيلة عقلاً وأجمعوا أيضًا علىٰ وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالىٰ دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع المعتزله والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالىٰ لا يراه أحد من خلقه وأن رؤيته مستحيلة عقلاً وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة علىٰ إثبات رؤية الله تعالىٰ في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيًا عن رسول الله ﷺ وآيات القرآن فيها مشهورة. شرح مسلم للنووي (٣/ ١٤، ١٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) رؤية الله ثابتة في الآخرة عند أهل السنة والجماعة من أنكرها كفر، يراه المؤمنون يوم القيامة =

إذا وضع الله تعالىٰ فينا الرؤية له، ....

والمحاذاة والجهة والمكان، خلافًا لجميع الفرق والمشبهة والكرامية وإن جوزوا رؤية الله لكن لاعتقاد كونه تعالىٰ جسمًا حاصلًا في الجهة وإما بتقدير كونه تعالىٰ منزهًا عن الجسمية والجهة فيحيلون رؤيته.

وقال الإمام فخر الدين الرازي: أطلق أكثر الكرامية لفظ الجسم علىٰ الله تعالىٰ وقالوا: لا يزيد كونه مركبًا مؤلفًا من الأعضاء، وإنما يريد به كونه موجودًا قائمًا بالنفس غنِيًّا عن المحل والمساحة هي أن يكون المرئي مقابلًا للعين بحيث لو أخرج خط مستقيم من الحدقة قائمًا علىٰ سطحها لمر علىٰ المرئي، والمحاذاه أعم منها.

واستدل أهل السُّنّة علىٰ جواز رؤية الله تعالىٰ بالمعقول والمنقول.

أما المعقول فلأن الجواهر والأعراض مشتركة في صحة الرؤية، فلا بد لها من علة مشتركة بينهما، لأن الحكم المشترك لا بد له من علة مشتركة.

والمشترك بينهما هو الحدوث والوجود.

فالعلة إما الحدوث أو الوجود، لا جائز أن تكون العلة هي الحدوث، لأن الحدوث وجود لاحق مع عدم سابق، فهو عدمي.

والعدم لا يجوز أن يكون علة للوجودي، فتعين أن تكون العلة هي الوجود، والله تعالىٰ موجود فيصح رؤيته.

وهذا الدليل ضعيف إذ نسلم أن الجواهر مرئية، بل المرئي إنما هو الأعراض من الألوان والأضواء والسطوح ولئن سلم ذلك، لكن لا نسلم وجوب تعليل الأحكام

=

ويرونه في الجنة كما يشاء بإجماع أهل السنة كما قال عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ القيامة [٢٢، ٢٣] وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فسر النبي ﷺ الزيادة بأنها النظر إلىٰ وجه الله، وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة أما في الدنيا فلا يرى في الدنيا كما قال سبحانه وتعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقال لموسى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «واعلموا أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت» أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد رقم حديث (٢٩٣١).

ولو لم تكن الرؤية جائزة عليه لكان سؤال موسى عليه السلام: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] جهلاً وكفرًا.

المشتركة بعلل مشتركة، لجواز تعليل المشتركات بعلل مختلفة[1]، فإن الحرارة مشتركة بين النار وضوء الشمس، والعلة في الأولى الطبيعة النارية، وفي الثانية طبيعة الضوء.

ولئن سلم ذلك لكن لا نسلم حصر المشترك في الحدوث والوجود.

وأيضًا مذهبكم أن وجود كل شيء عين ماهيته.

والآن ذهبتم إلىٰ أن الوجود مشترك بين الجواهر والأعراض.

ولضعف هذا الدليل سلك صاحب الكتاب طريقًا آخر سالمًا عن هذا فقال: لأن الله موجود، وكل موجود جاز رؤيته إذا وضع الله فينا الرؤية له.

بيان المقدمة الثانية ظاهر، لأن الله تعالىٰ قادر علىٰ وضع الرؤية فينا له، فالمقدور عليه ممكن، فالرؤية ممكنة خصوصًا المؤمنون في الخلد روحانيون كالملائكة.

وأما المنقول فهو أنه **لو لم تكن الرؤية**[2] **جائزه عليه تعالىٰ لكان سؤال موسى عليه السلام: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾** [الأعراف: ١٤٣]، **جهلًا وكفرًا**، لأنه إن لم يعلم امتناعها لزم الجهل، وإن علم امتناعها فوصف الله تعالىٰ بصفة غير لائقة به وهو عند المعتزلة كفر وعبث، فيلزم الكفر والعبث ولا يجوز أن ينسب شيء منه إلىٰ الأنبياء.

وأجابوا عن ذلك بأن سؤال موسى لأجل قومه والذي يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ

---

(١) قال الإمام الغزالي في المنقذ من الضلال إن أرباب القلوب يشاهدون في اليقظة الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون كلمات عنهم ويكتسبون منها الفوائد، ويذكر علماء التحليل النفسي أن رؤية أولياء الله الذين عرف الناس عنهم الصلاح والحكمة ليست هي المقصودة في مصطلح أهل التحليل التفسي بالهلاوس، فهذه أخيلة مرضية يصاب بها المرضى بأنواع الذهان والفصام ولها مواصفاتها المرضية الخاصة المختلفة تمامًا.

المعجم الصوفي (ص١١٣)

(٢) المقصود بالرؤية رؤية الحق وهي عند الصوفية من شواهد الأحوال والمقامات وقيل فيها وهو خير ما قيل إن لم تر الحق لم تكن به وإن رأيت غيره لم تره.

المعجم الصوفي (ص١١٣)

ولما علق الله تعالىٰ الرؤية بشرطية استقرار الجبل بقوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وكان ممكنًا في العقل استقراره، لو أقره الله وجب أن تكون الرؤية المعلقة به جائزة في العقل ممكنة، فإذا ثبت جوازه في العقل ثم جاء السمع بوجوبه بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، ....

حكاية عنهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

وأيضًا لو لم تكن الرؤية جائزة عليه تعالىٰ لما علق الله تعالىٰ الرؤية علىٰ استقرار الجبل[1] بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أي فإن استقر الجبل فسوف تراني.

بيان الملازمة هو أن لا يجوز تعليق الممتنع علىٰ الممكن.

وههنا المعلق عليه وهو استقرار الجبل أمر ممكن فالمعلق علىٰ الممكن وهو الرؤية ممكن أيضًا، فثبت جواز الرؤية في العقل. وهو المطلوب.

واعترض عليه بأنه لا ثم أن المعلق عليه هو مطلق استقرار الجبل وإلَّا لكانت الرؤية حاصلة لحصول مطلق الاستقرار، بل المعلق عليه استقرار الجبل حالة التجلي، وهي حالة التحرك، واستقرار حالة تحركه محال، فالتعليق عليه لا يدل علىٰ إمكان الرؤية[2]، لأن التعليق علىٰ الشرط الممتنع لا يدل علىٰ إمكان المشروط.

قوله: ثم جاء السمع بوجوبه.

لأنه أخبر الله تعالىٰ بوقوعه في الآتي، وكل ما أخبر عنه بوقوعه يجب أن يقع.

---

(١) قال صاحب التحرير: الأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسألة وسأله هل رأى محمد ﷺ ربه فأخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] ولقول الله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة.
شرح مسلم للنووي (٣/ ٥، ٦) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) احتجاج عائشة بقول الله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة =

وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥] .

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦] .

وجاءت الرواية بأنها الرؤية، وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون

لئلا يلزم الكذب في خبره تعالىٰ، وكذا أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بوقوع الرؤية في الآتي، فيجب وقوعها لئلا يلزم الكذب في خبره عليه الصلاة والسلام.

وهو عند المعتزلة علىٰ الرسول عليه الصلاة والسلام محال.

وقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين: ١٥] أي حقًّا أن الكفار يومئذ لمحجوبون عن ربهم، فنفى الرؤية عنهم بسبب الكفر، فدل بالمفهوم أن للمؤمنين الرؤية لأن الآية دلت علىٰ عقوبة الكفار بعدم الرؤية.

وما عوقب به الكافر لكفره لا يعاقب به المؤمن.

وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦] [1].

جاءت الرواية عن النبي عليه الصلاة والسلام بأن الزيادة هي الرؤية.

فحمل الآية علىٰ ما وافقته الرواية أولى من حملها علىٰ غيره كما حملها بعضهم

=

والله تعالىٰ لا يحاط به، وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة.

وأما احتجاجها ﵂ بقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾ [الشورى: ٥١] الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام، الثاني: أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة، الثالث: ما قاله بعض العلماء إن المراد بالوحي الكلام من غير واسطه وهذا الذي قاله هذا القائل وإن كان محتملاً ولكن الجمهور علىٰ أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيًا.

شرح مسلم للنووي (٦/٣) طبعة دار الكتب العلمية

(١) حديث مسلم كتاب الإيمان رقم (٢٩٧) عن صهيب رفعه «**إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلىٰ ربهم عز وجل**»، وزاد في الحديث (٢٩٨) ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦].

القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»[(١)].

علىٰ أن الحسنى هي الجنة، والزيادة درجاتها.

وقال بعضهم: الحسنى هو مقدار مدة عمل العبد والزيادة تأبيد النعيم.

وذهب آخر إلىٰ أن الحسنى هي مكافأة العمل واحدًا بواحد والزيادة هي التسعة الأخرى.

كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قوله: «لا تضامون في رؤيته».

روي هذا اللفظ بتشديد الميم مع فتح التاء وضمها[(٢)] من التضامّ والمضامّة، أي لا يزاحم بعضكم بعضًا، ولا يلحقكم مشقة.

فيقول له: أرأيته، كما في رؤية الهلال.

وروي بتخفيف الميم وضم التاء، من الضيم وهو الظلم وأصله تَضَيُمون، فنقلت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧٣) حديث رقم (٧٤٣٦) ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم (٢١١)، وأبو داود في سننه (٤٧٢٩)، والترمذي في سننه (٢٥٥٤)، وابن ماجة في سننه (١٧٧)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١/ ٣٥٩).
قال النووي في شرح مسلم: أي ترونه رؤية محققه لا شك فيها ولا مشقه كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، والرؤية مختصة بالمؤمنين وأما الكفار فلا يرونه سبحانه وتعالى وقيل: يراه منافقو هذه الأمة وهذا ضعيف والصحيح الذي عليه جمهور أهل السنة أن المنافقين لا يرونه كما لا يراه باقي الكفار باتفاق العلماء. وتكملة الحديث «**فإن استطعتم أن لا تغلبوا علىٰ صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**» يعني العصر والفجر، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

(٢) في روايه مسلم «**هل تضارون**» قال النووي وفي الرواية الأخرى: هل تضامون وروى تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر وروى أيضًا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شدد فتح التاء ومن خففها ضم التاء ومعنى المشدد هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلىٰ رؤيته ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقه والتعب.
شرح مسلم للنووي (٣/ ١٦، ١٧) طبعة دار الكتب العلمية

والأخبار في هذا مشهورة متواترة، وجب القول به والإيمان والتصديق له.

وما تأولت النافية لها فمستحيل كقولهم: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣].

أي إلىٰ ثواب ربها ناظرة، لأن ثواب الله غير الله.

وقولهم: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. سؤال آية، فإنه قد أراه آياته.

فتحة الياء إلىٰ ما قبلها، وقلبت ألفًا، أي تستوون في الرؤية، حتى لا يضيم بعضكم بعضًا، وقيل معناه علىٰ هذه الرواية: لا تشكون، ولم نجده في كتب اللغة التي بلغتنا.

قوله: والأخبار في هذا.

أي في جواز رؤية الله تعالىٰ بالأبصار في الآخرة مشهورة.

قوله: وما تأولت النافية.

أي الآيات التي تدل علىٰ الرؤية، وتأوّلتها النافية للرؤية، فذلك التأويل مستحيل.

ومما تأولته قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣].

أي إلىٰ ثواب ربها.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] بأنه **سؤال آية، أي علامة،** أي أرني علامة لأنظر فيها وأستدل بها عليك[1]، ومما اعترضت المعتزلة علىٰ هذه الآية أن النظر لا يستلزم الرؤية، لأنه يقال نظرت إلىٰ البدر ولم أره، وأيضًا إلىٰ واحد الآلاء،

---

(١) في حديث مسلم كتاب الإيمان، حديث (٢٩٣) عن أبي موسى وفيه **«حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».**

قال النووي: السبحات بضم السين والباء ورفع التاء في آخره: هي جمع سبحة، قال صاحب العين والهروي وجميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه، وأما الحجاب فأصله في اللغه المنع والستر، وحقيقة الحجاب إنما تكون للأجسام المحدودة والله تعالىٰ منزه عن الجسم والحد والمراد هنا المانع من رؤيته وسمي ذلك المانع نورًا أو نارًا لأنهما يمنعان من الإدراك.

شرح مسلم للنووي (٣/ ١٢) طبعة دار الكتب العلمية

....

بمعنى النعمة، أي ناظرة نعمة ربها، أو يقدر مضاف تقديره إلىٰ نعمة ربها، أي منتظرة.

أجيب عن الأول بأن النظر إما الرؤية أو تقليب الحدقة نحو المرئي طلبًا للرؤية، فإن كان الأول فقد حصل المطلوب، وإن كان الثاني تعذر ههنا حمله علىٰ ظاهره، لأن تقليب الحدقة إنما يكون نحو المرئي الذي في الجهة فلا بد من حمله علىٰ الرؤية، لأن النظر سبب الرؤية، وإطلاق لفظ السبب وإرادة المسبب من أقوى وجوه المجاز.

فحينئذ يكون المراد من النظر الرؤية، ولزم المطلوب وعن الثاني بأن الانتظار سبب النعم، والآية في بيان النعم، فذلك غير مناسب.

وأيضًا تعدية الانتظار باللام يقال انتظرت، لكن لا أبالي.

وقوله: لأن ثواب الله غير الله.

وكذا قوله: وقد أراه آياته، أي وقد أرى الله موسى آيات كثيرة[1]، كما قيل ذلك فما الفائدة في استدعاء آية أخرى، رد لتأويلاتهم، لأنهم عدلوا عن النص الصريح وجعلوا الموجود وهو ربها في الآية الأولى، وذاته تعالىٰ في الثانية، بدليل إليك معدومًا. والمعدوم وهو الثواب وآية موجودًا.

فالتأويل المذكور باطل.

واعلم أنه نقل عن أمير المؤمنين عليّ وأولاده أن لأرواحنا إدراكًا آخر ندرك به الأشياء بأعيانها بدون توسط الحاسة إذا تجردت الروح بالارتياض والإعراض عن الأعراض البدنية الحيوانية، واللذات الشهوانية.

ولعل هذا هو الوجه في المطلوب، وفي طريق سماع الكلام بالوحي والإلهام.

---

(١) كما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾. قال ابن كثير: وهي الدلائل القاطعة علىٰ صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلىٰ فرعون وهي: العصا، واليد، والسنين، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس.

تفسير ابن كثير (٣/ ٦٨)

وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أنه كما لا تدركه الأبصار في الدنيا كذلك في الآخرة وإنما نفى الله تعالىٰ الإدراك بالأبصار، لأن الإدراك يوجب كيفية وإحاطة، فنفى ما يوجب الكيفية والإحاطة دون الرؤية التي ليست فيها كيفية وإحاطة.

وهذا الإدراك[١] لا يمنع أن تكون العين مع ذلك طامحة[٢].

وإن لم يكن لها مدخل في هذه الرؤية، فيصدق أنا نراه بأعيننا علىٰ أن الباء بمعنى مع.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: لو علم العارف أنهم لا يرون ربهم في الجنة لتفقأت مرارتهم حسرة وغمًّا وقال النبي عليه الصلاة والسلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ [الإنسان: ٢٠]، أن الملك الكبير هو رؤية الله ﷻ.

وقرأ أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ملكًا كبيرًا بفتح الميم وكسر اللام.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بينا أهل الجنة في الجنة إذ طلع عليهم الرب جل وعز فيتيهون بين جلاله وجماله ثمانمائة ألف عام، إذا نظروا إلىٰ الجلال طابوا وإذا نظروا إلىٰ الجمال[٣] ذابوا، وليس معنى الذوبان نقصانهم، بل معناه لا يبقى ما هو فيهم من

---

(١) الإدراك في اصطلاح الصوفية نوعان: إدراك بسيط وهو إدراك وجود الحق سبحانه مع الذهول عن هذا الإدراك وعن أن المدرك هو الوجود الحق وإدراك مركب عبارة عن إدراك الحق سبحانه مع الوعي بهذا الإدراك وأن المدرك هو وجود الحق سبحانه.

المعجم الصوفي (ص١٨)

(٢) بالهامش: طمح بصره إلىٰ الشيء ارتفع وكل مرتفع طامح صحاح.

(٣) الجمال يطلق علىٰ معنيين، أحدهما الجمال الذي يعرفه العامة مثل صفاء اللون ولين الملمس وغير ذلك وهي مسائل مكتسبة وثانيهما: الجمال الحقيقي وهو التناسب بين الأعضاء، والجمال الحقيقي الذي يعني الصوفية هو الجمال الإلهي وهو صفة أزليه لله تعالىٰ مشاهدة في ذاته مشاهدة علمية، فأراد أن يراه في صنعه مشاهدة عينية، فخلق العالم كمرآة شاهد فيه جماله عيانًا.

وجمال الله تعالىٰ عبارة عن أوصافه العلى وأسمائه الحسنى هذا علىٰ العموم، وأما الخصوص فهو أوصافه: الرحمة والعلم واللطف والنعمة والجود والرّازقيّة والخلاقية والنفع وأمثال ذلك وكلها صفات جمال.

المعجم الصوفي (ص٦٦، ٦٧)

وأجمعوا أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار[١] ولا بالقلوب إلَّا من جهة الإيقان، لأنه غاية الكرامة وأفضل النعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلَّا في أفضل

لذة المطعم والمشرب وشهوة الحور، والقصور والأنهار والأشجار.

والحق غالب علىٰ كل شيء، فالنفس متى قامت بصفاتها يكون التألم والتلذذ صفتها، وإذا فنيت صفاتها يحصل لها الألم والتلذذ ولكن لم يكن لها خبر منها، وتحضر باللذات.

ويكون غائبًا بالمعنى، ويبقى بالنفس وفني بصفاتها فإذا غلبت المعاني عنها، وفنيت الصفات صار الحضور غيبة والوجود عدمًا، والبقاء فناء.

وشاهد هذه الحالة قصة صواحبات يوسف عليه السلام.

قوله: ولا بالقلوب إلَّا من جهة الإيقان.

أي لا يرى في الدنيا بالقلوب إلَّا من جهة إيقانها به يعني رؤية القلوب لله تعالىٰ في الدنيا، هو إيقانها بالله.

قوله: لأنه غايه الكرامة.

أي لأن رؤية الله تعالىٰ غاية كرامته مع العبد وأفضل نعمة عليه تعليل لقوله: لا يرى في الدنيا وغاية الكرامة[٢].

---

(١) حديث عائشة فيما رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٢٨٩) عن مسروق قال: سألت عائشة هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: سبحان الله لقد قفَّ شعري لما قلت .... الحديث».

وحديث رقم (٢٨٧) وفيه قالت: «**من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم علىٰ الله الفرية ... الحديث**».

(٢) ليست الكرامة للأولياء إلَّا تأديبًا لنفوسهم وتهذيبًا لها وزيادة لهم، وأكبر الكرامات أن تبدل خلقًا مذمومًا من أخلاق نفسك بخلق محمود.

والكرامات للأولياء والمعجزات للأنبياء وظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائزة عقلاً وصدقًا طالما أن ذلك معلق بقدرة الله تعالىٰ.

المعجم الصوفي (ص٢٠٨)

المكان، ولو أعطوا في الدنيا لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فرق، ولما منع الله سبحانه كليمه عليه السلام ذلك في الدنيا، كان من هو دونه أحرى.

وأخرى أن الدنيا دار فناء، ولا يجوز أن يرى الباقي في الدار الفانية.

ولو رأوه في الدنيا لكان الإيمان به ضرورة.

والجملة أن الله تعالىٰ أخبر أنها تكون في الآخرة ولم يخبر أنها تكون في الدنيا، فوجب الانتهاء إلىٰ ما أخبر الله تعالىٰ به.

وأفضل النعم يناسب أن يكون في أفضل المكان وهو الجنة وأيضًا لو أعطي المؤمنون في الدنيا أفضل النعم الذي هو رؤية الله تعالىٰ لكانت الدنيا جنة، لأنه ليس في الجنة نعمة أعلى وأفضل من رؤية الله تعالىٰ، وهي حاصلة في الدنيا، فتكون الدنيا جنة وحينئذ لم يبق بينهما فرق في حصول أفضل النعم لكن الله تعالىٰ وعد بأن أفضل النعم إنما يكون في الجنة في القرآن في مواضع كثيرة.

كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦] إلىٰ غير ذلك من الآيات.

قوله: وأخرى.

أي وعلة أخرى علىٰ أن الله لا يُرى في الدنيا.

قوله: لكان الإيمان به ضرورة.

فلم يكن الإيمان بالغيب لكن الإيمان بالغيب واجب وهذه الدلائل خطابية.

❊ ❊ ❊

الباب الثاني عشر
اختلاف قولهم في رؤية النبي عليه الصلاة والسلام

واختلفوا في النبي ﷺ ليلة المسرى فقال الجمهور منهم والكبار إنه لم يره محمد ﷺ ببصره ولا أحد من الخلائق في الدنيا على ما روي عن عائشة أنها قالت: **«من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد كذب»**.

منهم الجنيد، والنوري، وأبو سعيد الخراز.

وقال بعضهم رآه النبي ﷺ ليلة المسرى وأنه خُصّ من بين الخلائق بالرؤية كما خُصّ موسى عليه السلام بالكلام.

واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس ....

قوله: ليلة المسرى، أي الليلة التي أسري برسول الله ﷺ فيها، وهي ليلة المعراج[1].

قوله: واحتجوا بخبر ابن عباس.

أي واحتج البعض الذي هم قائلون بأن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة المعراج بخبر يرويه ابن عباس رضي الله عنهما وأسماء بنت أبي بكر وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«رأيت ربي ليلة المعراج»**.

---

(١) قال القاضي عياض رحمه الله: اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء، فأنكرته عائشة رضي الله عنها وعن أبي هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب رضي الله عنهما وعن أبي الحسن الأشعري وجماعه من أصحابه أنه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا، وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله تعالىٰ في الدنيا جائزه وسؤال موسى إياها دليل علىٰ جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع علىٰ ربه.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية

منهم أبو عبد الله القرشي هيكل وبعض المتأخرين[١].

قال بعضهم رآه بقلبه ولم يره ببصره واستدل بقوله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ⑪﴾ [النجم: ١١] . ولا نعلم أحدًا من مشايخ هذه العصبة المعروفين منهم والمتحققين به، ولم نر في كتبهم ولا في مصنفاتهم ولا رسائلهم ولا في الحكايات الصحيحة عنهم ولا سمعنا ممن أدركنا منهم زعم أن الله تعالىٰ يُرى في الدنيا أو رآه أحد من الخلق إلَّا طائفة لم يعرفوا بأعيانهم، بل زعم بعض الناس أن قومًا من الصوفية ادعوها لأنفسهم.

قوله: منهم أبو عبد الله هيكل القرشي.

أي من القائلين برؤية الله ربه ليلة المعراج أبو عبد الله هيكل القرشي وبعض المتأخرين.

قوله: والمتحققين به.

أي بمذهبهم.

قوله: زعم.

أي ولا نعلم أحدًا ولا سمعنا أحدًا زعم أن الله تعالىٰ يرى في الدنيا أو رآه أحد إلَّا طائفة لم يعرفوا علىٰ التعيين[٢].

قوله: ادعوها لأنفسهم.

أي ادعوا رؤية الله تعالىٰ في الدنيا لأنفسهم.

---

(١) قال النووي: وقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤيته تعالىٰ في الدنيا جائزة وسؤال موسى إياها دليل علىٰ جوازها إذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع علىٰ ربه، وقد اختلفوا في رؤية موسى عليه السلام ربه.
واختلفوا في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧﴾ [النجم: ٨] فالأكثرون علىٰ أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي ﷺ أو مختص بأحدهما من الآخر ومن سدرة المنتهى.
شرح مسلم للنووي (٣/ ٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) روى مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، حديث رقم (٢٩١) عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه».
وفي حديث رقم (٢٩٢) قال: «رأيت نورًا».

وقد أطبق المشايخ كلهم علىٰ تضليل من قال ذلك وتكذيب من ادعاه.

وصنفوا في ذلك كتبًا منهم: أبو سعيد الخراز، وللجنيد في تكذيب من ادعاه وتضليله رسائل وكلام كثير.

وزعموا أن من ادعى ذلك فلم يعرف الله عز وجل وهذه كتبهم تشهد علىٰ ذلك.

قوله: علىٰ تضليل من قال ذلك.

أي أنه يرى في الدنيا وتكذيب من ادعى رؤية الله في الدنيا لم يعرف الله ﷻ.

* * *

الباب الثالث عشر
قولهم في القدر وخلق الأفعال

أجمعوا على أن الله تعالىٰ خالق لأفعال العباد كلها كما أنه خالق لأعيانهم. وأن كل ما يفعلونه من خير وشرّ فبقضاء الله وقدره[1] وإرادته ومشيئته،

قوله: أجمعوا علىٰ أن الله تعالىٰ خالق لأفعال العباد كلها كما أنه خالق لأعيانهم وأن كل ما يفعلونه من خير أو شرّ فبقضاء الله وقدرته وإرادته.

القضاء هو وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ إجمالًا، والقدر هو تفصيل قضائه السابق بإيجادها في المواد الخارجية واحدًا بعد واحد في وقت تعلق العلم الأزلي به.

والإرادة ميل ينبعث عن النفس يوجب ترجح أحد طرفي الممكن علىٰ الآخر، والاختيار قريب منه إلَّا من الميل، فكأنه مع ملاحظة الطرف الآخر، أي ينظر إلىٰ كلا الطرفين، ويميل إلىٰ أحدهما.

واتفق أهل السُّنّة علىٰ أن كل ما يفعله العباد من خير وشرّ فبقضاء الله تعالىٰ وقدرته وإرادته[2] فهو مريد بجميع الكائنات خيرًا وشرًّا .

---

(١) قال النووي: اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة.

فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها سبحانه وتعالى، وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه وتعالى بها، وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا علىٰ الله سبحانه وتعالى وجل عن أقوالهم الباطله علوًا كبيرًا وسميت هذه الفرقه قدرية لإنكارهم القدر.

شرح مسلم للنووي (١/١٣٨) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قال عمر بن الخطاب ﷺ يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أعلى أمر قد فرغ منه أو أمر مبتدأ؟ =

ولولا ذلك لم يكونوا عبيدًا، ولا مربوبين ولا مخلوقين.

وقال جل وعز: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، ....

(الخير يرضاه والشر لا يرضاه)[1]، وذهبت المعتزلة إلىٰ أن الله تعالىٰ لا يريد الشر سواء وقع أو لا، ويريد الخير سواء وقع أو لا.

وهذا مبني علىٰ أنَّ الحسن والقبح عقليان.

وقد أبطلناه في شرحنا لأصول ابن الحاجب.

واستدل صاحب الكتاب علىٰ ما ادعاه بدلائل، ونحن نوضح ما فيه خفاء منها، ولا نريد عليه منها ما قاله: **ولولا ذلك** أي ولو لم يكن أفعال العباد بخلق الله وإرادته[2] **لم يكن العباد عبيدًا ولا مربوبين ولا مخلوقين**، لأن العبيد والمربوبين والمخلوقين ليسوا بمختارين مستقلين من عند أنفسهم في الأفعال والتربية والخلقة كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ والآيتان، وهما ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ يدلان علىٰ أن الله خالق جميع أفعال

=

فقال: علىٰ أمر قد فرغ منه، فقال عمر: أفلا نتكل وندع العمل، فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

وسئل النبي ﷺ: أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به هل يرد من قدر الله؟ قال: إنه من قدر الله، وقال: والله لا يؤمن أحد حتى يؤمن بالله وبالقدر خيره وشره من الله، وسر القدر ما علمه الله عن كل عين في الأزل مما انطبع فيها من أحوالها التي تظهر عليها وجودها.

المعجم الصوفي (ص١٩٨، ١٩٩)

(١) وجدناه بالهامش.

(٢) الإرادة صفة تجلي علم الحق علىٰ حسب المقتضى الذاتي وذلك المقتضى هو الإرادة وهو تخصيص الحق تعالىٰ لمعلوماته بالوجود علىٰ حسب ما اقتضاه العالم فهذا الوصف فيه يسمى إرادة، والإرادة المخلوقة فينا هي عين إرادته تعالىٰ وبنسبة إرادتنا إلىٰ الله تعالىٰ وهي عين إرادته وما منعها من إبراز الأشياء علىٰ حسب مطلوباتها إلَّا نسبتها إلينا وهذه النسبة هي المخلوقية كما أن وجودنا بنسبته إلينا مخلوق وبنسبته إلىٰ اللّه تعالىٰ قديم وهذه النسبة هي الضرورية التي يعطيها الكشف والذوق إذ العلم قائم مقام العين.

المعجم الصوفي (ص١٩)

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القَمَر: ٥٢].

فلما كانت أفعالهم أشياء ويجب أن يكون الله خالقها ولو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله جل وعز خالق بعض الأشياء دون جميعها.

ولكان قوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] كذبًا، تعالىٰ الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ومعلوم أن الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله تعالىٰ خالق الأعيان والعباد خالقي الأفعال لكان الخلق أولى بصفة المدح في الخلق من الله تعالىٰ ولكان خلق العباد أكثر من خلق الله، ولو كانوا كذلك لكانوا أتم قدرة من الله تعالىٰ وأكثر خلقًا منه.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرّعد: ١٦]، فنفى أن يكون خالقًا غيره، وقال الله

العباد، خير وشرّ لأن الله خالق كل شيء.

ومن جملة الأشياء أفعال العباد، فهو خالقها.

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢﴾ [القَمَر: ٥٢] يدل علىٰ أن كل ما فعله قوم مخصوصون في اللوح المحفوظ[1] فيكون مخلوقًا لله تعالى، وفيه نظر، لأنه لا يدل علىٰ أن فعلهم بخلق الله فيهم.

قوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، **فنفى أن يكون غير الله خالقًا**، وهذا رد علىٰ المشركين، فإنهم جعلوا لله شركاء، بأنه لو كان لله شركاء خلقوا كخلقه لصارت المخلوقات مشتبهه علىٰ المشركين بمعنى أنهم لا

---

(١) اللوح المحفوظ: نور إلهي حقي متجلّ في مشهد خلقي انطبعت الموجودات فيه انطباعًا أصليًا فهو أم الهيولى لأن الهيولى لا تقتضي صورة إلا وهو منطبع في اللوح المحفوظ، وعلم اللوح المحفوظ نبذه من علم الله أجراه الله علىٰ قانون الحكمة الإلهية علىٰ حسب ما اقتضته الحقائق والحقية وجميع ما في اللوح المحفوظ هو علىٰ مبدأ الوجود الحسي إلىٰ يوم القيامة.
المعجم الصوفي (ص٢١٤)

تعالىٰ: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٨] فأخبر أنه قدَّر سير العباد.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

وقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق: ٢] فدل أن مما خلق شرًّا وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]، أي خلقنا الغفلة فيه.

يدرون مخلوق الله ولا يميزونه من مخلوق شريكه، لكن الله خالق كل شيء، لقوله تعالىٰ لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فإذا كان خالقًا لكل شيء لا يكون له شريك، فمن جوز خالقًا غير الله فقد جوز له شريكًا.

قوله: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٨].

فأخبر أنه قدر سير العباد، فلو كان سيرهم بخلقهم لما صدق **قوله:** ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٨] . وفيه نظر لأنه يجوز أن يكون معناه، وقدرنا سيركم الذي هو فعلكم، فلا يلزم أن يكون سيرهم مخلوق الله تعالىٰ وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

يدل علىٰ أن الله خالق ما يعمله العباد من خير وشرّ[1].

وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق: ٢] يدل علىٰ أن مما خلق الله شرًّا فيه نظر، لأنه يدل علىٰ صدور الشرّ مما خلقه الله.

قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا﴾ [الكهف: ٢٨]، يعني لا تطع من خلقنا الغفلة في قلبه عن ذكرنا وتوحيدنا فأضاف الإغفال إلىٰ نفسه.

والإغفال المذكور يوجب العذاب عند المعتزلة.

وما هو موجب للعذاب فهو قبح وشرّ، فدل علىٰ أن مما خلقه الله شرًّا.

---

(١) يقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] فهو ملك لله تعالىٰ يفعل ما يشاء، ولا اعتراض علىٰ المالك في ملكه ولأن الله تعالىٰ لا علة لأفعاله.
ومذهب أهل السنة اثبات القدر وأن جميع الواقعات بقضاء الله تعالىٰ وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها.

وقال: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾، فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم خلق له.

وقال عمر ﷺ: يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أعلى أمر قد فرغ منه أو أمر مبدأ، فقال ﷺ: «**على أمر قد فرغ منه**».

فقال عمر: أفلا نتكل؟

فقال ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[1].

وسئل النبي ﷺ: «**أرأيت رقى نسترقيها** ....

قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [المُلك: ١٤]، فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم خلق له بقوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [المُلك: ١٤]، أي كيف لا يعلم قولهم وسرهم وجهرهم من خلقها، أي من هو خالقها.

قوله: أفلا نتكل، أي أفلا نعتمد على ما قضى وفرغ منه ونترك العمل.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[2].

أي فكل شخص موفق لشيء خلق لذلك الشخص من الخير والشرّ.

قوله: أرأيت، أي أخبرني.

رقى جمع رقية، وهي ما يقرأ لطلب الشفاء والاسترقاء طلب الرقية.

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه (٦/ ٢١١، ٢١٢) ومسلم في القدر حديث رقم (٦، ٧، ٨)، وأبو داود في سننه كتاب السنة باب (١٦)، والترمذي في سننه (٢١٣٦، ٣٣٤٤)، وأحمد في مسنده (١/ ٨٢، ١٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٤/ ٢٨٠، ٧/ ١٤٠)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٨٥)، وابن حبان في صحيحه (١٨٠٩ أ الموارد).

(٢) الحديث تقدم تخريجه وقال النووي: قال الإمام أبو المظفر السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف فقد ضل وتاه في بحار الحيره ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب، لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة.
هذا الكلام وما قبله في شرح مسلم (١٦/ ١٦٠) طبعة دار الكتب العلمية

ودواء نتداوى به هل يرد من قدر الله؟».

قال ﷺ: **«إنه من قدر الله»**[١].

وقال ﷺ: **«والله لا يؤمن أحد حتى يؤمن بالله وبالقدر خيره وشرّه من الله»**[٢]، ولما جاز أن يخلق الله تعالىٰ العين الذي هو شرّ جاز أن يخلق الفعل الذي هو شرّ ومجمع علىٰ أن حركة المرتعش خلق الله، فكذلك حركة غيره. غير أن الله تعالىٰ خلق لهذا حركة واختيارًا، وخلق لِلآخرة حركة ولم يخلق له اختيارًا.

وقال أبو بكر الواسطي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الأنعام: ١٣].

قال: من ادعى شيئًا من ملكه وهو ما سكن في الليل والنهار من خطرة[٣]

بيّن الرسول عليه الصلاة والسلام أن المسترقي والمتداوي لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا إلَّا ما قدر لهم، فكما أن نفس هذا الفعل بقدر الله، فكذلك نفعه وضره أيضًا بقدر الله.

قوله: ولما جاز أن يخلق الله تعالىٰ العين الذي هو شرّ مثل إبليس، **جاز أن يخلق الفعل الذي هو شرّ** كالكفر وسائر المعاصي.

قوله: وقال ابو بكر الواسطي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الأنعام: ١٣]: **من ادعى شيئًا من ملكه وهو ما سكن في الليل والنهار من خطرة**، أي من خطرة باطن أو حركة أي حركة ظاهر أنها له، أي ملكًا أو به أي قيامًا، أو إليه أي رجوعًا.

---

(١) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٣/ ٤٢١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٩).

(٢) انظر حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب في سؤاله النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وفيه **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.

(٣) الخطرة ما يطرأ علىٰ القلب ويذهب فورًا، والخطور أن تطرأ الفكرة علىٰ القلب، وجعلوا خطرة الواجب للحق، والخطرة الحرام للشيطان، والخطرة المندوبة - التي تستحث علىٰ الطاعات وترغب في الخيرات - للملك، وخطرة الشهوات والملذات للنفس، والخطرات جمع خطرة وهي كل ما يمر في القلب من أحكام الطريقة.

المعجم الصوفي (ص٩٠)

وحركة أنها له أو به أو إليه أو منه فقد جاذب القبضة وأوهن العزة.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] . خلق إيجاد وأمر إطلاق ما لم يأمر الجوارح أمر إطلاق لم توافقه في شيء كذلك المخالفة.

وههنا لفظ آخر وهو منه أي ابتداء ووجودًا، ولم يذكره صاحب الكتاب، فقد جاذب القبضة وأوهن العزة[1]، لأن قوله تعالىٰ: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣] .

يدل علىٰ أن كل ما سكن فيهما ملك الله تعالىٰ، لأن اللام في له لام الملك، فمن ادعى شيئًا منه لنفسه فقد قصد أن يجذبه من قبضة الله تعالى، وأوهن عزته.

وهذا يدل علىٰ أن أفعال العباد خلق لله تعالىٰ.

قوله: وفي قوله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

خلق إيجاد وأمر إطلاق، عطف علىٰ قوله في قوله تعالىٰ أي قال أبو بكر الواسطي في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] الخلق ههنا خلق إيجاد والأمر أمر إطلاق، أي يختص به كل خلق إيجاد، وليس لغيره ذلك[2].

والذي يدل علىٰ هذا المعنى تقديم له علىٰ الخلق الذي للعموم.

ويريد بأمر الإطلاق ههنا أن يطلقه عن القيد ليفعل العبد ما يطلقه عنه، فلا يفعل العبد إلَّا بإطلاق الله إياه معنى الآية: كما خلقتك ولم تقدر أن تكون غيره، فكذلك أطلقتك لتفعل شيئًا ولم تقدر أن تفعل غير ما أطلقتك عنه فهذا يدل أيضًا علىٰ أن الله تعالىٰ خالق أفعال العباد.

❊ ❊ ❊

---

(١) لا يستقل بالعز من دون الله شيء ولا يصلح العز من دون الله لشيء والله هو العزيز الذي لا يستطاع مجاورته ولا ترام مداومته ولو أبدى الله لغة العز لخطفت الأفهام، ولو نطق ناطق العز لصمتت نواطق كل وصف.

المعجم الصوفي (ص١٧٤)

(٢) واجبنا أن نقف في القضاء والقدر حيث حد لنا ولا نتجاوزه وقد طوى الله تعالىٰ علم القدر علىٰ العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٦٠) طبعة دار الكتب العلمية

الباب الرابع عشر
قولهم في الاستطاعة

أجمعوا أنهم لا يتنفسون نفسًا، ولا يطرفون طرفة ولا يتحركون حركة إلَّا بقوة يحدثها الله تعالىٰ فيهم واستطاعة يخلقها الله لهم مع أفعالهم لا يتقدمها ولا يتأخر عنها، ولا يوجد الفعل إلَّا بها ولولا ذلك لكانوا بصفة الله تعالىٰ يفعلون ما شاؤوا ويحكمون ما أرادوا.

قوله: قولهم في الاستطاعة

وتحقيق القول فيها مسبوق بتفسير الاستطاعة أي القدرة.

قال الأشعري[1]: إنها الحالة التي يكون الفاعل عليها عند صدور الفعل عنه، وعليه أكثر أهل السُّنّة. وهي بهذا التفسير لا تكون إلَّا مع الفعل، لا تتقدم عليه ولا تتأخر عنه، والفعل أعم من أن يكون كف النفس أو غيره، ولا يلزم منه إلَّا أن يكون العبد مكلفًا قبل الفعل لعدم القدرة لأن القدرة شرط للتكليف التنجيزي، لا لمطلق التكليف.

والتكليف التنجيزي إنما يكون مع القدرة وسائر ما لا بد له في الفعل.

وقالت المعتزلة: إنها سلامة آلات الفعل من الأعضاء والقوى، (بخلاف تفسير الأول فإنه تكون مشتركة بين الله وبين العباد)[2].

---

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري كان أبوه سنيًا جماعيًا حديثيًا أي علىٰ مذهب أهل السنة والجماعة والحديث، وكان ميلاده بالبصرة سنة (٢٦٠) هـ وسكن بغداد وتوفي بها سنة (٣٣٦).

وكان أول أمره معتزليًا وأخذ عن معتزلة البصرة وعلى رأسهم الجبائيّ وانشق عنهم وله مناظرات مع الجبائي مشهورة وفيها يقطع الأشعري الجبائي ودحض الأشعري ناصية أوله السمع والعقل التي ينكر بها المعتزلة رؤية الله في الدنيا والآخرة وقال في أفعال الإنسان علىٰ عكس المعتزلة وأنها مخلوقة لله وليس للإنسان فيها عند اكتسابها وأن الفاعل الحقيقي هو الله وقال إن الإنسان يستطيع باستطاعة هي غيره وغير ذلك الكثير.

(٢) بالهامش.

....

والقدرة بهذا التفسير مختصة بالعباد وتكون قبل الفعل ومعه وبعده.

ومن قال الفعل يقع بمجموع القدرتين أي قدرة الله وقدرة العبد، قال: القدرة قوه يمكن بها الحي من الفعل والترك.

ولا شك أن القدرة بالوجوه الثلاثة لا تكون بقدرة العبد وإرادته لأنه متى زالت بعلة لمرض أو غيره لا يتمكن من تحصيلها بنفسه، بل بقدرة[1] الله تعالىٰ ومشيئته، بأن يخلق في العبد قوة التمكن علىٰ الفعل.

والإرادة التي قد عرفتها لابد وأن تكون تابعة للشعور بالمصلحة.

وأصل الشعور أيضًا ليس بقدرة العبد واختياره، بل بخلق الله تعالىٰ وإرادته.

وإذا كان القدرة أي القوة التي يفعل بها العبد، وأصل إرادته وشعوره بخلق الله تعالىٰ وإرادته والآت أفعاله وخواصها، وقبول قوابلها أيضًا بقدرة الله تعالىٰ وإرادته.

ثبت أن العبد يفعل بقوة محدثة، وهو معنى الكسب فإن قيل: متى كانت القدرة والإرادة والشعور والآت والقوابل بخلق الله تعالى، والفعل إنما يحصل من هذا المجموع[2]، فمتى ثبت هذا المجموع حصل الفعل، ومتى لم يثبت فلا يمكن إسناد الفعل إلىٰ العبد بأنه يفعل بقوة محدثة.

---

(١) جمهور الماتريدية توسطوا في المسألة فقالوا بإثبات الاستطاعة قبل الفعل ومعه فقالوا بأن الاستطاعة تقع علىٰ نوعين الأولى: سلامة الأسباب والآلات وهي تتقدم الفعل، الثانية: الاستطاعة التي يتهيأ بها الفعل وهي تتقدم الفعل.

قال الماتريدي: الأصل عندنا في المسمى باسم القدرة أنها علىٰ قسمين أحدهما سلامة الأسباب وصحة الآلات وهي تتقدم الأفعال والثاني معنى لا يقدر علىٰ تبين حده بشيء يصار إليه سوى أنه ليس إلا للفعل لا يجوز وجوده بحال إلا ويقع به الفعل عندما يقع معه.
انظر كتاب التوحيد (ص٢٥٦، ٢٥٧)

(٢) قال الطحاوي رحمه الله: والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف به المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب.

انظر شرح الطحاوية (ص٤٩٩)

....

والجواب أنه لا شك أن القدرة والإرادة والشعور بخلق الله وإرادته، لكن لا يحصل الفعل إلَّا بعد أن صمم عزم العبد علىٰ الفعل[1]، وهذا القدر كاف في إضافة الفعل إليه، وكونه مخاطبًا عن الله تعالى، لأنه حصل الفعل بسبب جزم عزمه، وأيضًا أن العبد محل تلك القوة.

ويصح نسبة الفعل إلىٰ محل ما هو مؤثر، كما أنه يصح نسبة الإحراق إلىٰ النار لكونها محلًّا للحرارة التي خلقها الله فيها، مع أن الإحراق بالحقيقة فعل الحرارة.

فثبت أن العبد يفعل بقوة محدثة، وتلك القوة لمّا كانت عرضًا، والعرض لا يبقى بنفسه، ولا ببقاء فيه عند أهل السُّنّة، لأن ما لم يقمْ بنفسه لا يقوم به غيره، ولا يبقى ببقاء في غيره، لأن بقاء غيره ليس ببقاء له بطل أن يكون لتلك القوة بقاء.

وإذا كان كذلك وجب أن تكون قوة كل فعل غير قوة غيره، فثبت أن العبد محتاج إلىٰ الله في جميع حالاته بل كل ممكن كذلك، لأن علة احتياجه إمكانه، وهو لا ينفك عنه في وقت ما ولا في حال ما، وإلَّا لزم الانقلاب، فصح إجماعهم علىٰ أنهم لا يتنفسون نفسًا ولا يطرفون طرفة ولا يتحركون حركة ولا يسكنون سكونًا إلَّا بقوة يحدثها الله تعالىٰ فيهم.

ولا يوجد الفعل إلَّا بها، ولولا أن الفعل وجد من العبد بتلك القوة، بل بقوة له غير مخلوقه لله تعالىٰ لكانوا بصفة الله يفعلون ما شاؤوا، ويحكمون ما أرادوا، والواقع ليس كذلك.

---

(١) والذي قاله عامة أهل السنة إن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي وهذه قد تكون قبله لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بدّ أن تكون مع الفعل لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة، وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع والتمكن من سلامة الآلات فقد تتقدم الأفعال وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

وانظر شرح الطحاوية (ص٤٩٩، ٥٠١)

ولم يكن الله القوي القدير بقوله: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أولى من عبد حقير ضعيف فقير.

ولو كانت الاستطاعة هي الأعضاء السليمة لاستوى في الفعل كل ذي أعضاء سليمة، فلما رأينا ذوي أعضاء سليمة ولم نر أفعالهم، ثبت أن الاستطاعة[1] ما يرد من القوة على الأعضاء السليمة، وتلك القوة متفاضلة في

وأيضًا لم يكن الله تعالىٰ القوي القدير بأولى من العبد **بقوله**: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، لكون كل منهما أي من الله ومن العبد يفعل بقدرته **ولو كانت الاستطاعة**[2] **هي سلامة الأعضاء** والقوى كما هو مذهب المعتزلة **لاستوى في الفعل** من كانوا بهذه الصفة لاستوائهم في عله الفعل.

وليس كذلك لأنه يحمل شخص سليم الأعضاء، والقوى عشرة أمنانٍ، ويحمل آخر بهذه الصفة مائة منٍّ وأكثر وأيضًا لو كانت الاستطاعة ما ذكروه لم يتخلف الفعل عن ذوي الأعضاء السليمة متفاضلة في الزيادة والنقصان، وفي وقت دون وقت.

---

(١) الاستطاعة والقدرة والطاعة والوسع ألفاظ متقاربة المعنى وضدها العجز، عرفها المتكلمون بأنها صفة وجودية يأتي معها الفعل بدلًا عن الترك والترك بدلًا عن الفعل.

ومسألة الاستطاعة والقدرة من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الفرق الإسلامية تبعًا للخلاف الواقع في القدر فالذين قالوا بالجبر وهم الجهمية ومن وافقهم قالوا بنفي الاستطاعة لا مع الفعل ولا قبله وذلك لأن العبد عندهم لا اختيار له والذين قالوا بنفي القدرة وأن العبد خالق لفعله وهم المعتزلة ومن وافقهم اثبتوا الاستطاعة قبل الفعل ونفوا أن تكون معه.

والذين قالوا بالكسب وهم الأشاعرة ومن وافقهم قالوا بأن الاستطاعة تكون مع الفعل لا قبله.

انظر الانصاف (ص٤٦)

(٢) الصوفية أجمعوا أنهم لا يتنفسون نفسًا ولا يطرفون طرفة ولا يتحركون إلا بقوة يحدثها الله تعالىٰ فيهم، واستطاعة يخلقها الله تعالىٰ علىٰ أفعالهم لا يتقدمها ولا يتأخر عنها ولا يوجد الفعل إلّا بها.

ولولا ذلك لكانوا بصفة الله تعالىٰ يفعلون ما يشاؤون ويحكمون ما أرادوا، ولم تكن للخلق حاجة إلىٰ الله تعالىٰ عند أفعالهم، ولا كانوا فقراء إليه، ولكان قولهم: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] لا معنى له.

المعجم الصوفي (ص٢١)

الزيادة والنقصان، ووقت دون وقت، وهذا يشاهده كل من نفسه.

ثم لما كانت القوة عرضًا، والعرض لا يبقى بنفسه ولا ببقاء فيه، لأن ما لا يقوم بنفسه ولا يقوم به غيره لا يبقى ببقاء في غيره، لأن بقاء غيره ليس ببقاء له، بطل أن يكون له بقاء، وإذا كان كذلك وجب أن تكون قوة كل فعل غير قوة غيره، ولولا ذلك لم يكن للخلق حاجة إلىٰ الله تعالىٰ عند أفعالهم ولا كانوا فقراء إليه.

ولكان قوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لا معنى له ولو كانت القوة قبل الفعل وهي لا تبقى لوقت الفعل لكان الفعل بقوة معدومة.

قوله: ولولا ذلك لم يكن للخلق حاجة إلىٰ الله.

يعني لو كانت الاستطاعة ما ذكروه، فإذا حصل لم يكن الخلق محتاجًا إلىٰ الله عند أفعالهم فيفعلون ما يريدون ولم يكونوا محتاجين إليه.

وليس كذلك، ولكان قوله تعالىٰ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] لا معنى له، لأنه علىٰ تقدير أن يكون الاستطاعة ما ذكروه، فإذا حصلت حصلت علة الفعل.

فلا معنى للاستعانه بغير في فعلٍ عند حصول علته والمعتزلة يستدلون بهذه الآية علىٰ نفي مذهب الجبر[١] بأنه لو وقع الفعل بتأثير قدرة الله تعالىٰ وإرادته فقط ولم يكن للعبد مدخل فيه لما كان للاستعانة من الله تعالىٰ معنى.

قوله: وهي لا تبقى لوقت الفعل.

بناء علىٰ أن القوة عند أهل السُّنّة لا تبقى زمانين لأنها عرض.

---

(١) الجبرية والقدرية متقابلان تقابل التضاد، والجبرية قالوا بالإجبار والاضطرار في الأعمال وأنكروا الاستطاعات كلها وأن لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلىٰ المخلوقين علىٰ المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا به وهذا مذهب الجبرية الخالصة كالجهمية والضرارية والنجارية.

وهناك جبرية متوسطة كالأشعرية قالوا: أفعال العباد مخلوقة لله وليس للإنسان وفيها غير اكتسابها أي أن الفاعل الحقيقي هو الله.

موسوعة الفرق والجماعات (ص١٣٥، ١٣٦)

ولو كانت كذلك لكان وجود الفعل من غير قوة وفي ذلك إبطال الربوبية والعبودية جميعًا، لأنه لو كان كذلك لكان يجوز وقوع فعل من غير قوي.

ولو جاز ذلك لجاز أن يكون وجودها بأنفسها من غير فاعل.

وقد قال الله تعالىٰ في قصة موسى والعبد الصالح ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

يريد لا تقوى عليه.

قوله: وفي ذلك إبطال الربوبية والعبودية جميعًا.

لأنه حينئذ يجوز وجود الفعل من غير علة، لأن التقدير أن القوة التي هي علة الفعل معدومة عند الفعل، والفعل حاصل، فيكون الفعل حاصلًا بنفسه، وإذا جاوز وجود ممكن بنفسه لأنه يثبت أن يكون الله تعالىٰ موجودًا لأن إثباته تعالىٰ يتوقف علىٰ احتياج الممكن الموجود إلىٰ علة غيره، فلو وقع الممكن بنفسه لم يكن محتاجًا إلىٰ الله تعالىٰ ولم يثبت الله تعالىٰ لنا فيبطل الربوبية والعبودية جميعًا.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قد حكى الله في هذه الآية عن الخضر بأنه قال لموسى عليهما السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، فنفى استطاعة الصبر عن موسى عليه السلام، لا نفس الصبر، فلو كانت الاستطاعة سلامة الأعضاء والقوى وهي حاصله لموسى عليه السلام، حينئذ فيكون الخضر[1] عليه السلام كاذبًا، والنبي لا يكذب، وتسليم موسى

---

(١) جمهور العلماء علىٰ أنه حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر.

قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم في ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين، قال الحبري المفسر وأبو عمر وهو نبي واختلفوا في كونه مرسلًا وقال القشيري وكثيرون هو ولي.

شرح مسلم للنووي (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية

وأجمعوا أن لهم أفعالًا واكتسابًا علىٰ الحقيقة هم بها مثابون وعليها معاقبون، ولذلك جاء الأمر والنهي، وعليه ورد الوعد والوعيد ومعنى الاكتساب أن يفعل بقوة محدثة.

عليه السلام لقوله الكاذب تسليم لكذب، وهو لا يجوز عند المعتزلة أيضًا.

فثبت أن الاستطاعة غير ما ذكروه، بل هي القوة التي يحدثها الله تعالىٰ مع الفعل.

وتلك القوة لما كانت معدومة عند الصبر فنفاها لا نفس الصبر.

(الجبر المحض باطل، وضده وهو القول بالاختيار المحض باطل أيضًا.

والحق أمر بين أمرين وأن الأمر مزج أي لابد من اعتبار الأمرين جميعًا، أعني السبب الأول والآخر، فلهذا حصل أمر وسط ممتزج وهو اختيار ممزوج بجبر وغيره من ذلك الكسب، وقد يعبر عنه بأنه فعل بين ناقلين، أو مقدور بين قادرين، وقد يعبر الغالب منهما، فيثبت الفعل ويبقى عن المغلوب.

نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] حيث أثبت له الرمي ونفاه عنه، وأثبته لله تعالىٰ فإذا نسب الفعل إلىٰ القدرة القديمة سمي خلقًا والقادر كالقادر إذا نسب إلىٰ القدرة الحادثة سمي كسبًا، والقادر كاسبًا، ولا بدّ من الاعتراف بالكسب تصحيحًا للأمر والنهي والوعد والوعيد[١] والثواب والعقاب لامتناع الجمع بين اعتقاد الجبر المحض وصحة التكليف إلاَّ بضرب من التعسف. القونوي)[٢].

قوله: ولذلك جاء الأمر والنهي.

أي ولأجل أن للعباد أفعالًا واكتسابًا علىٰ الحقيقة جاء الأمر والنهي، وعلى

---

(١) قالت المعتزلة في مبدأ الوعد والوعيد وهو من أصول مذهبهم: إن الله صادق فيهما ولا يمكن أن يغفر الكبائر إلَّا بعد التوبة فإذا مات العبد علىٰ الطاعة والتوبة استحق الثواب، وإلَّا فهو يعذب عذاب الكفار وذلك هو عدل الله، ومن ثم أنكروا الشفاعة تتعارض مع الوعد أو الوعيد وتنفي العدل عن الله لأنه إذا كان العبد ينجو بالشفاعة وليس بعمله فلا معنى له أو وعيد وليس ثمة مضمون للعدل.

موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٩)

(٢) وجدناه بالهامش.

وقال بعضهم: معنى الاكتساب أن يفعل لجر منفعة أو دفع مضرة.

لقوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأجمعوا أنهم مختارون لاكتسابهم مريدون له وليسوا بمحمولين عليه ولا مجبرين فيه ولا مستكرهين له.

ومعنى قولنا مختارون أن الله تعالىٰ خلق لنا اختيارًا، فانتفى الإكراه فيها،

تقدير مجيء الأمر والنهي ورد الوعد والوعيد، أو علىٰ الفعل ورد الوعد والوعيد.

وقيل **معنى الاكتساب أن يفعل** العبد بقوة محدثة **لجر منفعة أو دفع مضرة**، لأن الله تعالىٰ ربط الثواب والعقاب بالكسب في قوله تعالىٰ: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي ما كسبت النفس من الخيرات ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي من المعاصي.

فعُلم أن العبد إنما سمي كاسبًا لأن فعله لجر المنعة أو دفع المضرة.

والكسب بالتعريف الأول أعم، لأن الفعل بقوة محدثة أعم من أن يكون لجر منفعة أو دفع مضرة أو لا.

والكسب بالتعريف الثاني لا يشمل كسب أهل المعرفة لأنهم لا يفعلون فعلًا لطمع ثواب من الله ولا لخوف عقاب منه، بل يفعلون لأنه أمر الله تعالى[1]، ونظرهم مقصور علىٰ ذلك فقط، ومع ذلك بعضهم يلاحظ أنه غير لائق بحضرته تعالىٰ وبعضهم لا يلاحظ، فيكون فعلهم بحسب اعتقادهم بالنسبة إلىٰ حضرته جل ذكره.

قال القونوي: للفعل إضافتان مختلفتان، إضافة إلىٰ الله، وإضافة إلىٰ العبد.

مثاله: إذا ولد مولود فالله خالقه وأنا والده، فالإضافتان من غير لزوم إشراك.

---

(١) في مبدأ العدل عن المعتزلة قالوا عن الباري تعالىٰ حكيم عادل لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يريد ويحكم عليهم شيئًا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر والإيمان والكفر والطاعة والمعصية وهو المجازى علىٰ فعله والرب تعالىٰ أقدره علىٰ ذلك كله فهم لذلك القدرية.

انظر موسوعة الفرق والجماعات (ص٣٥٩)

وليس ذلك علىٰ التفويض[١].

وقد يقع في كلام بعض العارفين ما يوهم الجبر[٢] من نفيهم الاختبار والفعل عن أنفسهم.

ومرادهم عدم الملاحظة لذلك لاستغراقهم في النظر إلىٰ ما منه تعالىٰ لا إلىٰ ما منهم[٣].

قوله: وليس ذلك علىٰ معنى التفويض.

أي ليس خلق الاختيار فينا علىٰ معنى تفويض الله الفعل إلينا لنفعله كيف نشاء، لأنا حينئذ لا نثاب بفعل ما فوض إلينا ولا نعاقب بتركه قوله: قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الله تعالىٰ لا يطاع بإكراه، ولا يعصى بغلبة، ولم يهمل العباد من المملكة.

أما الأول: فلأن الإكراه علىٰ الطاعة إنما يكون بالنسبة إلىٰ من له حاجة بها، والله غني عنها.

ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

وأما الثاني: فلأنه لو كانت المعصية من غير إرادة الله تعالىٰ وقضائه، بل بإرادة

---

(١) التفويض والتسليم واحد وبينهما فرق يسير وهو أن المسلم قد لا يكون راضيًا بما يصدر إليه ممن سلم إليه أمره وهما أي التسليم والتفويض قريبان من الوكالة والفرق بين الوكالة وبينهما أن الوكالة فيها رائحة من دعوى الملكية للموكل فيما وكل فيه الوكيل، بخلاف التسليم والتفويض فإنهما خارجان عن ذلك.

المعجم الصوفي (ص٥٣)

(٢) معنى الإجبار أن يستكره الفاعل علىٰ إتيان فعل هو له كاره ولغيره مؤثر، فيختار المجبر إتيان ما يكرهه ويترك الذي يحبه، ولولا إكراهه إياه لفعل المتروك وترك المفعول، ولم نجد هذه الصفة في اكتساب الإيمان والكفر والطاعة والمعصية بل يختار المؤمن الإيمان ويحبه ويريده ويؤثره علىٰ ضده ويكره الكفر ويستقبحه والله خلق له الاختيار والاستحسان والإرادة للإيمان والبغض والكراهية والاستقباح للكفر، وليس المؤمن ولا الكافر بممنوع عن ضد ما اختاره ولا بمجبور علىٰ ما اكتسبه ولذلك رجحت حجة الله عليهم ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦].

المعجم الصوفي (ص٦٤)

(٣) وجدناه بالهامش.

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الله تعالىٰ لا يطاع بإكراه ولا يعصى بغلبة، ولم يهمل العباد من المملكة.

وقال سهل بن عبد الله: إن الله تعالىٰ لم يقو الأبرار بالجبر، إنما قواهم باليقين.

وقال بعض الكبراء: من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن أحال المعاصي علىٰ الله فقد فجر.

العبد لكان العبد غالبًا علىٰ الله تعالىٰ لكنه مغلوب.

وأما الثالث: فلأن العباد لو أهملوا من المملكة ليفعلوا ما يشاءون لكان الله تعالىٰ غافلًا.

إذ لا معنى لإهماله إلَّا هذا، ولا يجوز الغفلة علىٰ الله تعالىٰ.

وحاصل هذه الثلاثة أن المكره ظالم، والمغلوب عاجز، والمهمل غافل، ولا يجوز شيء منها علىٰ الله تعالىٰ، فلا يطاع بإكراه . . . إلىٰ آخره.

قوله: قال بعض الكبراء: من لم يؤمن بالقدر فقد كفر، ومن أحال المعاصي علىٰ الله فقد فجر.

يعني ينبغي أن يرى العبد التقدير من الله تعالى، والمعصية من نفسه لا من الله، فلو اعتقد أن كل ما صدر عنه ليس بتقدير الله بل من نفسه، فقد كفر لأن الإيمان بالتقدير واجب، ومن أحال المعاصي علىٰ الله فقد عابه فكذب.

وبالجملة العبد ينبغي أن ينظر إلىٰ نفسه بالعيب والتقصير وإلى الله بالتنزيه والمنة.

❋ ❋ ❋

الباب الخامس عشر
قولهم في الجبر

وأحال بعضهم الجبر وقال: لا يكون الجبر إلّا بين الممتنعين، وهو أن يأمر الآمر ويمتنع المأمور فيجبره الآمر عليه[1].

ومعنى الإجبار أن يستكره الفاعل علىٰ إتيان فعل هو له كاره، ولغيره مؤثر فيختار المجبر إتيان ما يكرهه ويترك الذي يحبه، ولولا إكراهه له وإجباره إياه لفعل المتروك وترك المفعول، ولم نجد هذه الصفة في اكتسابهم الإيمان والكفر والطاعة والمعصية، بل اختار المؤمن الإيمان وأحبه واستحسنه وأراده وآثره علىٰ ضده، وكره الكفر وأبغضه واستقبحه ولم يرده وآثر عليه ضده[2].

والله خلق له الاختيار والاستحسان والإرادة للإيمان والبغض والكراهة والاستقباح للكفر.

قال الله تعالىٰ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

واختار الكافر الكفر واستحسنه وأحبه وأراده وآثره علىٰ ضده.

قوله: والله خالق ذلك له، أي خالق الاختيار والاستحسان والإرادة للكفر والإيمان والبغض والكراهية والاستقباح للإيمان.

---

(١) الجبرية فرقة من المتصوفة غلطت في عين الجمع فلم يضيفوا إلىٰ الخلق ما أضاف الله تعالىٰ إليهم ولم يصفوا أنفسهم بالحركة فيما تحركوا فيه وظنوا أن ذلك منهم احتراز حتى لا يكون مع الله شيء سوى الله فقالوا إنهم مجبرون علىٰ حركاتهم حتى أسقطوا اللائمة عن أنفسهم عند مجاوزة الحدود ومخالفة الاتباع، وقالوا: إنهم معذورون فيما هم عليه مجبرون.
المعجم الصوفي (ص٦٤)

(٢) قالوا إن الجبرية هي عكس القدرية حيث إن القدرية تقول: إن الله تعالىٰ غير خالق لأكساب الناس ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وأن الناس هم الذين يقدرون علىٰ أكسابهم، وأنه ليس لله ﷻ في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير ولأجل هذا سماهم المسلمون قدرية.

وكره الإيمان وأبغضه واستقبحه ولم يرده وآثر عليه ضده، والله تعالىٰ خلق ذلك كله.

قال الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وليس أحدهما بممنوع عن ضد ما اختاره، ولا بمحمول علىٰ ما اكتسبه.

ولذلك وجبت حجة الله عليهم، وحق عليهم القول من ربهم، ومأوى الكافرين النار بما كانوا يكسبون ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: ٧٦]، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾. فأضاف الله تعالىٰ تزيين العمل إلىٰ نفسه، يعني نحن خلقنا ما أحبه كل أمة، ومحبتهم إياه في قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

فأضاف الله تعالىٰ الإضلال إلىٰ نفسه، وكذا جعل صدره ضيقًا بحيث لا يسمع الحق فيه فهاتان الآيتان تدلان علىٰ أن الله تعالىٰ خالق الاختيار والاستحسان والإرادة والبغض والكراهية والاستقباح للإيمان والكفر.

قوله: وليس أحدهما بممنوع عن ضد ما اختاره.

أي وليس أحدهما من المؤمن والكافر بممنوع عن ضد ما اختاره من الإيمان والكفر حتى يكون إكراهًا وإجبارًا.

قوله: ولذلك وجبت حجة الله عليهم.

أي ولأنه ليس أحدهما بممنوع عن ضده ما اختاره وجب، أي ثبت حجة الله علىٰ

---

(١) تأويل الجبرية بعض آيات القرآن الكريم بما يفيد الجبر يقولوا للناس إن ما صنعناه إنما هو قضاء الله وقدره وليس من أيدينا بل حتى مناصبهم هذه فهي من الله تعالىٰ فهو الذي جاء بهم إلىٰ الملك وملكهم لأنه تعالىٰ ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾.

قال ابن الفرغاني: ما من خطرة ولا حركة إلَّا بالأمر وهو قوله: ﴿كُن﴾ [البَقَرَة: ١١٧] ، فله الخلق بالأمر وله الأمر بالخلق.

والخلق[1] صفته، فلم يدع بهذين الحرفين لعاقل يدعي شيئًا من الدنيا والآخرة لا له ولا به ولا إليه، فاعلم أنه لا إله إلَّا الله.

الخلق[2]، وهي عدم منعه أحدهما عن ضد ما اختاره، وعدم حمله علىٰ ما اكتسبه وصدق عليهم القول، أي الوعد والوعيد من ربهم.

قوله: قال ابن الفرغاني وهو أبو بكر الواسطي المدفون بمرو.

قوله: إلَّا بالأمر، أي بأمر الله يعني أمر التكوين لا أمر التكليف[2] **فله الخلق بالأمر**، أي فله خلق الأشياء بأمركن، بأن يقول لهم كن يعني له القدرة علىٰ إيجادهم بالأمر، **وله الأمر بالخلق** يعني وله القدرة علىٰ أن يأمرهم بأن يوجدوا.

والخلق صفته لا صفة العبد.

فلم يدع بهذين الحرفين أي لم يترك بقوله: ﴿كُن﴾ أو بقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ لعاقل يدعي شيئًا من الدنيا والآخرة لا له أي ملكًا، ولا به أي قيامًا ولا إليه أي رجوعًا إنما قال: لم يدع لعاقل شيئًا لأن التقديم له علىٰ الخلق والأمر يقيد اختصاص هذين به.

❊ ❊ ❊

---

(١) من أسماء الله الحسنى الخالق وهو المقدر، وقد حمل المفسرون قوله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] علىٰ معنى التقدير.

وفي معنى الخالق بأنه هو موجد الكائنات ومُنشئها وقيومها، وفي معناها الباري والمصور أي المرتب للصور والمخترعات.

انظر سلاح المؤمن لابن الإمام (ص٢٥٩)

(٢) أصل التكليف مشتق من الكلف وهي المشقات والعوالم تقسمت فتقسمت التكاليف، فعالم كلفتهم في أداء العبادة.

وعالم كلفتهم في حيرتهم في موافقة الأمر والإرادة وعالم كلفتهم في توجيه الخطاب الإلهي علىٰ هذا العالم الكياني مع رد الأفعال إليه واستحالة التكليف عليه.

المعجم الصوفي (ص٥٤)

الباب السادس عشر
قولهم في الأصلح

أجمعوا علىٰ أن الله تعالىٰ يفعل بعباده ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد كان ذلك أصلح لهم أو لم يكن، لأن الخلق خلقه والأمر أمره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ولولا ذلك لم يكن بين العبد والرب فرق.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عِمرَان: ١٧٨].

وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبَة: ٥٥].

وقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [المَائدة: ٤١].

قوله: ولولا ذلك لم يكن بين العبد والرب فرق، أي ولولا أنه يفعل بعباده ما يشاء ويحكم فيهم ما يريد كان ذلك أصلح أو لم يكن[1]، بل يجب علىٰ الله تعالىٰ رعايه الأصلح لهم، كما هو مذهب المعتزلة[2]، فإنه يجب علىٰ الله فعل الأصلح للعبد، ويجب علىٰ العبد أن يفعل ما يريده الله، فيدخل فعلهما تحت الوجوب فلا يكون بين العبد والرب فرق بيّن بهذا الاعتبار وأيضًا قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ﴾ [المَائدة: ٤١] يدل

---

(١) إن الله يفعل بعباده ما يشاء، ويحكم فيهم بما يريد، سواء كان ذلك هو الأصلح لهم أو لم يكن لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولولا ذلك لم يكن بين العبد والرب فرق.

المعجم الصوفي (ص٢٤)

(٢) يقول النظام من المعتزلة: إن الله لا يقدر علىٰ أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ولا يقدر أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم ونقصان ما فيه صلاحهم ظلم.

انظر الانتصار للخياط (ص٢١، ٢٢، ٢٥)

والقول بالأصلح[1] يوجب نهاية القدرة وتنفيذ ما في الخزائن وتعجيز الله تعالىٰ عن ذلك، لأنه إذا فعل بهم غاية الصلاح فليس وراء الغاية شيء، فلو أراد أن يزيدهم علىٰ ذلك صلاحًا لم يقدر عليه ولم يجد بعد الذي أعطاهم ما يعطيهم مما يصلح لهم، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وأجمعوا أن جميع ما فعل الله بعباده من الإحسان والصحة والسلامة والإيمان والهداية واللطف تفضل منه ولو لم يفعل ذلك لكان جائزًا، وليس علىٰ الله بواجب.

علىٰ عدم رعاية الأصلح للعبد، لأن إملاء الله لهم لازدياد إثمهم، ليس بالأصلح لهم.

وكذا إرادة الله تعذيبهم وزهوق أنفسهم وهم كافرون وكذا عدم إرادة الله تطهير قلوبهم، ليس بالأصلح لهم بل هي إرادة الله ما ليس بالأصلح لهم.

وقولهم: يجب علىٰ الله رعاية الأصلح للعباد يوجب نهاية قدرة الله[2] تعالىٰ ونفاذ ما في خزانته لأنه حينئذ يقف قدرته علىٰ الأصلح ولا يتجاوز عنه، فينتهي قدرته إليه فيلزم عجزه، ولم يجد بعد إعطائهم الأصلح ما يعطيهم مما يصلح لهم، فيلزم نفاد ما في خزانته **قوله: واللطف تفضل منه.**

لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾ [النساء: ١١٣].

---

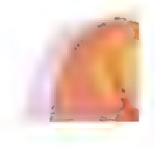
(١) يقول الشهرستاني وهو يبين رأي المعتزلة في الصلاح والأصلح: واتفقوا علىٰ أن الله تعالىٰ لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد وأما الأصلح ففي وجوبه خلاف عندهم.

انظر الملل والنحل (١/ ٤٥)

(٢) القدرة قوة ذاتية لا تكون إلا لله، وشأنها إبراز المعلومات إلىٰ العالم العيني علىٰ المقتضى العلمي فهو مجلى أي مظهر أعيان معلوماته الموجودة من العدم لأنه يعلمها موجودة من عدمها في علمه.

فالقدرة هي القوة البارزة للموجودات من العدم وهي صفة نفسية بها ظهرت الربوبية وهي أي القدرة عين هذه القدرة الموجودة فينا فنسبتها إلينا تسمى قدرة حادثة ونسبتها إلىٰ الله تعالىٰ تسمى قدرة قديمة.

المعجم الصوفي (ص١٩٩)



ولو كان ما يفعل مما يفعل شيئًا واجبًا عليه لم يكن مستحقًا للحمد والشكر.

وأجمعوا أن الثواب والعقاب ليس من جهة الاستحقاق لكنه من جهة المشيئة والفضل والعدل، لأنهم لا يستحقون علىٰ أجرام منقطعة عقابًا دائمًا ولا علىٰ أفعال معدودة ثوابًا دائمًا غير معدود.

وأجمعوا أنه لو عذب جميع من في السموات والأرض لم يكن ظالمًا لهم.

ولو أدخل جميع الكافرين الجنة لم يكن ذلك محالًا لأن الخلق خلقه والأمر أمره[1]، ولكنه أخبر أنه ينعم علىٰ المؤمنين أبدًا ويعذب الكافرين أبدًا، وهو صادق في قوله وخبره صدق، فوجب أن يفعل بهم ذلك ولا يجوز غيره، لأنه لا يكذب في ذلك، تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا وأجمعوا أن لا يفعل الأشياء لا لعلة[2]

وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] والمتفضل بالشيء من له أن يفعله، وله أن لا يفعله.

قوله: لم يكن مستحقًا للحمد والشكر، لأن استحقاقهم لشيء إنما يكون إذا لم يجب عليه ذلك الشيء.

قوله: علىٰ أجرام، جمع جُرم بالضم.

قوله: فوجب أن يفعل بهم ذلك، أي أن يفعل بالمؤمنين الإنعام أبدًا، وبالكافرين التعذيب أبدًا، ولا يجوز غير ما أخبر به من الإنعام والتعذيب الدائمين، لأنه لا يكذب في قوله.

قوله: وأجمعوا علىٰ أنه لا يفعل الأشياء لا لعلة.

لا بمعنى أنه لا يكون في فعله فائدة وحكمة.

---

(١) قال من قال من أهل السنة إن الله كتب علىٰ نفسه الرحمة وحرم الظلم علىٰ نفسه لا أن العبد نفسه مستحق علىٰ الله شيئًا كما يكون للمخلوق علىٰ المخلوق فإن الله هو المنعم علىٰ العباد بكل خير وهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم بالإيمان والعمل الصالح ومن توهم من القدرية والمعتزلة أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير علىٰ المستأجر فهو جاهل في ذلك.

انظر اقتضاء الصراط المستقيم (ص٤١٠)

(٢) العلة تنبيه الحق لعبده بسبب أو بغير سبب وقيل: العلة كناية عن بعض ما لم يكن فكان قال =

ولو كان لهم علة لكان للعلة علة إلىٰ ما لا يتناهى، وذلك باطل.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

إذ كل فعل له عين فائدة وحكمة، بل بمعنى أن الفائدة الخارجة عن ذاته ليست داعية له إلىٰ العمل وباعثة عليه، وإلَّا لكان في الفعل يتوقف علىٰ الغير فيكون محتاجًا إليه لتحصيل الفعل، وهو غني.

وإذا كان يفعل الأشياء لا لعلة فإبعاد بعض العباد عن جهنم ليس بطاعته، بل بالحسنى السابقة منه تعالىٰ، وكذا كانوا سعداء باختيار الله تعالىٰ إياهم لا بالطاعة **لقوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء: ١٠١]، **وقوله:** ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨].

وكذا الشقاوة ليست لترك الطاعة أو غيرها.

ولو أملأ جهنم من الجنة والناس ليس ذلك من الله ظلمًا.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾.

=

ذو النون المصري: علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، يعني أن وجود النقصان في كل شيء مصنوع كائن لأنه لم يكن فكان وليس في صنع الصانع لمصنوعاته علة وفي نفس المعنى يقول الشبلي في صفة الخلق إن الذل كائنهم والعلة كونهم.

المعجم الصوفي (ص١٧٧)



ولا يكون شيء منه ظلمًا ولا جورًا، لأن الظلم إنما صار ظلمًا لأنه منهي عنه، ولأنه وضع الشيء في غير موضعه، والجور إنما كان جورًا لأنه عدل عن الطريق الذي بين له، والمثال الذي مثل له من فوقه ومن هو تحت قدرته ولما لم يكن الله تحت قدرة قادر ولا كان فوقه آمر ولا زاجر لم يكن فيما يفعله ظالمًا، ولا في شيء يحكم[1] به جائرًا، ولم يقبح منه شيء، لأن القبيح ما قبحه والحسن ما حسنه.

وقال بعضهم: القبيح ما نهى عنه، والحسن ما أمر به.

وقال محمد بن موسى: إنما حسنت المستحسنات بتجليه، وقبحت المستقبحات باستتاره، وإنما هما نعتان يجريان على الأبد، بما جريا في الأزل

والضمير في بتجليه يعود إلىٰ المستحسن الذي يدل عليه المستحسنات.

وكذا في باستتاره يعود إلىٰ المستقبح الذي يدل علىٰ المستقبحات، يعني حسن المستحسن بانكشافه عن ستر النهي وقبح المستقبح باستتاره بستر النهي.

والمستحسن والمستقبح نعتان للأشياء يجريان علىٰ الأبد مما جريا في الأزل.

فلو جرى في الأزل مستحسنًا يجري علىٰ الأبد مستحسنًا.

ولو جرى في الأزل مستقبحًا يجري علىٰ الأبد مستقبحًا.

وهذا يدل علىٰ أن الحسن ما حسنه الله، والقبيح ما قبحه الله في الأزل.

(١) يقول ابن تيمية: أما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم بالقياس علىٰ خلقه فهذا قول القدرية وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول وأهل السنة متفقون علىٰ أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن العباد لا يوجبون عليه شيئًا.

فمن كلام ابن تيمية وغيره يظهر أنه لا واجب علىٰ الله فكل نعمة من الله علىٰ خلقه تعتبر من باب التفضل وبذلك يبطل الوجوب علىٰ الله ولذا يبطل قول المعتزلة في الصلاح والأصلح علىٰ الله لعباده.

انظر الاقتصاد في الاعتقاد ص١٨٤، ١٨٥

معناه كل ما ردّك إلىٰ الحق من الأشياء، فهو حسن وما ردّك إلىٰ شيء دونه، فهو قبيح[١]، فالقبيح والحسن ما حسنه الله في الأزل وما قبحه، ومعنى آخر أن المستحسن هو ما تخلى عن ستر النهي، فلم يكن بين العبد وبينه ستر.

والقبيح ما كان وراء الستر، وهو النهي علىٰ معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**وعلى الأبواب ستور مرخاة**».

قيل: الأبواب المفتحة محارم الله، والستور حدوده.

وقوله: والقبيح ما كان وراء الستر، أي خلفه، وذلك الستر هو النهي عنه، وذلك معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**وعلى الأبواب ستور مرخاة**»[٢].

أي علىٰ أبواب المنهيات ستور مرسلة، فلا تهتكوها بمباشرتها، كما قال بعضهم في معنى الحديث: الأبواب المفتحة محارم الله.

وهي جمع محرمة بفتح الراء وضمها، وهي ما لا يحل انتهاكه أي تناوله.

والستر التي علىٰ تلك الأبواب الحدود التي وضعها الله عليها.

* * *

---

(١) رتب المعتزلة علىٰ القول بالحسن والقبيح العقليين أن الانسان مكلف قبل ورود الشرع بما دل عليه العقل كوجوب شكر المنعم ومكلف بمحاسن الأخلاق.

كما بنى المعتزلة علىٰ القول بالحسن والقبح الذاتيين للفعل وجوب بعض الأمور علىٰ الله تعالىٰ لأن تركها قبيح ومخل بالحكمة ومن ذلك وجوب الصلاح والأصلح للعباد ووجوب اللطف والثواب للمطيع والعقاب للعاصي وغير ذلك، قال الشهرستاني: وقال أهل العدل: المعارف كلها معقولة بالعقل، واجبة بنظر العقل وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للقبيح.

الملل والنحل (١/ ٥٢)

(٢) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٤/ ١٨٢)، وبلفظ آخر أخرجه الترمذي في سننه كتاب الأمثال (٢٨٥٩) باب ما جاء في مثل الله لعبادة عن النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ضرب مثلًا صراطًا مستقيمًا علىٰ كنفي الصراط داران لهما أبواب مفتحة علىٰ الأبواب ستور وداع يدعو علىٰ رأس الصراط وداع يدعو فوقه ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ والأبواب التي علىٰ كنفي الصراط حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ به".

الباب السابع عشر
قولهم في الوعد والوعيد[1]

أجمعوا أن الوعيد المطلق في الكفار، والوعد المطلق في المحسنين، وأوجب بعضهم غفران الصغائر باجتناب الكبائر.

بقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١] الآية.

وجعلها بعضهم كالكبائر في جواز العقوبة عليها.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية.

وقالوا: معنى قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١] هو

وجعل بعضهم الصغائر كالكبائر في جواز العقوبة عليها لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] يتناول الصغائر والكبائر.

واختلفوا في الكبائر[2] التي جعل الله اجتنابها تكفيرًا للصغائر فقيل: هو الشرك وما يؤدي إليه.

قوله: بقوله ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١]

أي إن تجتنبوا كبائر المعاصي التي ينهى الله عنها نحطّ عنكم عقاب سائر المعاصي ويدخلكم مدخلًا كريمًا، أي حسنًا وهي الجنة.

---

(١) الوعد المطلق في المؤمنين المحسنين وهو حق العباد علىٰ الله فيما أوجبه علىٰ نفسه، والوعيد المطلق في الكفار والمنافقين وهو حق الله تعالىٰ من العباد.

المعجم الصوفي (ص٢٦١)

(٢) يقول الله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾. =

الشرك والكفر، وهو أنواع كثيرة.

فجاز أن يطلق عليها اسم الجمع.

وفيه وجه آخر وهو أن الخطاب خرج علىٰ الجمع فكانت كبيرة كل واحد منهم عند الجمع كبائر، وجوزوا غفران الكبائر بالمشيئة والشفاعة.

وأوجبوا الخروج من النار لأهل الصلاة لا محالة بإيمانهم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وما دون الشرك فهو السيئات.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فعلى هذا وجه إطلاق اسم الجمع الذي هو كبائر علىٰ الشرك وما يؤدي إليه.

إما لأن أقل الجمع اثنان، وإما لأن الخطاب خرج علىٰ الجمع لقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟﴾ [النساء: ٣١] فكانت كبيرة كل واحد منهم عند الجمع كبائر.

وقيل: هو الشرك والكفر(١).

والكفر أنواع، كفر إنكار وهو أن لا يعرف الله أصلًا ولا يعترف به، وكفر جحود وهو أن لا يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه، ككفر إبليس واليهود.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

=

وقال رسول الله ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»**، والكبائر ما كبر من الذنوب والمعاصي وقد اختلف العلماء في عددها وهي تختلف عن الصغائر لأن الصغائر هي كل ما ليس عليه حد في الدنيا والآخرة.

(١) اختلف العلماء في عدد الكبائر وفي حدها فقال بعضهم هي السبع الموبقات، وقال بعضهم: سبعون، وبعضهم سبعمائة وقال بعضهم هي ما اتفقت الشرائع علىٰ تحريمه ومنها الشرك بالله قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال النبي ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله»** متفق عليه وهو نوعان شرك أكبر وهو عبادة غير الله أو صرف أي شيء عن العبادة لغير الله، وشرك أصغر ومنه الرياء.



فجعل المشيئة شرطًا فيما دون الشرك.

وجملة قولهم: إن المؤمن بين الخوف والرجاء، يرجو فضل الله في غفران الكبائر، ويخاف عدله في العقوبة على الصغائر، لأن المغفرة مضمون المشيئة ولم يأت مع المشيئة ....

وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث قال: ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينًا، لولا الملامة أو حذار مسبةٍ لوجدتني سمحًا[1] بذلك متينًا.

روى مبينًا من أبان.

وكفر نفاق وهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه سواء في أن من لقي الله تعالىٰ بواحد منها لا يغفر له، وإذا كان كذلك فجاز إطلاق اسم الجمع عليهما.

وجوزوا غفران الكبائر إما بمشيئة الله تعالىٰ أو بالشفاعة[2].

قوله: فجعل المشيئة شرطًا فيما دون الشرك، أي في غفران ما دون الشرك، في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قوله: لأن المغفرة مضمون المشيئة تعليل للعقوبة على الصغائر، وإشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

يريد أن مغفرة ما دون الشرك مشروطة بمشيئة الله الغفران، **ولم يأت مع المشيئة**

---

(١) بالهامش: السماحة السخاوة مع الرغبة.

(٢) قال القاضي عياض رحمه الله: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا ووجوبها سمعًا بصريح قوله تعالىٰ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وأمثالها وبخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم أهل السنن عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] وهذه الآيات في الكفار.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية

شرط كبيرة ولا صغيرة.

ومن شدد وغلظ في شرائط التوبة وارتكاب الصغائر فليس ذلك منهم علىٰ إيجاب الوعيد، بل ذلك علىٰ تعظيم الذنب في وجوب حق الله في الانتهاء عما نهى عنه ولم يجعلوا في الذنوب صغيره إلَّا عند نسبة بعضها إلىٰ بعض، فطالبوا النفوس بإيفاء حق الله تعالىٰ والانتهاء عما نهى الله عنه، والوفاء بما أمر به الله.

شرط كبيرة ولا صغيرة، فيكون عامًّا في الصغيرة والكبيرة[1] فيجوز أن لا يغفر ما دون ذلك لمن يشاء عدم غفرانه صغيرة كانت أو كبيرة.

قوله: ومن شدد وغلظ في شرائط التوبة[2] بأن من مات ولم يتب من المعاصي كذا وكذا من الوعيد، وكذا في **ارتكاب الصغائر فليس ذلك** التشديد والتغليظ بترتب الوعيد عليه **منهم علىٰ إيجاب الوعيد** عليهما، **بل ذلك** التشديد **علىٰ تعظيم الذنب في وجوب حق الله تعالىٰ للانتهاء عما نهى الله عنه، ولم يجعلوا في الذنوب صغيرة**، بل جعلوا الذنوب كلها كبيرة حتى لم يجترئوا علىٰ فعلها **إلاَّ عند نسبة بعضها إلىٰ بعض**، فإن بعض الذنوب بالنسبة إلىٰ بعضها صغيرة وبعضها كبيرة، **فطالبوا نفوسهم بإيفاء حق الله تعالىٰ بالانتهاء عما نهى الله عنه** صغيرة كانت أو كبيرة.

وبالوفاء بما أمر الله به عباده ومطالبة إيفاء حقوق الله تعالى[3] من النفوس

---

(١) كل ذنب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة ولا يشم رائحة الجنة وقيل فيه: من فعله فليس منا وأن صاحبه آثم فهذه كلها من الكبائر كقوله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**» وقوله: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**» وقوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .... الحديث**».

(٢) التوبة لها ثلاثة أركان: الإقلاع والندم علىٰ فعل تلك المعصية والعزم علىٰ أن لا يعود إليها أبدًا فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع وهو التحلل من صاحب ذلك الحق وأصلها الندم وهو ركنها الأعظم، واتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع المعاصي واجبة وأنها واجبة علىٰ الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكدة ووجوبها عند أهل السنة بالشرع، وعند المعتزلة بالعقل ولا يجب علىٰ الله قبولها إذا وجدت بشروطها عقلًا عند أهل السنة ولكنه سبحانه وتعالى يقبلها كرمًا وفضلًا.
شرح مسلم للنووي (١٧/ ٥٠) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) روى مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، رقم الحديث (٥٠) عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معاذ أتدري ما حق الله علىٰ العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: «أن يعبد** =

ورؤية التقصير في شرائط العمل، وهم مع ذلك كله أرجى الناس للناس وأشدهم خوفًا علىٰ أنفسهم حتى كأن الوعيد لم يرد إلَّا فيهم والوعد لم يكن إلَّا لغيرهم[(١)].

قيل للفضيل عشية عرفة: كيف ترى حال الناس قال: مغفورون لولا مكاني فيهم.

وقال السري السقطي: إني لأنظر في المرآة كل يوم مرارًا مخافة أن يكون قد اسودَّ وجهي.

وقال: لا أحب أن أموت حيث أعرف مخافة أن لا تقبلني الأرض فأكون فضيحة، وهم أحسن الناس ظنونًا بربهم.

ورؤية التقصير في ذلك الإيفاء من شرائط قبول العمل أو من شرائط أعمالهم أي يعملون بهذا الشرط وهم مع ذلك كله أي مع إيفاء حقوق الله لأنفسهم ورؤية التقصير أدعى الناس للناس من النجاة والكرامة عند الله منه لأنفسهم وأشدهم خوفًا علىٰ أنفسهم منه علىٰ أنفسهم غيرهم.

حتى لو كان الوعيد لم يرد إلَّا في حقهم، والوعد لم يكن إلَّا لغيرهم، **وهم أحسن الناس ظنونًا بربهم**، بأن كل ما جرى في الشرع من الله علىٰ العباد من الخير

= الله ولا يشرك به شيء» قال: «**أتدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟**» فقال: الله ورسوله أعلم قال: «**أن لا يعذبهم**».

قال النووي: قال صاحب التحرير اعلم أن الحق كل موجود متحقق أو ما سيوجد لا محالة والله سبحانه وتعالى هو الحق الموجود الأزلي الباقي، والموت والساعة والجنة والنار حق لأنها واقعة لا محالة، وإذا قيل للكلام الصدق حق فمعناه أن الشيء المخبر عنه بذلك الخبر واقع متحقق لا تردد فيه، وكذلك الحق المستحق علىٰ العبد من غير أن يكون فيه تردد وتحير، فحق الله تعالىٰ علىٰ العباد معناه ما يستحقه عليهم متحتمًا عليهم وحق العباد علىٰ الله تعالىٰ معناه أنه متحقق لا محالة.

شرح مسلم للنووي (١/ ٢٠٤)

(١) كل ذنب ليس فيه حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة كالوعيد بالنار والغضب واللعنة فهو من الصغائر وذلك لأن الوعيد الخاص في الآخرة العقوبة الخاصة في الدنيا.

قال يحيى: من لم يحسن بالله ظنه لم تقر بالله عينه وهم أسوأ الناس ظنونًا بأنفسهم وأشدهم إزراء بها لا يرونها أهلًا لشيء من الخير دينًا ولا دنيا.

والجملة أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية.

أخبر أن المؤمن له عملان صالح وسيئ، فالصالح له والسيِّئ عليه.

وقد وعد الله تعالىٰ علىٰ ما له ثوابًا وأوعد علىٰ ما عليه عقابًا.

والشرّ فهو كما فعل الله بهم من غير اعتراض منهم عليه بل منقادون لحكمه وراضون به، وهم أسوأ الناس ظنونًا بأنفسهم وأشد الناس إزراءً أي احتقارًا بأنفسهم.

يقال: أزرى به أي احتقره.

لا يرون أنفسهم أهل شيء من الخير دنيا ودينًا.

قوله: إن الله ﷻ قال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التوبة: ١٠٢].

أي ومن أهل المدينة أو من الأعراب آخرون أقروا بذنوبهم ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، وهو توبتهم، وقيل: ندامتهم وربطهم أنفسهم بالسواري.

وقيل: غزواتهم مع رسول الله ﷺ.

﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] أي بعمل آخر سيِّئ، وضع الواو موضع الباء، كما يقال: خلطت الماء واللبن أي باللبن.

والعمل السيِّئ هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ، عسى الله أن يتوب عليهم.

نزلت هذه الآية في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك[1]، ثم ندموا

---

(١) كانت غزوة تبوك فيما ذكر الذهبي عام (٩) هـ وفيها أمر النبي ﷺ المسلمين بالصدقة والنفقة في سبيل الله ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٠] فاعتذروا فلم يعذرهم الله وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ حتى تخلفوا عن غير شك ولا ارتياب منهم كعب بن مالك أخو بني سلمة ومرارة بن الربيع أحد بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف وكانوا رهط صدق. =

والوعيد حق الله تعالىٰ من العباد، والوعد حق العباد علىٰ الله فيما أوجبه علىٰ نفسه، فإن استوفى منهم حق نفسه ولم يوفهم حقهم لم يكن ذلك لائقًا بفضله مع غناه عنهم، وفقرهم إليه بل الأليق بفضله والأحرى بكرمه أن يوفيهم حقوقهم ويزيدهم من فضله ويهب منهم حق نفسه، وبذلك أخبر عن نفسه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

وفي قوله: من لدنه أنه تفضل وليس بجزاء.

علىٰ ذلك وقالوا نكون في الظلال مع النساء ورسول الله ﷺ وأصحابه في الجهاد واللأواء[1].

قوله: والوعيد حق الله تعالىٰ من العباد.

أي له أن يستوفى من العباد، والوعد حق العباد علىٰ الله فيما أوجبه علىٰ نفسه.

لأنه أخبر بإعطاء الثواب في الجنة، وإخباره واجب الوقوع، ولقوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢].

❊ ❊ ❊

= فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه ابن سلول فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب.

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يومًا وفي رواية بضع عشرة ليلة.

انظر تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة (٩) هـ

(١) اللأواء: أي الشدة والمشقة (وجدناه بين السطور).

الباب الثامن عشر
قولهم في الشفاعة[1]

أجمعوا علىٰ أن الإقرار بجملة ما ذكر الله تعالىٰ في كتابه وجاءت به الروايات عن النبي ﷺ في الشفاعة.

في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥].

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] .

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقول الكفار ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠﴾ [الشُعَرَاء: ١٠٠].

وقال النبي ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[2].

وقوله: «**واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي**»[3].

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ يا محمد الشفاعة ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ عن ربك.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وهو مقام الشفاعة، «**واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي**».

---

(١) قال النووي: الشفاعة علىٰ خمسة أقسام:

أولها: مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب.

والثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه وردت أيضًا لنبينا ﷺ.

الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى، والرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا لله والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالىٰ كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلا الكافرون، الخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: أبو داود في سننه (٤٧٣٩)، والترمذي في سننه (٢٤٣٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٧، ١٠/ ١٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٣٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٩٨، ٥٥٩٩).

(٣) البخاري في صحيحه (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم في الإيمان (٣٣٩).

وأقروا بالصراط وأنه جسر يمد علىٰ جهنم.

وقرأت عائشة رضي الله عنها: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قالت: فأين الناس حينئذ يا رسول الله؟»، فقال: «**على الصراط**».

وأقروا بالميزان وأن أعمال العباد توزن كما قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، وإن لم يعلموا كيفية ذلك[1] وقولهم في هذا وأمثاله مما لا يدرك العباد كيفيته آمنا بما قال الله علىٰ ما أراد الله وآمنا بما قال رسول الله ﷺ، وما أراد رسول الله.

وأقروا أن الله تعالىٰ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان علىٰ ما جاء في الحديث[2] وأقروا بتأبيد الجنة والنار وأنهما مخلوقتان وأنهما

(أي أضمرت واستترت دعوتي شفاعة لأمتي)[3] فأظهرها يوم القيامة.

قوله: وقولهم في هذا وأمثاله.

مبتدأ خبره آمنا بما قال الله تعالى، علىٰ ما أراه الله، وآمنا بما قال رسول الله علىٰ ما أراد رسول الله.

قوله: علىٰ ما جاء في الحديث: «يخرج يوم القيامة من النار من كان في قلبه

---

(١) في اختباء دعوة الرسول ﷺ شفاعة لأمته قال النووي: في هذا الحديث بيان كما شفقة النبي ﷺ علىٰ أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في مصالحهم المهمة فأخر ﷺ دعوته لأمته إلىٰ أهم أوقات حاجاتهم.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٦٣)

(٢) المراد بالذرة واحدة الذر وهو الحيوان المعروف الصغير من النمل وهي بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء ومعنى يزن أي يعدل. وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم (٣٢٥) وفيه: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة**».

وفي حديث رقم (٣٢٦)، وفي آخر: «**وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال: لا إله إلا الله**».

(٣) وجدناه بالهامش.

باقيتان أبد الأبد، لا تفنيان ولا تبيدان وكذلك أهلوهما باقون فيهما خالدون مخلدون منعمون ومعذبون لا ينفذ نعيمهم ولا ينقطع عذابهم، وشهدوا لعامة المؤمنين بالإيمان في ظاهر أمورهم ووكلوا سرائرهم إلىٰ الله تعالىٰ.

وأقروا أن الدار دار إيمان وإسلام، وأن أهلها مؤمنون مسلمون.

وأهل الكبائر عندهم مسلمون مؤمنون بما معهم من الإيمان فاسقون بما فيهم من الفسق.

ورأوا الصلاة خلف كل بَرّ وفاجر، ورأوا الصلاة علىٰ كل من مات من أهل القبلة، ورأوا الجمعة والجماعات[1] والأعياد واجبة علىٰ من لم يكن له عذر من

مثقال ذرة من الإيمان»[2].

قوله: ولا تبيدان، أي ولا تهلكان.

قوله: وأقروا أن الدار دار إيمان وإسلام.

وعند المعتزلة أن الدار التي يصل فيها إلىٰ الكعبة دار حرب، لأن عندهم أن إيمان المقلد لا يصح، وإذا لم يصح يكون كافرًا لأنه جاهل بالله. كذا نقله بعضهم.

---

(١) اختلفوا في صلاة الجماعة فمنهم من قال: الجماعة فرض عين وهو مذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وأبي ثور وابن خزيمة وداود، وقال الجمهور: ليست فرض عين، واختلفوا هل هي سنة أم فرض كفاية.

وأجابوا علىٰ حديث: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم ضرم من حطب إلىٰ قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**» بأن هؤلاء المتخلّفين كانوا منافقين، وسياق الحديث يقتضيه فإنه لا يظن بالمؤمنين من الصحابة أنهم يؤثرون العظم السمين علىٰ حضور الجماعة مع رسول الله ﷺ وفي مسجده، ولأنه لم يحرق بل هم به ثم تركه ولو كانت فرض عين لم تركه، وقال راويه إنها صلاة الجمعة، وفي رواية يتخلفون عن الصلاة مطلقًا.

شرح مسلم للنووي (٥/ ١٣١) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: الترمذي في سننه (٢٥٩٨)، والزبيدي في الإتحاف (٢/ ٢٤١)، والشجري في أماليه (١/ ٢٨)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ١١٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٦٣).

المسلمين مع كل إمام بَرّ أو فاجر، وكذلك الجهاد معهم والحج، ورأوا الخلافة حقًّا، وأنها في قريش.

وأجمعوا علىٰ تقديم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ورأوا الاقتداء بالصحابة والسلف الصالح وسكتوا عن القول فيما كان بينهم من التشاجر ولم يروا ذلك قادحًا فيما سبق لهم من الله عز وجل.

وأقروا أن من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فهو في الجنة، وأنهم لا يعذبون بالنار ولا يرون الخروج علىٰ الولاة بالسيف وإن كانوا ظلمة، ويرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبًا لمن أمكنه بما أمكنه، مع شفقة ورأفة ورفق ورحمة ولطف ولين من القول. ويؤمنون بعذاب القبر ومسألة منكر ونكير.

وأقروا بمعراج النبي ﷺ.

وأنه عرج به إلىٰ السماء السابعة وإلى ما شاء الله ....

قوله: وكذلك الجهاد معهم.

أي مع كل إمام بَرّ أو فاجر.

وعند المعتزلة: أن السلطان إذا جار ينعزل، وإذا انعزل لا يطاع بخلاف مذهب أهل السُّنّة، فإن الإمام لا ينعزل بالفسق ومع ذلك يجب عندهم الطاعة له لا فيما هو معصية.

قوله: فيما كان بينهم من التشاجر، أي من الاختلاف والتنازع.

قوله: وأقروا أن من شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، فهو في الجنة.

وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم أجمعين.

قوله: ولا يرون الخروج علىٰ الولاة.

أي الحكام بالسيف، والمقاتلة معهم وإن كانت الولاة ظلمة.

قوله: وإلى ما شاء الله، أي والى حيث شاء.

في ليلة في اليقظة ببدنه.

ويصدقون بالرؤيا وأنها بشارة للمؤمنين وإنذارًا لهم وتوقيف.

وعندهم أن من مات أو قتل فبأجله، ولا يقولون باخترام الآجال وأنه إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

قوله: في ليلة يتعلق بالمعراج، وكذا في اليقظة وببدنه.

قوله: ويصدقون بالرؤيا.

أي أن الرؤيا حق عندهم[١]، وتلك بشارة للمؤمنين أو إنذار لهم، وتوقيف لهم (أي أعلام لهم)[٢]، على ما يأتي بهم، ولا يقولون باخترام الآجال كما قاله المعتزلة فإنهم يقولون: إن من قتل لم يجئ أجله لكن قرب أجله ولو لم يقتل يجوز فيه الأمران الموت والحياة.

❊ ❊ ❊

---

(١) أما رؤية الله تعالىٰ في الدنيا فقط قدمنا أنها ممكنة، ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم أنها لا تقع في الدنيا وحكى أبو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري أحدهما وقوعها والثاني لا تقع ثم مذهب أهل الحق أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالىٰ في خلقه ولا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك لكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضًا بوجود ذلك علىٰ جهه الاتفاق لا علىٰ سبيل الاشتراط.

شرح مسلم للنووي (٣/ ١٥) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) وجدناه بالهامش.

الباب التاسع عشر
قولهم في الأطفال[1]

وأقروا أن أطفال المؤمنين مع آبائهم في الجنة.

واختلفوا في أطفال المشركين، فمنهم من قال: لا يعذب الله بالنار إلّا بعدم لزوم الحجة علىٰ من عاند وكفر ووجبت عليه الأحكام.

وأرجأ الأكثرون أمرهم إلىٰ الله تعالىٰ وجوزوا تعذيبهم وتنعيمهم.

وأجمعوا علىٰ أن المسح علىٰ الخفين حق[2]، وجوزوا أن يرزق الله الحرام،

قوله: وأرجأ الأكثرون، أي وأخر الأكثرون أمور أطفال المشركين إلىٰ الله، وجوزوا تعذيبهم وتنعيمهم.

قوله: وجوزوا أن يرزق الله الحرام رزق غذاء.

(جوز أهل السُّنّة والمعرفة أن يرزق الله الحرام رزق غذاء)[3]، لأن الرزق عندهم كل ما انتفع به حي سواء كان بالتغذي أو بغيره مباحًا أو حرامًا، مملوكًا أو

---

(١) مجمل القول إن المسألة علىٰ ثلاثة أقوال: الأول: إن أطفال المشركين في الجنة واحتج لهذا بما احتجوا به في أطفال المسلمين بأنهم علىٰ الفطرة، الثاني: أنهم لم يفعلوا ما يؤاخذون به أو يعذبون به ولذا فهم من أصحاب الجنة، ثالثًا: احتجوا بالروايه التي وردت في حديث إبراهيم عليه السلام أنه رأى ذراري المشركين مع ذراري المؤمنين.

(٢) أجمع من يعتد به في الإجماع علىٰ جواز المسح علىٰ الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجه أو لغيرها حتى يجوز للمرأة ملازمة بيتها والزمن الذي لا يمشي، وإنما أنكرته الشيعة والخوارج ولا يعتد بخلافهم.

وقد روي عن مالك رحمه الله روايات فيه والمشهور من مذهبه كمذهب الجماهير، وقد روى المسح علىٰ الخفين خلائق لا يحصون من الصحابه، قال الحسن البصري رحمه الله: حدثني سبعون من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يمسح علىٰ الخفين.

شرح مسلم للنووي (١٤١/٣) طبعة دار الكتب العلمية

انظر شرح العقيدة الطحاوية

(٣) وجدناه بالهامش.

وأنكروا الجدال والمراء في الدين والخصومة في القدر والتنازع فيه.

ورأوا التشاغل بما لهم وعليهم أولى من الخصومات في الدين.

ورأوا طلب العلم أفضل الأعمال وهو علم الوقت بما يجب عليهم ظاهرًا

غيره وعند المعتزلة: إن الله لا يرزق الحرام، بل العبد هو الرازق للحرام نفسه، لأن الرزق عندهم هو ما صح الانتفاع به ولم يكن لأحد منعه، فطعام البهيمة وما استهلكه الغاضب من الطعام المغصوب بالأكل لا يكون رزقًا عندهم، لأن لمالك البهيمة منعها منه إلَّا إذا وجب رزقها عليه، والله تعالىٰ منع الغاصب من الانتفاع به من مضغه وبلعه، لأن تصرفاته محّرمة.

قوله: وأنكروا الجدل والمراء.

أي الاختلاف في الدين، يعني إذا ورد الشرع بشيء ولم يعلم العقل تأويله وكيفيته.

مثل عذاب القبر والحوض والصراط[1] والميزان وغير ذلك فإنهم يقدمون الشرع في مثل ذلك علىٰ العقل ويقبلونه ولا يجادلون فيه، وأنكروا الخصومة في القدر والتنازع فيه، لأن الخصومة فيه خصومة في تدبير الله، وجعله مخطئًا في التقدير والتدبير.

قوله: بما لهم، أي من الأوامر، **وعليهم**، أي من النواهي.

قوله: وهو علم الوقت.

أي العلم الذي طلبه أفضل الأعمال هو علم الوقت مما يجب عليهم الظاهر أو

---

(١) إثبات الصراط فيما رواه مسلم حديث (٢٩٩) كتاب الإيمان وفيه: «**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم» ومعناه يمد الصراط عليها، وفي هذا إثبات الصراط ومذهب أهل الحق إثباته وقد أجمع السلف علىٰ إثباته وهو جسر علىٰ متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون علىٰ حسب حالهم أي منازلهم وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون إن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري هنا في روايته الأخرى والمذكورة (يقصد حديث رقم (٣٠٢) كتاب الإيمان في صحيح مسلم).**

انظر شرح مسلم للنووي (١٩/٣) طبعة دار الكتب العلمية

وباطنًا، وهم أشفق الناس علىٰ خلق الله من فصيح وأعجم.

وأبذل الناس بما في أيديهم، وأزهدهم عما في أيدي الناس، وأشدهم إعراضًا عن الدنيا.

وأكثرهم طلبًا للسُّنّة والآثار، وأحرصهم علىٰ اتباعها.

الباطن، الظاهر الشريعة العامة، والباطن هو أداء حقيقة الشريعة.

قوله: من فصيح وأعجم.

أي من ناطق وغيره.

❋ ❋ ❋

الباب العشرون
فيما كلَّف[1] الله البالغين

أجمعوا أن جميع ما فرض الله تعالىٰ علىٰ العباد في كتابه وأوجبه رسول الله ﷺ فرض واجب وحتم لازم علىٰ العقلاء البالغين لا يجوز التخلف عنها ولا يسع التفريط فيها بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق وولي وعارف وإن بلغ أنهى المراتب وأعلى الدرجات وأشرف المقامات وأرفع المنازل.

وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحة ما حظر الله أو تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعذر والعلة ما أجمع عليه المسلمون، وجاءت به أحكام الشريعة.

ومن كان أصفى سرًّا وأعلى رتبة وأشرف مقامًا فإنه أشد اجتهادًا وأخلص عملًا

قوله: وأنه لا مقام للعبد، أي واجمعوا علىٰ أنه لا مقام يسقط معه آداب الشريعة من إباحتها ما حظر الله تعالى، أي ما حرمه الله.

قوله: والعذر والعلة.

أي في سقوط فرض، هو العذر الذي اجتمع عليه المسلمون في أنه يسقط معه الفرض[2].

---

(١) أصل التكاليف مشتق من الكلف وهي المشقات والعوالم تقسمت فتقسمت التكاليف فعالم كلفتهم في أداء العبادة وعالم كلفتهم في حيرتهم في موافقه الأمر والإرادة وعالم كلفتهم الخطاب الإلهي علىٰ هذا العالم الكياني مع رد الأفعال إليه واستحالة التكليف عليه.
المعجم الصوفي (ص٥٤)

(٢) الفرض هو الحكم الذي جاء بصيغة الأمر والإلزام أي أمر به الشرع أمرًا جازمًا بحيث لم يترك الاختيار للمكلف في فعله وتركه ويثاب فاعله ويأثم تاركه ويستحق العقاب.

وأكثر توقيًا. وأجمعوا أن الأفعال ليست بسبب للسعادة والشقاوة، وأن السعادة والشقاوة سابقتان بمشيئة الله تعالىٰ لهم ذلك وكتابه عليهم كما جاء في الحديث، قال عبد الله ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: **«هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم»**.

ثم أجمل علىٰ آخرهم ....

قوله: وأكثر توقيًا.

أي عما نهى عنه.

قوله: بمشيئة الله تعالىٰ لهم ذلك.

أي بإرادة الله تعالىٰ للعباد ما ذكر من السعادة والشقاوة وبكتاب الله عليهم، أي وبتقدير الله عليهم ذلك. قال رسول الله ﷺ: **«هذا كتاب من رب العالمين»**[١].

هذا كلام صدر علىٰ سبيل التمثيل والتصوير، وذلك أن المتكلم إذا أراد تحقيق قوله وتفهيم غيره واستحضار المعنى له كأنه ينظر إليه رأى عين صورة بصورة وأشار إليه إشارته إلىٰ المحسوس المشاهد.

فالنبي عليه الصلاة والسلام لما كوشف بحقيقة هذا الأمر وأطلعه الله عليه اطلاعًا لم يبق معه خفاء[٢] مثل المعنى الحاصل في قلبه بالشيء الحاصل في يده.

قوله: ثم أجمل علىٰ آخرهم.

الإجمال خلاف التفصيل، وهو جعل الحساب مجملًا أي مجموعًا بعد أن كان مفصلًا. مثل ما أثبت المحاسب في آخر الورقة مجموع ما فصله وجملته.

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٢١٤١)، وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٧)، والآجري في الشريعة (١٧٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٩٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣)، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٤٨٨).

(٢) الخفى لطيفة ربانية مودعه في الروح بالقوة فلا يحصل بالفعل إلّا بعد غلبات الواردات الربانية ليكون واسطة بين الحضرة والروح في قبول تجلي صفات الربوبية وإفاضة الفيض الإلهي علىٰ الروح. المعجم الصوفي (ص٩٠)

فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا وكذلك قال في أهل النار.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه»**[1].

وأجمعوا أنها ليست بموجبة للثواب والعقاب من حيث الاستحقاق.

بل من جهة الفضل والعدل، ومن جهة إيجاب الله تعالىٰ ذلك.

وأجمعوا أن نعيم الجنة[2] لمن سبق له من الله السعادة من غير علة وأن عذاب النار لمن سبق له من الله الشقاوة من غير علة كما قال: **«هؤلاء في الجنة**

والمعنى أي الإجمال وقع علىٰ من انتهى إليه التفصيل (أو ضرب بالإجمال علىٰ آخر التفصيل أو ختم بالإجمال علىٰ ذكر آخرهم وهو من انتهى إليه التفصيل)[3].

والحساب إنما يختم بذكر الجملة.

قوله: فلا يزاد فيهم.

أي علىٰ ما في الكتاب، ولا ينقص منهم، أي مما في الكتاب.

قوله: وأجمعوا أنها.

أي أن الأفعال من حيث الاستحقاق، أي من حيث استحقاق العبد له بعمله.

بل من جهة الله الفضل . أي الثواب من جهة الفضل والعقاب من جهة العدل، ومن جهة إيجاب الله تعالىٰ ذلك . أي الثواب والعقاب، لأنه أخبر الله به فيكون واجب الوقوع.

---

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٩/ ٢٠٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٥)، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٦)، والآجري في الشريعة (١٨٥)، والعجلوني في كشف الخفا (١/ ٥٤٧).

(٢) جنة الأفعال هي الجنة الصورية من جنس المطاعم والمشارب والمناكح ثوابًا للأعمال الصالحة وتسمى جنة الأعمال وجنة النفس وجنة الوراثة هي جنة الأخلاق الحاصلة بحسن المتابعة للنبي ﷺ.

المعجم الصوفي (ص٦٩)

(٣) وجدناه بالهامش.

ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»[(١)] .

وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ .

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] . وقالوا: إنها أعني أفعال العباد ـ علامات وأمارات علىٰ ما سبق لهم من الله، كما قال النبي ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[(٢)] .

وقال الجنيد: الطاعة عاجل بشراه علىٰ ما سبق لهم من الله تعالىٰ وكذلك المعصية.

وقال غيره: العبادات حلية الظواهر والحق لا يبيح تعطيل الجوارح من جلّاها.

وقال محمد بن علي الكتاني: الأعمال كسوة العبودية فمن أبعده الله عند

قوله: الطاعة عاجل بشراه.

أي بشارة من الله عاجله علىٰ ما سبق لهم من الله في الأزل من الحسنى، وكذلك المعصية بشرى عاجلة من الله علىٰ ما سبق لهم من الله من الشقاوة.

قوله: والحق لا يبيح تعطيل الجوارح من جلّاها.

يعني لا يباح تعطيل الجوارح من جلّاها وهي العبادة.

قوله: فمن أبعده الله تعالىٰ، أي عن الرحمة.

---

(١) أخرجه: أحمد بن حنبل في مسنده (٥/ ٣٣٩)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٠٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧/ ١٣٥)، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٥/ ٢٩٢).

(٢) تقدم تخريجه.

قال النووي: في هذه الأحاديث النهي عن ترك العمل والاتكال علىٰ ما سبق به القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له لا يقدر علىٰ غيره ومن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعملهم كما قال ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ و﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ وكما صرحت به هذه الأحاديث.
شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٦٠، ١٦١) طبعة دار الكتب العلمية

القسمة نزعها ومن قربه أشفق عليها ولزمها، وهم مع ذلك مجمعون علىٰ أن الله تعالىٰ يثيب عليها ويعاقب لأنه وعد علىٰ صالحها وأوعد علىٰ سيئها فهو ينجز وعده ويحقق وعيده لأنه صادق وخبره صدق[١] وقالوا علىٰ العبد بذل المجهود في أداء ما كلف وإتيان ما ندب إليه بعد التكليف وبعد إتيانها وإيفاء ما عليه تكون المشاهدات.

كما جاء في الحديث: «**من عمل بما علم ورثه الله علىٰ ما لم يعلم**»[٢].

عند القسمة. أي عند قسمتها في الأزل يدعها، أي يترك تلك الكسوة.

ومن قربة الله من الرحمة عند القسمة، أشفق علىٰ كسوة العبودية التي هي الأعمال ولزمها.

قوله: يثيب عليها.

أي علىٰ الأعمال.

قوله: في أداء ما كلف، أي ما كلف العباد به، **وإتيان ما ندب إليه بعد التكليف.**

قوله: بعد التكليف، ظرف ندب وحذف من قول كلف **وبعد إتيانها،** أي إتيان الأعمال ظرف يكون بعده **وإيفاء ما عليه،** أي ما علىٰ المكلف.

قوله: من عمل بما علم .... الحديث.

---

(١) في حديث مسلم كتاب القدر حديث رقم (١) عن ابن مسعود باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

وفيه: «**ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد .... الحديث**».

قال النووي: المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة والعمل والذكورة والأنوثه أنه يظهر ذلك للملك ويأمره بإنفاذه وكتابته وإلا فقضاء الله تعالىٰ سابق علىٰ ذلك وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الأزل والله أعلم.

النووي في شرح مسلم (١٦/١٥٨) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (١/٤٠٣، ٣/٤٤٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٠/ ١٥)، وعلي القاري علىٰ الأسرار (٣٢٥).

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥] .

والإتيان بعده يدلان علىٰ أن مشاهدة الباطن إنما يحصل بمجاهدة الظاهر وربط الفلاح إلىٰ النجاة. والوصول إلىٰ المراد بالجهاد كما قال الكبار المشاهدات مواريث المجاهدات، فمن كان أخلص عملًا ومجاهدة كان أصدق مشاهدة والمشاهدة علىٰ وجهين مشاهدة الزهاد[1] ومشاهدة العارفين.

الزاهد ينظر إلىٰ الأبد والعارف ينظر إلىٰ الأزل، فمن نظر إلىٰ الأبد يتمسك بالطاعة رجاء أن ينجو بها ومن نظر إلىٰ الأزل يتبرأ عن طاعته، فلا خوف عليه ولا رجاء، لأن الخوف والرجاء إنما يتطرقان إلىٰ ما يفعل في الزمان الآتي.

وما فعل ومضى فالخوف والرجاء لا ينفعان فيه وينظر إلىٰ الحق، ومن نظر إليه ورآه فنسي نفسه وعمله حتى قال الكبار: إذا أكدت المحبة للمحب تغلبت مشاهدة المحبوب علىٰ سره بحيث لا يكون له شعور بنفسه وبمحبته.

حكي أنه سئل المجنون[2]: أتحب ليلى؟ قال: لا.

قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأن المحبة ذريعه ـ (أي الوسيلة)[3] ـ الوصلة، فإذا

---

(١) الزهاد علىٰ ثلاث طبقات فمنهم المبتدئون الذين خلت أيديهم من الأملاك وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم، ومنهم المتحققون الذين يتركون حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، والفرقه الثالثة الذين زهدوا في الزهد وتابوا من زهدهم لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة، وقالوا الزهد قسمان: زهد مقدور هو ترك الطلب والتبرع بالوجود، وزهد غير مقدور هو أن يبرد قلب الزاهد من الدنيا بالكلية فلا يحبها أصلًا.

المعجم الصوفي (ص١١٧، ١١٨)

(٢) هو قيس بن الملوح شاعر غزل عربي من المتيمين من أهل نجد عاش في فتره خلافة مروان ابن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجره في باديه العرب لم يكن مجنونًا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى العامرية التي نشأ معها وعشقها فرفض أهلها أن يزوجوه بها فهام علىٰ وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش ويتغنى بحبه العذري فيرى حينًا في الشام وحينًا في نجد وحينًا في الحجاز وهو أحد القيسين الشعراء، وتوفي سنة (٦٨ هـ).

(٣) وجدناه بالهامش.

وقال يحيى: لن يصل إلىٰ قلبك روح المعرفة وله عليك حق لم تؤده.

وقال الجنيد: إن الله تعالىٰ يعامل عباده في الآخر علىٰ حسب ما عاملهم في الأول، بدأهم تكرمًا وأمرهم ترحمًا ....

وقعت الوصلة ارتفعت الذريعة، فأنا ليلى وليلى أنا.

قوله: قال يحيى: لن يصل إلىٰ قلبك روح المعرفة وله عليك حق لم تؤده.

الروح الراحة واللذة، فنفي راحة المعرفة عن قلبك إذا كان لله عندك حق لم تؤده لا نفس المعرفة.

قال بعض الكبار: الجفاء يسلب لذة المعرفة.

وكلام يحيى يدل علىٰ أن لذة المعرفة إنما تحصل إذا أدى العبد بما ندب إليه وأوفى ما عليه.

قوله: قال جنيد رحمة الله عليه: إن الله تعالىٰ يعامل عباده في الآخرة علىٰ حسب ما عاملهم في الأول هذا يدل علىٰ أن أعمال العباد ليست علة للثواب والعقاب، بل علة الآخر هي الأول يعني ما قسم أول يكون المعاملة آخرًا علىٰ ذلك المقدار.

فإن كانت القسمة في الأول قسمة فضل فالمعاملة في الآخر بالفضل، وإن كانت في الأول قسمة عدل فالمعاملة في الآخر بالعدل.

قوله: بدأهم تكرمًا، أي فعل بهم بالابتداء التكرم، لأن من أحسن إلىٰ شخص وهو مستغن عنه يكون ذلك الإحسان كرمًا.

ويدل ذلك علىٰ محبة الله لأوليائه من غير علة، وذلك عين التكرم، ومن أحب لا لعلة فلا يعرض لعلة[١].

قوله: وأمرهم ترحمًا، إما بمعنى أنه بين لهم الخير ليعلموه ويفعلوه ليحسن حالهم.

---

(١) بالهامش/ أي عن المحبوب بما صدر عنه.

وو عدهم تفضلًا ويزيدهم تكرمًا.

فمن شهد برّه القديم سهل عليه أداء أمره، ومن لزم أمره أدركه وعده،

فلو لم يبين لهم لم يعلموه فيكون ذلك ترحمًا ـ (عليهم وإما بمعنى أنه أمرهم دون الطاقة فيكون ذلك ترحمًا)[1]، لأن الأمر فوق الطاقة قهر وبمقدار الطاقة عدل ودون الطاقة فضل، وإما بمعنى أمرهم ليتزينوا بجمال الخدمة[2]، وذلك هو الترحم.

قوله: ووعدهم تفضلًا.

بناء علىٰ أنه لا يجب علىٰ الله تعالىٰ شيء، والمتفضل من يفعل إحسانًا لا يجب عليه.

قوله: ويزيدهم تكرمًا، معناه ما قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣]، وما زاد علىٰ ما فعله ابتداء إنما يكون تكرمًا لأن أصل الفعل إذا كان تكرمًا فالزائد عليه أولى أن يكون تكرمًا، وفيه إشارة إلىٰ أن الحكم الأزلي في القسمة اقتضى التكرم، فكذا حكم الأبد اقتضاه أيضًا، لأن حكم الأبد بما جرى في الأزل، فلا يختلف حكمه باختلاف الأزل والأبد وما بينهما، لأن حكمه لا يتقيد بشيء مما ذكر ليختلف.

قوله: فمن شهد بِرّه القديم سهل عليه أداء أمر يعني فمن رأى أو حضر إحسانه القديم ونظر إليه سهل بسببه عليه أداء أمره.

لأن من أحسن إلىٰ شخص مع الاستغناء عنه وعلم ذلك الشخص أن قصده بالإحسان إليه ليس إلَّا، وعلم ذلك أن المحسن مستغن عنه من جميع الوجوه فعلم بالضرورة أن المحسن لا يريد به إلَّا حسن حاله وإذا كان كذلك، فلو أمره المحسن بشيء سهل عليه إذًا أمره.

---

(١) وجدناه بالهامش.

(٢) الخدمة شأن من دخل الرباط مبتدئًا ولم يذق طعم العلم ولم ينتبه لنفائس الأحوال أن يؤمر بالخدمة لتكون عبادته خدمة ويجذب بحسن الخدمة قلوب أهل الله فتشمله بركه ذلك، ويعين الإخوان المشتغلين بالعبادة، ولا يحب المشايخ خدمة من ليس منهم فإنه قد لا يحب طريقهم، وربما استضر بالنظر إليهم أكثر مما ينتفع، والخادم المتصوف واقف مع نيته وهو يفعل الشيء لله تعالىٰ. المعجم الصوفي (ص٨٨)

ومن فاز بوعده لا بد أن يزيده.

وقال سهل بن عبد الله التستري: من غمض بصره عن الله طرفة عين فلا يهتدي طول عمره.

قوله: ومن فاز بوعده لا بدّ أن يزيده.

أي يزيده علىٰ أصل الإحسان الذي هو في الأزل بسبب حسن قيامه بأداء أمره.

قوله: من غمض بصره عن الله طرفة عين فلا يهتدي طول عمره.

المراد بهذا البصر بصر السرّ، والمراد من تغميض البصر عن الله هو رؤية غير الله تعالىٰ، فإن رؤية غير الله[1] يوجب تغميض البصر عنه، لأن رؤية غيره إما لأنه لا يريد الله، أو لأن ذلك الغير أحسن منه، وعلى التقديرين يوجب تغميض البصر عنه.

وذلك يستلزم الجهل به، ومن جهل به فلا يهتدي إليه طول عمره.

وأيضًا تغميض البصر عن الله تعالىٰ علامة الملال منه ومن ظهر عليه ذرة من علامة الملال من الأزل إلىٰ الأبد يكون كاذبًا في أصل دعوى المحبة، لأن شراب المحبة[2] ليس شرابًا يمل منه كل شراب يشرب لدفع العطس إلَّا شراب المحبة، فإنه مهما كان أكثر شربًا يكون أكثر عطشًا، ومع كثرة العطش بل مع العطش إلىٰ رؤية المحبوب لا يحصل الملال بل لا يخطر ذلك ببال المحب.

ومن هو كاذب في أصل دعوى المحبة فلا يهتدي طول عمره إلىٰ المحبوب إلَّا أن يهديه الله تعالىٰ.

* * *

---

(١) المقصود بالرؤية رؤية الحق وهي عند الصوفية من شواهد الأحوال والمقامات، وقيل فيها وهو خير ما قيل: إن لم تر الحق لم تكن به، وإن رأيت غيره لم تره.
المعجم الصوفي (ص١١٣)

(٢) الشراب عند السالكين عبارة عن العشق والمحبة والغياب عن الوعي والسكر وتحصل جميعًا من استجلاء طلعة المحبوب، وتجعل العاشق صامتًا غير واع.
وشراب السمع نور العارفين الذي يضيء قلب العارف صاحب الشهود.
المعجم الصوفي (ص١٣٣)

الباب الواحد والعشرون
قولهم في معرفة الله تعالى

أجمعوا علىٰ أن الدليل علىٰ الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلىٰ الدليل لأنه محدث، ....

قوله: قولهم في معرفة الله تعالى

أجمع أهل المعرفة علىٰ أن الدليل علىٰ الله هو الله وحده لقوله تعالىٰ حكاية عن الهدهد[1]: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤].

وعن النملة[2] حيث قال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] ولقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وهذه الآيات تدل علىٰ أن معرفة الله ليست بالعقل بمعنى أن العقل ليس بمستقلّ بها، بل العقل آلة ركبه الله تعالىٰ في الخلق لصحة الخطاب معهم.

وأيضًا يكون كثير من العقلاء لا يعرفون الله تعالىٰ وأيضًا أضاف الله تعالىٰ إحياء القلب بالإيمان إلىٰ نفسه حيث قال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٢] فجعله الله بصيرًا به.

---

(١) قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس: كان الهدهد مهندسًا يدل سليمان عليه السلام علىٰ الماء إذا كان بأرض فإن طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض كما يرى الإنسان الشيء الظاهر علىٰ وجه الأرض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض فإذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره.

تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧٠)

(٢) من المفسرين من قال إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها، والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكًا من ذلك.

المرجع السابق (٣/ ٣٧١)

والمحدث لا يدل إلّا علىٰ مثله.

وقال رجل للنوري: ما الدليل علىٰ الله؟ قال: الله قال: فما العقل؟ قال: العقل عاجز، والعاجز لا يدل إلّا علىٰ عاجز مثله.

وقال ابن عطاء: العقل آلة للعبودية لا للإشراف علىٰ الربوبية.

وقال غيره: العقل يحول حول الكون فإذا نظر إلىٰ المكون ذاب.

قوله: والمحدث لا يدل إلا علىٰ مثله، لأن كل شيء يفعل بمقدار قوته.

والمقصود الذي حصل من ذلك الفعل يكون بمقدار قوته فالعقل بقوة محدثه كيف يدرك القديم مع كمال قدمه.

قوله: قال العقل عاجز[١]. وإنما وصفه بالعجز لأنه موجود بإيجاد الله تعالىٰ وقادر بإحداث القدرة فيه، وعالم بتعليم الله إياه، ويبصر بخلق الله البصيرة فيه فيكون محتاجًا في جميع ما له إلىٰ الله تعالىٰ فكيف لا يكون موصوفًا بالعجز.

قوله: العقل آلة العبودية، أي ليعرف بها كيف يفعل العبودية لا للاطلاع علىٰ الربوبية، والذي يدل عليه هو أن أصل الوصول بالله عز وجل هو الإيمان إما بالأصالة أو بالتبعية، ولذلك يجد غير العاقل حكم الإيمان كالأطفال والمجانين ويرتفع عنه بعض أحكام الشريعة وهو العبودية.

وبالجملة العقل للتمييز بين الشيئين.

وهذا إنما يصح في العبودية لا في الربوبية، إذ لا اثنينية فيها.

قوله: العقل[٢] **يحول حول الكون، فإذا نظر إلىٰ المكون ذاب**، ومعنى الذوبان

---

(١) العقل عند الصوفية غريزه ولطيفه نورانية ربانية به يعرف الناس ما ينفعهم وما يضرهم من أمور الدنيا وربما تعرض صاحبه لما يضره في العواقب يوم القيامة ويقال له أيضًا عقل الفطرة أو عقل الحجة أو عقل التجربة وهو في المؤمن بالله واليوم الآخر وغير المؤمن مثل فلاسفة الرومان وحكماء الهند وغيرهم لأن هذا العقل عندهم لتأييد النفوس ومعاملة أهل الدنيا.
انظر الصوفية والعقل لمحمد عبد الله الشرقاوي

(٢) آفة العقل الهوى لأن الهوى ظلمه تستر أنوار العقل والروح وفطنة القلب: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

=

وقال القحطبي: من لحقته العقول[١] فهو مقهور إلَّا من جهة الإثبات، ولولا أنه تعرَّف إليها بالألطاف لما أدركته من جهة الإثبات.

ههنا انهزامه عند تجلي أنوار الحق لعدم طاقة بصر العقل لها كالشمس إذا طلعت لم يبق لنور الكوكب أثر لانهزامه عند ظهور نور الشمس ويحتمل أن يكون معناه العجز.

يعني يعجز العقل عند نظره إلىٰ المكون، فلا يجد إليه السبيل.

قوله: من لحقته العقول فهو مقهور إلأ من جهة الإثبات، أما إنه مقهور فلأن بالحقيقة العقول[٢] المكون والمكون أوجد من غير اختيار منه، وعدم من غير اختيار منه.

وما هو كذلك فهو مقهور فالله تعالىٰ منزه عن ذلك فهو خلوه عن أن يلحقه العقول إلَّا من جهة الإثبات يعني ليس للعقل سبيل إلىٰ الله إلَّا من جهة إثباته إياه.

ومعنى الإثبات أن يقر العقل بوجوده، لا أن يثبته في الخارج فإن ذلك محال، **ولولا أن يعرفه إليها بالألطاف لما أدركته من جهة الإثبات**، يعني لو لم يكن الله تعالىٰ متعرفًا

=

هذا وإن النطق أو البيان من أهم مظاهر العقل ثم الفهم ومنه ﴿فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣] أي اعقل وافهم، ثم الاستدلال بعد البيان والفهم وهذا الاستدلال العقلي ينطلق من الملاحظه الحسيه ثم ينتهي إلىٰ حكم عقلي.

انظر المرجع السابق

(١) قيل للنوري: بما عرفت الله؟ قال بالله، فقيل: فما بال العقل؟ قال: العقل عاجز لا يدل إلَّا علىٰ عاجز مثله العقل الأول هو مرتبة الوحدة وقيل هو محل تشكيل العلم الإلهي في الوجود لأنه العلم الأعلى ثم ينزل منه العلم إلىٰ اللوح المحفوظ، فهو إجمال اللوح واللوح تفصيله بل هو تفصيل علم الإجمال الإلهي واللوح محل تنزله ثم العقل الأول فيه من الأسرار الإلهية ما لا يسعه اللوح كما أن في اللوح من العلم الإلهي ما لا يكون العقل الأول محلًا له والعلم الإلهي هوام الكتاب والعقل الأول هو الإمام المبين واللوح هو الكتاب المبين.

المعجم الصوفي (ص١٧٦)

(٢) الصوفية ليسوا أعداء للعقل بما هو عقل ولكنهم ضد قصر نطاق المعرفة الإنسانية علىٰ هذا العقل الغريزي وإن ثقتهم به في نطاق التفكير المتنقل في حدود القيود العقلية لعالم الشهادة وإن كان يصلح في تحصيل المعرفة بالله فإنه لا يصلح للعلم به أي علم الذوق والمكاشفه وأحواله ومقاماته واستشعار حضوره والتمتع بألطافه والامتلاء بقربه فليس لهذا العقل سبيل إلىٰ ذلك.

انظر المرجع السابق

وأنشدونا لبعض الكبار:

من رامه بالعقل مسترشدًا سرحه في حيرة يلهو
وشاب بالتلبيس أسراره يقول من حيرته هل هو

وقال بعض الكبار: لا يعرفه إلَّا من تعرف إليه، ولا يوحده إلَّا من توحد له، ولا يؤمن به إلَّا من لطف له، ....

لنفسه إلىٰ العقول[1] بألطافه مثل عرفانهم حصول وجودهم من غيرهم وهو الله تعالىٰ لما اعترفت العقول بوجوده، لأن الاعتراف بوجوده إنما يكون بعد العلم به، والعلم به حاصل منه تعالىٰ.

قوله:

من رامه بالعقل مسترشدًا سرحه في حيرة يلهو

يعني من طلب الله بالعقل مسترشدًا أرسله وأهمله في حيرة يغفل عن الله ولم يجد السبيل إليه وخلط الله سرّه بالتلبيس بحيث يتحير.

ويقول من حيرته هل هو يعني هل الله موجود أم لا هذا إذا رام وجوده من وجود غيره فيتحير لأن وجوده لا يشبه وجود غيره ليطلب تعرفه منه وإذا كان العقل يقيسه علىٰ وجود غيره يكاد العقل[2] ينفي وجوده فيتردد.

قوله: ولا يؤمن به إلَّا من لطف له.

أي من لطف الله له، ولطف الله بالمؤمن هو تزيين الله الإيمان واستحسانه وخلو إرادته في قلبه واللطف يطلق علىٰ ما يقرب العبد إلىٰ الطاعة ويبعده عن المعصية وعلى

---

(١) يعلق التستري علىٰ قول الكفار في النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [المُلك: ١٠] بقوله: معنى ذلك أنهم كانوا يعقلون في الدنيا بعقل التدبر والتجارب وهو العقل الغريزي أما عقل الاقتداء والاهتداء في الدين فقد اعترفوا بفواته وحرمانه ومن ذلك أننا نرى العلوم علىٰ قدر العقول، أما عقل البصيره فهو علىٰ قدر الإيمان ولا حد له ولا نهاية لأن الله لا حد له ولا نهاية وهكذا منازل السالكين والعارفين.

(٢) العقل الغريزي به يكتشف العالم وهو حجة الله علىٰ الخلق وهو عقل الاهتداء وكلا العقلين متصلان فالغريزي يتجدد مع الزمان والثاني تعبير عن كلية الإنسان والحواس التي يهتدي بها العقل لإيمان القلب تحقق الهدفية الكبرى لوجود الإنسان والعمل بمقتضى هذا الإيمان.

ولا يصفه إلّا من تجلى لسرّه، ولا يخلص له إلّا من جذبه إليه، ....

الطاعة نفسها وترك المعصية **ولا يصفه إلاّ من تجلى لسرّه**، أي ولا يصف الله إلّا من تجلي[١] الله لسرّه.

التجلي الانكشاف، وفي اصطلاح الصوفية ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

وقيل: هو رفع الحجب البشرية، والسرّ يطلق علىٰ القلب وعلى معنى في القلب.

ومعنى هذا الكلام أن العبارة ترجمان السرّ، والسرّ نظارة الحق، والسرّ يرى واللسان يعبر عن رؤيته فتلك العبارة وصف.

فكل لسان يخبر عن السرّ ما رآه، والسرّ لا يرى إلّا ما أريه، فلو أري مستقيمًا لرأى مستقيمًا فأخبر صادقًا، ولو أري غير مستقيم لرآه هكذا، فأخبر هكذا.

وهذا لسان أهل المعاملة، وأما لسان أهل الحقيقة فقالوا: من عرفه لم يصفه ومن وصفه لم يعرفه.

ونذكر بعض معانيه وهو أن العبارات والوصف خبر عن الغائب وتجلي السرّ[٢] مشاهدة ومعاينة.

---

(١) التجلي عبارة عن ظهور ذات الله وصفاته وهذا هو التجلي الرباني وتجلي الروح أيضًا، وقيل: التجلي إشراق أنوار إقبال الحق علىٰ قلوب المقبلين عليه وقيل ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وهو علىٰ ثلاثة أحوال: تجلي الذات وتجلي صفات الذات، وتجلي حكم الذات، والأول هو المكاشفة أو كشوف القلب في الدنيا، والثاني موضع النور والثالث: يكون في الآخرة فريق في الجنة وفريق في السعير.

المعجم الصوفي (ص٤٨)

(٢) علاقة التجلي بالأسرار هو أن لا يظهر سر التجلي في عبارة تدل علىٰ الفهم، لأن من يعبر أو يفهم فذلك هو خاطر الاستدلال وليس نظرًا للإجلال، وقيل إن الحق عندما يتجلى للعبد فإن ذلك بالنسبة إلىٰ الحق يسمى شأنًا إلهيًا وبالنسبة إلىٰ العبد يسمى حالاً، ولا يخلو هذا التجلي من أن يكون الحاكم عليه أسماء من أسماء الله تعالىٰ أو وصفًا من أوصافه فذلك الحاكم هو المتجلي، وإن لم يكن له وصف أو اسم مما بأيدينا من الأسماء والصفات الإلهية فحال اسم ذلك الولي المتجلي عليه هو عين الاسم الذي تجلى به الحق عليه.

المعجم الصوفي (ص٤٨)

....

والإخبار في حال المشاهده شرك وفي حال الغيبة غيبة وبهتان.

وأيضًا الإخبار في حال المشاهدة محال لأن حال المشاهدة حال فناء، والإخبار في هذا الحال محال.

والإخبار في حال صار محجوبًا إخبار عن المحجوب فيكون كذابًا.

وأحسن منه أن يقال أن من أخبر لابد وأن يكون له شعور بالخلق ليخبرهم.

والشعور بالخلق كون معهم، ومن هو معهم لا يكون مع الحق ومن هو الحق لا يكون مع الخلق ولا يكون له منهم.

فمن هو بهذه الصفة لا شعور له بالخبر فيخبر.

وأيضًا الإخبار عبارة والعبارة للسان، واللسان إنما يعبر عما رآه السرّ، والسرّ ما رآه لا بقول واللسان يقول ما لا رآه، فحيث تكون المشاهدة لا تكون العبارة والقول.

وحيث تكون العبارة والقول لا تكون المشاهدة.

وفي حال المشاهدة يحرم التنفس فكيف العبارة.

وحكي أن الشبلي رحمه الله لما قُتل حسين بن منصور قال: ناجيت الله تلك الليلة علىٰ رأس قبره وصليت إلىٰ الصبح، فلما دخل السحر قلت: إلهي هذا عبد مؤمن بك وموحد ومن أوليائك ما هذا البلاء فعلت به فغلب عليّ النوم فسمعت مناديًا ينادي: هذا عبد من عبادنا اطلعناه علىٰ سرّ من أسرارنا فأفشاه إلىٰ الخلق فأنزلنا به ما ترى.

وقال الكبار: من أفشى سرّ الحق إلىٰ الخلق وأراد أن يحفظ ذلك الوقت عليه فأنزل عليه بلاء لا يطيقه الكون.

ولو لم ينزل عليه بلاء فذلك علامة أخذ ذلك الوقت منه قوله: ولا يخلص له إلَّا من جذبه إليه يعني لا يخلص لله مما يمنع ظاهره عن الخدمة، وشغل سرّه عن الله إلَّا من جذبه الله إليه مما يكون له سكون وطمأنينة معه بأن يعلمه أنه بلاءه ومانعه عن سعادته ليفر منه إليه.

ولا يصلح له إلّا من اصطنعه لنفسه.

معنى من تعرّف إليه أي من تعرّف الله إليه.

واعلم أن للحق مع خواصه معاملة وهي أن ما استأنس[1] به العبد وتسلى به يذهب به من عنده لئلا يستأنس به.

أو يصيره بلاء عليه ومحنة حتى تصير النعمة محنة والراحة نقمة.

فيصير في ذلك البلاء مهذبًا بحيث يخاف أن يخطر بسرّه غيره، وهو معنى الجذب.

قوله: ولا يصلح له إلّا من اصطنعه لنفسه.

أي من اصطفاه الله لنفسه بأن يقطعه عن غيره ويشغله به.

وهو معنى قوله تعالىٰ في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: الآية ٤١].

ومعنى الاصطناع ههنا الاصطفاء.

وبيان المعنى المذكور في قصة موسى عليه السلام هو أنه لما جرى علىٰ يديه قتل القبطي وقصد القبط قتل موسى عليه السلام فهربوه من بين قومه وأوقعوه في الغربة.

والقصة بطولها كان راعيًا لغنم شعيب عشر سنين.

فإذا وصل الذل بالنهاية فجاء الأمر بالذهاب إلىٰ الطور، فلما وصل إلىٰ وسط التيه دخل الليل مظلمًا مغيمًا، ورعدت السماء وبرقت وأمطرت وطلقت امرأته طلقًا ـ (الطلق وجع الولاده)[2] ـ.

---

(١) الأنس الخاص هو الأنس بالله وهو التذاذ الروح بكمال الجمال وهو من آثار مشاهدة الحضرة الإلهية في القلب وهو جمال الجلال، وقيل الأنس ضد الهيبة وقال الجنيد: الأنس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة، وقيل: الأنس أن تستأنس بالأذكار فتغيب عن رؤية الأغيار، وقيل إن لله تعالىٰ عبادًا استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناسًا من الناس في كثرتهم. المعجم الصوفي (ص٣٥)

(٢) وجدناه بالهامش.

ومعنى من توحد له أي أراده أنه واحد.

وقال الجنيد: المعرفة معرفتان معرفة تعرّف ومعرفة تعريف، معنى التعرّف أن يعرّفهم نفسه، ويعرّفهم الأشياء به.

كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

وهبت الريح فتفرقت الغنم، فأخذ موسى عليه السلام الزند ليقدح فجاءت الريح وذهبت بالحراق.

فذهب موسى في عقبه فجاءت الريح وذهبت بالمقدحة فذهب في عقبها فسلبت الريح حجر الزند[1].

وتألمت امرأته وبكى ولده.

فإذا لم يبق حيلة لموسى عليه السلام آنس من جانب الطور نارًا.

وحكي أنه من موضع موسى عليه السلام إلىٰ النار يكون ثلاثمائة ألف سنة، فوصل إليها بثلاث خطوات.

فالمحبة تقرب البعد، فنودي: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ۝٤١﴾ [طه: الآية ٤١].

فكيف أتركك أن تستأنس بغيري.

قوله: كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٧٦] هذه الآية تدل علىٰ أن إبراهيم عليه السلام لم يتمسك في معرفة الصانع بالمصنوع، بل ترك المصنوع وتمسك بما لا أفول له وهو الله تعالىٰ.

---

(١) في ذكر قصة موسى عليه السلام وكيف كان ابتداء الوحي إليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الأجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل قاصدًا بلاد مصر بعد ما طالت الغيبة عنها أكثر من عشر سنين ومعه زوجته فأضل الطريق وكانت ليلة شاتية ونزل منزلاً بين شعاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليوري نارًا كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئًا ولا يخرج منه شرر فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارًا فقال لأهله: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾.

تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٧)

ومعنى التعريف أن يريهم آثار قدرته في الآفاق والأنفس ثم يحدث فيهم لطفًا تدلهم الأشياء أن لها صانعًا.

وهذه معرفة عامة المؤمنين، والأولى معرفة الخواص وكل لم يعرفه في الحقيقة إلَّا به. وهذا كما قال محمد بن واسع: ما رأيت شيئًا إلّا ورأيت الله فيه.

وقال غيره: ما رأيت شيئًا إلّا ورأيت الله قبله.

وقال ابن عطاء: تعرّف إلىٰ العامة بخلقه لقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ

قوله: أن يريهم آثار قدرته من الدلائل والحجج[1] والآيات في آفاق العالم وفي أنفسهم.

قال الله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فُصّلت: الآية ٥٣].

قوله: وكل لم يعرفه في الحقيقة إلَّا به.

أما العوام فبتعريفه، وأما الخواص فبتعرفه إليهم.

قوله: ما رأيت شيئًا إلّا ورأيت الله فيه.

هذا استدلال بالمصنوع علىٰ الصانع وهو معرفه تعريف.

قوله: ما رأيت شيئًا إلَّا ورأيت الله قبله.

هذا استدلال بالصانع علىٰ المصنوع، وهو معرفة تعرف.

واعلم أن معرفة تعريف صفة الباقي[2]، ومعرفة تعرف صفة الفاني، فمن بقي

---

(١) حجة الحق علىٰ الخلق هو الإنسان الكامل كآدم عليه السلام حيث كان حجة علىٰ الملائكة في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البَقَرَة: ٣٣] إلىٰ قوله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٣٣].
المعجم الصوفي (ص٧٥)

(٢) من أسماء الله الحسنى الباقي وهو الذي لا يجوز عليه العدم ولا الفناء، وفي معناه الدائم وهو الذي لا انصرام لوجوده ولا فناء لبقائه.
ومن عرف أنه الباقي نظر لبقائه دائمًا حتى يغنى من لم يكن في نظره ويبقى من لم يزل.
والتقرب بهذا الاسم تعلقًا أن لا تعتبر بشيء سواه في أمورك، وتخلقًا أن لا تتحول عن طاعته بل تكون باقيًا فيها كما أشار إليه الحديث: «**فإن الله لا يمل حتى تملوا**».
شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٦٣) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [الغاشية: ١٧] الآية وإلى الخاصة بكلامه وصفاته بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وإلى الأنبياء بنفسه كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية.

بصفاته يستدل بالآيات والدلائل ويخبر، ومن فني عن صفاته وبقي بالحق فيتعرف إليه الحق فيعرفه ويعرف الأشياء به.

فقد ينتهي حاله في غلبات المشاهدة إلىٰ حيث لا يكون له شعور، فلا يخبر لأن الشعور والإخبار صفة المخبر وهو قد فني عن صفته.

قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: الآية ٨٢].

أي أفلا يتدبرون القرآن الذي هو كلامي وصفتي ليستدلوا به عليّ، لأنهم لما عجزوا عن الإتيان بسورة منه مع أنهم قادرون علىٰ الحروف التي تركب القرآن منها، وعارفون بتراكيبها علم أنه من عند الله فيستدلون به علىٰ الله.

قوله: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أخبر الله تعالىٰ بأن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين أي شفاء من داء الجهل والكفر، ووصول إلىٰ صحة العلم بالله.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠].

هذا استدلال بالاسم علىٰ المسمى.

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: الآية ٥٢] الآية.

يعني لا تنظر إلىٰ مجيء جبريل، بل انظر إلىٰ إرسالنا إياه إليك.

فلا تنظر منه إلينا بل انظر منا إليه.

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾.

أي بأمرنا أو حصل من أمرنا.

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] الآية.

وقال بعض الكبرياء من أهل المعرفة.

لم يبق بيني وبين الحق تبياني ... ولا دليل ولا آيات برهاني

هذا تجلي طلوع الحق نائرة ... قد أزهرت في تلاليها بسلطان

وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية ٤٥][1]، ولم يقل انظر إلى الظل لتراني، بل قال: انظر إلينا لترى مد الظل، فأمره بالنظر منه إلى غيره.

قوله: لم يبق بيني وبين الحق تبيان.

أي مبين له ولا دليل ولا آيات برهان لأن الدليل والآيات إنما يكونان لأجل العلم بالمدلول عند عدم ظهوره فإذا ظهر المدلول فلا حاجة إلى الدليل، بل طلبه حينئذ تحصيل للحاصل.

قوله:

هذا تجلي طلوع الحق نائرة ... قد أزهرت في تلاليها بسلطان

يعني أن سلطان تجلى طلوع الحق في سّرى[2] ظهر ظهورًا وغلب على غيره في الظهور بحيث لم يبق لغيره في سرّي عين، ولا أثر كالشمس إذا طلعت لم يبق لنور الكواكب أثر.

---

(١) قال ابن عباس وابن عمر وأبو العالية وأبو مالك ومسروق ومجاهد وغيرهم هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] أي دائمًا لا يزول ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥] أي لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف فإن الضد لا يعرف إلّا بضده.

تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٠)

(٢) سر التجليات هو شهود كل شيء في كل شيء وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب فيشهد أحدية الجمع بين الأسماء كلها لاتّصاف كل اسم بجميع الأسماء لاتحاد الأسماء بالذات الأحدية وامتيازها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها فيشهد كل شيء في كل شيء، والتجلي الأول هو التجلي الذاتي أو تجلي الذات لذاتها وهي الحضرة الأحدية التي لا نعت فيها ولا رسم إذ الذات هي الوجود الحق المحض لأنه ما سوى الوجود من حيث هو وجود ليس إلا العدم المطلق.

المعجم الصوفي (ص٤٩)

لا يعرف الحق إلّا من يُعرّفه ... لا يعرف القديم المحدث الفاني

لانهزامه عند ظهور نور الشمس، كما قال أبو يزيد: لو بدا للكون منه ذرة ما بقي الكون ولا ما هو فيه، حتى قال الكبار: إن الخلق قائم بالحجاب لا بالمشاهدة والسرّ قائم بالمشاهدة لا بالحجاب، فلو ارتفع الحجاب لغير السرّ لتلاشى، ولو ارتفع للسرّ يجد البقاء، وبحصول الحجاب له يتلاشى.

قوله هذا يجوز أن يشير به إلىٰ ما رآه في المصنوعات وظهر له فيها من الصانع.

ويجوز أن يشير به إلىٰ تجلي الحق في سرّه بحيث طمس سلطان طلوعه وظهوره وتلألؤه غيره عن سرّي ويجوز أن يشير به إلىٰ ما ذكر في البيت الأول من عدم بقاء ما هو مبين للحق من الدلائل والآيات.

قوله: لا يعرف الحق إلّا من يعرفه.

أي يعرفه الحق علىٰ ما ذكر من الوجهين في كلام جنيد رحمة الله عليه لا يعرف القديم المحدث الفاني.

يعني أن القديم[1] ليس له أول ولا آخر.

والمحدِث له أول وآخر، فكيف يعرف من له أول وآخر من لا أول له ولا آخر.

فإن من لا أول له ولا آخر غير متناه.

---

(١) المعتزلة قالوا أخص وصف لله ﷻ هو القدم وهو إجماع عندهم يقول الشهرستاني: والذي يعم طائفه المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالىٰ قديم والقدم أخص وصف ذاته وقال شيخ الإسلام رحمه الله: ومقصود المعتزلة من قولهم إن أخص وصف للرب القدم أن لا يثبتوا له صفة قديمة لامتناع المشاركة في أخص وصفه ونفي هذا النوع من التركيب في نظر المعتزله من جهة أنه يوجب كثرة في القديم وهذا يتنافى مع أخص وصف لله وهو القدم وإثبات صفة قديمة يجعل القديم أكثر من واحد أي يكون مركبًا، فلو كان موصوفًا بصفات قائمة بذاته لكانت حقيقة الألوهية مركبة من تلك الذات والصفات فإن الصفات لو شاركته في القدم الذي هو أخص وصفه جل وعلا لشاركته في الإلهية ولكانت آله مثل بزعمهم، ورد عليهم شيخ الإسلام بجواب كاف شاف من جهة التغاير في الصفات ضروره فإن الصفة الواحدة ليست هي عين الصفة الأخرى وهذا مما لا يمكن رده.

انظر درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٨)



لا يستدل علىٰ الباري بصنعته	رأيتم حدثًا ينبئ عن أزمان
كان الدليل له منه إليه به	من شاهد الحق في تنزيل فرقان
كان الدليل له منه به وله	حقًا وجدناه بل علمًا بتبيان

ومن له أول وآخر متناه، والمتناهي لا يكون له وسع غير المتناهي.

قوله:

لا يستدل علىٰ الباري بصنعته رأيتم حدثنا ينبئ عن أزمان

إنما لا يستدل عليه بذلك، لأن الباري لا يشبه صنعته بوجه ما ليستدل بها عليه.

بل إنما يستدل علىٰ إثباته.

ثم يتعجب ويعجب من الاستدلال بها عليه لأن صنعته حادثة، والحادث لا ينبئ ولا يدل إلَّا حالة وجوده علىٰ علة وجوده قبلية بالذات لا بالزمان فلا شيء عن أزمان قبل وجوده، أي عما قبل وجوده.

قوله:

كان الدليل له منه به وله حقًّا وجدناه بل علمًا بتبيان

اللام الأولى بمعنى ملك الإيجاد والباء بمعنى ملك البقاء.

يعني كما أنه وجد بإيجاده يكون باقيًا بإبقائه، فيكون الدليل في الوجود والبقاء محتاجًا إلىٰ الله تعالىٰ ويجوز أن تكون اللام الأولى بمعنى علىٰ.

أي كان الدليل عليه منه قوله منه، أي ابتداءً وبه أي قيامًا.

يعني أن الدليل عليه وجوده منه وبقاؤه به، وبإحداثه يكون دليلًا، فلو لم يحدثه لم يكن دليلًا فيثبت أن الدليل علىٰ الله هو الله لا غير.

قوله: حقًّا وجدناه.

أي وجدنا الكلام المذكور وهو أن الدليل علىٰ الله هو الله لا غير حقًّا وصدقًا.

بل وجدناه بعلم تبيانه من الله تعالى، فلو لم يبينه الله تعالىٰ لم نجده.

قوله: كان الدليل له منه إليه به.

يريد أن الدليل لا يكون من عند نفسه هاديًا إليه بل هذه الهداية إنما تكون من الله

هذا وجودي وتشريحي ومعتقدي	هذا توحد توحيدي وإيماني
وهذا عبارة أهل الانفراد به	ذوي المعارف في سر وإعلان

إلىٰ الله بالله لا بغيره قوله: من شاهد الحق في تنزيل فرقان يعني أقول هذه الكلام من شاهد الحق الذي أنزله في الفرقان[1]، وهو قوله تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: الآية ٥٣] .

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [فصلت: الآية ٥٣] وغيره من الآيات في هذا المعنى.

قوله: هذا وجودي وتشريحي ومعتقدي، أي هذا الذي ذكرت وجداني وتشريحي للتوحيد ينبغي أن تقدم معتقدي علىٰ تشريحي.

لأن الأول وجود، ثم اعتقاد، ثم الشرح.

قوله: هذا توحد توحيدي وإيماني.

أي توحد إيماني، يريد أن توحيدي وإيماني منفردان عن غيره له ولا يشوب بغيره.

قوله: وهذا عبارة أهل الانفراد به.

أي بالله، وأهل الانفراد بالله هم المنفردون بالسرّ له عن غيره، فيرونه لا غير.

كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»[2]، فإنه في حال تفرد سرّه بالحق.

قوله: ذوي المعارف في سرّ وإعلان.

يريد بالسرّ مشاهدة الباطن وبالإعلان عبارة الظاهر.

---

(١) الفرقان عند الصوفية هو عبارة عن حقيقة أسماء الله تعالىٰ وصفاته علىٰ اختلاف تنوعاتها فباعتباراتها تتميز كل صفة واسم عن غيرها فحصل الفرق في نفس الحق من حيث أسماؤه الحسنى وصفاته، فإن اسمه الرحيم غير اسمه الشديد واسمه المنعم غير اسمه المنتقم وصفة الرضا غير صفة الغضب وقد أشار إليه في الحديث النبوي عن الله تعالىٰ أنه يقول: «**سبقت رحمتي علىٰ غضبي**» لأن السابق أفضل من المسبوق.

المعجم الصوفي (ص١٩٢)

(٢) أخرجه: العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٢٤٤)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٩٩).



هذا وجود وجود الواجدين له	بني التجانس أصحابي وخلاني

يعني إذا رأى سرّ الحق لا غير، فيعبر لساني عنه لا عن غيره.

قوله: هذا وجود وجود الواجدين له.

المراد بالوجود الأول الحرة التي تحصل من الوجد، والوجود الثاني ما يقابل العدم.

معناه أن العبارة عن توحيد الحق[١] علىٰ الوجه المذكور حرقة وجود من وجد الحق، لأن قلب المحب إذا التهب نار محبته ظهر منه العبارة التي هي بمنزلة الدخان.

والإشارة التي هي بمنزلة حرارته.

يشير بهذا البيت إلىٰ أن عبارة هذه الطائفة بمنزلة يتلاشى الكون عندها، وإشارتهم بحيث يحترق الكون تحتها حتى قال بعض الكبار: لو أبدى الله تعالىٰ نار قلوب أحبائه لجهنم لرحمتهم نار جهنم.

وقد جاء الخبر في هذا المعنى أن الله تعالىٰ حين خلق النار قالت: إلهي لم خلقتني؟.

قال: لأعذب بك من عصاني.

قالت: يا رب فإن عصيت أنا فبم تعذبني، فأوحى الله تعالىٰ إليها بناري الكبرى.

قالت: يا رب وما نارك الكبرى.

قال: نار قلوب أحبائي.

وكما قيل بالنار خوفني قومي، فقلت لهم النار ترحم من في قلبه نار.

قوله: بني التجانس.

نداء أي يا بني التجانس ويا أصحابي ويا خلاني.

(١) التوحيد مراتب علم وعين وحق وعلمه ما ظهر بالبرهان، وتوحيد أهل الحقائق علىٰ الظاهر هو الإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأسباب والأشباه بإقامة الأمر والنهي في الظاهر والباطن وقيل توحيد العامه معناه توحيد الإقرار باللسان والتحقيق بالقلب بما يقرّبه اللسان بإثبات ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال ونفي ما نفى الله عن نفسه.
المعجم الصوفي (ص٦٠)

وقال بعض الكبراء: إن الله تعالىٰ عرّفنا نفسه بنفسه ودلنا علىٰ معرفة نفسه بنفسه، فقام شاهد المعرفة من المعرفة بالمعرفة بعد تعريف المعرّف بها.

معناه أن المعرفة لم يكن لها سبب غير أن الله تعالىٰ عرّف العارف فعُرف بتعريفه.

وقال بعض الكبار من المشايخ: البادي من المكونات معروف بنفسه

والأول: نداء للأشخاص الإنسانية.

والثاني: نداء لمن يصحبونه.

والثالث: نداء لمن تفردوا له في الخلة[1].

وهم عنده بمنزلة **قوله: إن الله تعالىٰ عرفنا نفسه بنفسه**، أي لا بغيره من الدلائل، بل معرف نفسه لنا هو لا غيره فعرفنا به، وكان هو دليلًا لنا بنفسه علىٰ معرفة نفسه.

يريد أنهم عرفوه بوصفه نفسه، ولولا هو لما عرفوه لكن الوصف لا يوجب معرفته وإلَّا لكان الكل عارفًا بالله، لأن وصفه لا يختص للبعض، لأنه وصف نفسه للكل، بل دلنا علىٰ معرفة نفسه بنفسه، فالواصف هو والدليل أيضًا هو نفسه.

فقام شاهد المعرفة من المعرفة، يعني شاهد المعرفة الذي صار قائمًا بالمعرفة لا يكون إلَّا من المعرفة يريد أنه لا شاهد علىٰ معرفة الحق للعارفين حتىٰ عرفوه به إلَّا تعريف الله ودلالته علىٰ نفسه، فيكون تعريفه شاهدًا لمعرفته لحديث المعرفة بتعريفه ثم المعرفة شهدت علىٰ أن الحق موجود لكن قيام هذا الشاهد وحصوله في سرّ العارفين بعد تعريف الله لهم المعرف بالمعرفة. ولولا تعريفه لم تكن المعرفة ولا شاهدها.

قوله: البادي من المكونات معروف بنفسه. المعروف اسم مفعول من المعرفة

---

(١) الخلة معناها تخلل شمائل المحبوب روحانية المحب حتى تتكيف بها النفس والروح وسائر الجملة الإنسانية فتتحرك أعضاء المحب وعن إرادة المحبوب المتحرك بها القلب فتستحيل المخالفة ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «**المرء علىٰ دين خليله**» يعني أن الذي أشرق في هذا من النور الإلهي هو الذي أشرق في الآخره لاتحاد محلهما فكان دينهما واحدًا أي مطلوبهما وفهمهما الذي يدركان به الحقائق واحد.

المعجم الصوفي (ص٩٠)



لهجوم العقل عليه، والحق أعز من أن تهجم العقول عليه، وإنه عرفنا نفسه أنه ربنا فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ولم يقل من أنا فتهجم العقول عليه حين بدا معرّفًا فلذلك انفرد عن العقول وتنزه عن التحصيل.

وأجمعوا أنه لا يعرفه إلّا ذو عقل، لأن العقل آلة للعبد يعرف به ما عرف، وهو بنفسه لا يعرف الله تعالىٰ وقال أبو بكر السباك: لما خلق الله العقل ....

لهجوم العقل عليه لأن العقل يقيس الباطن علىٰ الظاهر والغائب علىٰ الحاضر، بل يستدل بوجود غيره علىٰ وجوده، فلا يعرفه إلّا بغيره وهو أجل من أن يشبه غيره فيدركه العقل فهو أعز من أن يهجم عليه العقل[1]، ولأن علة الجمع والمعرفة التفريق، لأن حقيقتها نفي ما أثبته العقل بأنه غير الله وهما ضدان فلا يطلب أحدهما من الآخر.

قوله: ولم يقل من أنا، لأنه عرف قصور عرفانهم فاحتاجوا إلىٰ الثقلين، فلو قال من أنا، لكان هذا يوهم أن الله تعالىٰ علم من حال العقول أنهم يعرفونه ويهجمون عليه وليس كذلك.

قوله: حين بدا معرفًا.

حين ظرف لتهجم وبتميز الفاعل والمفعول في بدأه للحق ومعرفًا إلىٰ نفسه بقوله: من أنا حال، فكذلك انفرد عن العقول، أي من أجل أنه أعز من أن يهجم عليه العقول انفرد عن العقول من أن يهجموا عليه، لأن العقل يهجم علىٰ ما له نهاية، والحق وراء النهايات بل لا نهاية له وتنزه عن التحصيل، لأنه حاصل، والتحصيل لما ليس لحاصل.

---

(١) العقل أعجز من أن يتفكر في ذات الله والعقل موضعه مادي وذات الله لا يمكن أن يحيط بها عقل لذلك من أعمل عقله في ذات الله ربما هلك وربما اختل وربما أصيب بالجنون يقول عليه الصلاة والسلام: «**تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا**»، والعقل الصريح هو العقل الذي يقودك إلىٰ الخير والفلاح والنجاح وإلى الإيمان بالله والطاعة له والإقبال عليه.

قال له: من أنا؟ فسكت، فكحله بنور الوحدانية، ففتح عينيه فقال: أنت الله لا إله إلَّا أنت.

قوله: قال له من أنا؟ فسكت.

يجوز أن يكون سكوت العقل لأجل أن معرفته في جنب علم الحق يراها متلاشيًا ولا شيء، فلم يقدر أن يصفه بحيث يليق به، فسكت[1].

وفيه سرّ وهو أنه متعارف بين الخلق أن مدح الملوك في وجوههم ازدراء وعيب خاصة إذا صدر المدح من سفلة الناس وأراذلهم، فإنه أكثر عيبًا حتى يكاد الملك يغضب عليه، بل خدمه يزجرونه ويشتمونه علىٰ ذلك المدح، وإن كان قصده أن يشرف ويعز نفسه به لا مدح الملك.

قوله: فكحله بنور الوحدانية.

لما كان الكحل يزيد نور البصر عبر عن زيادة العلم والتبصير به ليقدر علىٰ أن يقول من هو.

وأيضًا الكحل زينة البصر فكحله أي زينه بمعرفة الوحدانية حتى عرفه بتزينه لا بنفسه، ففتح عينيه يريد أن جهله صار علما ونكرة ـ أي عدم عرفانه ـ صار معرفة، فإن الجهل عمى القلب والعلم بصره.

وروي أن موسى عليه السلام فقأ عين ملك الموت حين أراد قبض روحه وعجز عن جواب موسى إذ قال إن قبضت عن جهة سمعي فقد سمعت كلام الله، وإن قبضت عن جهة بصري، فقد نظرت في الألواح.

وعن جهة فمي فكلمت الله بفمي، وعن جهة يدي فقبضت الألواح بيدي، وعن جهة رجلي فمشيت برجلي إلىٰ مناجاة الله.

---

(١) العقل التبريري عقل ساقط محتقر يغطي الشهوات والانحرافات ولطالما جلست إلىٰ إنسان عاص واستمعت إلىٰ تبرير أعماله فاعلم أنه يستخدهم العقل التبريري وأما الإنسان العاقل المستقيم يستخدم عقله الصريح وهو الفطرة السليمة، والعقل إذا استخدم لخلاف ما خلق الله يكون سبب الدمار قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾، والذي يستنير بوحي الله وتوجيهات الخالق قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾.

فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلّا بالله.

فقد عجز ملك الموت عن جوابه وعبر عن عجزه عن جوابه بفقء عينه[1]، فإنه متعارف بين الناس أنه لو عجز أحد في عمل يقال له صار أعمى.

وروى أيضًا أن الله تعالىٰ أعطاه عينه يعني علمه جواب موسى عليه السلام حتى قال لموسى إني ذهبت بك إلىٰ رؤية من تشتاق إلىٰ رؤيته، فإن صدق وصح اشتياقك إليه، فلأي شيء الامتناع.

❊ ❊ ❊

---

(١) ما ورد في قصة ملك الموت مع موسى في إشكالات حول المتن مبنيه علىٰ أساس أن موسى عليه السلام قد عرف ملك الموت وأنه جاء لقبض روحه ومع ذلك دافعه ونازعه واعتدى عليه رافضًا الاستجابة لأمر الله وهذا الكلام مردود جملة وتفصيلاً لأنه أرسله لموسى في المرة الأولى ابتلاء واختبارًا ولم يرسله إليه وهو يريد قبض روحه حينئذ وأمره أن يقول له أجب ربك أمر ابتلاء لا أمرًا يريد إمضاءه، وأن موسى لم يكن يعرف أنه ملك الموت بل ظنه شخص جاء ليعتدي عليه فدافع عن نفسه بما يستطيع فأدت المدافعه إلىٰ فقء عينه.

ولأن كراهية الموت أمر فطري في البشر وشرع الله الدفاع عن النفس والأنبياء أعظم الناس شجاعة.

والصورة التي تصور بها ملك الموت غير الصورة الحقيقية التي خلقه الله عليها فلا يقال كيف تمكن موسى بالوقيعة بملك الموت ومن ثم فإن اللطمة إنما وقع تأثيرها علىٰ تلك الصورة العارضة فحدث ما حدث.

الباب الثاني والعشرون
اختلافهم في المعرفة نفسها

ثم اختلفوا في المعرفة[1] نفسها ما هي، فقال الجنيد المعرفة وجود جهلك عند قيام علمه.

قيل له زدنا، قال: هو العارف وهو المعروف معناه لأنك جاهل به من حيث أنت وإنما عرفته من حيث هو، وهو كما قال سهل: المعرفة هي المعرفة بالجهل وقال سهل: العلم يثبت بالمعرفة، والعقل يثبت بالعلم، وأما المعرفة فإنها تثبت بذاتها.

معناه إن الله تعالىٰ إذا عرّف عبدًا نفسه فعرف الله تعالىٰ بتعرّفه إليه أحدث له بعد ذلك علمًا فأدرك العلم بالمعرفة وقام العقل فيه بالعلم الذي أحدثه فيه.

وقال غيره: تبين الأشياء علىٰ الظاهر علم، وتبينها علىٰ استكشاف بواطنها معرفة.

وقال غيره: أباح العلم للعامة وخص أولياءه بالمعرفة.

وقال أبو بكر الوراق: المعرفة معرفة الأشياء بصورها وسماتها.

قوله: أحدث له بعد ذلك علمًا، أي علمًا بالأشياء.

قوله: وقام العقل فيه، أي في العبد **بالعلم الذي أحدثه فيه.**

لأن العقل هو المميز بين الأشياء.

---

(١) ما يسميه الصوفية معرفة هي نوع من الذوق لا دخل للعقل فيه، وهي شهود القلب الذي استضاء بنور الله للحق سبحانه ثم إن المعرفة تتضمن فوق ذلك فناء إنية العبد بذهاب صفات البشرية عنه والبقاء بصفات الله، وينسب الصوفي كل معرفة بالله إلىٰ الله نفسه، لأنه تعالىٰ هو الذي يرفع عن العارف حجاب الغيرية والاثنينية بحيث يصبح العارف عين المعروف.
وقيل المعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة.

المعجم الصوفي (ص٢٣٥)



والعلم علم الأشياء بحقائقها.

وقال أبو سعيد الخراز: المعرفة بالله هي علم الطلب لله من قبل الوجود له[١]. والعلم بالله هو بعد الوجود، فالعلم بالله أخفى وأرق من المعرفة بالله.

وقال فارس: المعرفة هي المستوفية في كنه المعروف.

وقال غيره: المعرفة هي حقر الأقدار إلَّا قدر الله وأن لا يشهد مع قدر الله قدرًا. وقيل لذي النون: بم عرفت ربك؟

قال: ما هممت بمعصية فذكرت جلال الله إلا استحييت منه جعل معرفته بقرب الله منه دلالة المعرفة له وقيل لعليان: كيف حالك مع المولى؟

قال: ما جفوته منذ عرفته.

قيل له: متى عرفته؟

قال: منذ سموني مجنونًا.

جعل دلالة معرفته[٢] له تعظيم قدره عنده.

قال سهل: سبحان من لم يدرك العباد من معرفته إلَّا عجزًا عن معرفته.

وهذا التمييز يقوم بالعلم، لأنه لولا هو لم يميز العقل، فكان لا عقل.

❊ ❊ ❊

---

(١) معرفة الحق هي إثبات وحدانيته على ما أبرز من الصفات ومعرفة الحقيقة لا سبيل إليها لامتناع الصمدية واستحالة الإحاطة بالربوبية يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] لأنه تعالى الصمد الذي لا تدرك حقائق نعوته وصفاته، وقيل المعرفة على ثلاثة أوجه: معرفة إقرار ومعرفة حقيقة ومعرفة مشاهده.

المرجع السابق (ص٢٣٦)

(٢) معرفة الولي العارف هي صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته وصدق الله في معاملاته وتنقى عن الأخلاق الرديئة، وطال بالباب وقوفه وداوم الاعتكاف فتتحقق له من ذلك خواطر وتدوم مناجاته لله في السر فيصير محدثًا من قبل الحق بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره وهذه الحالة هي التي يسمونها المعرفة.

المعجم الصوفي (ص٢٣٦)

الباب الثالث والعشرون
قولهم في الروح

قال الجنيد: الروح شيء استأثر[1] الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود لقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال أبو عبد الله النباجي: الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود[2].

قال ابن عطاء: خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ

قوله: قولهم في الروح

قال جنيد رحمة الله عليه: الروح شيء استأثر الله تعالىٰ بعلمه، أي استبد الله تعالىٰ وتفرد بالعلم به.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: الآية ٨٥].

يعني قل يا محمد إن الروح شيء قلت له كن فكان.

قوله: يلطف عن الحس.

أي عن أن يدركه الحس.

قوله: قال ابن عطاء: خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ

---

(١) بالهامش: استأثر بالشيء بركز يدش به، كذا بالهامش وأظنها كلمه فارسية.

(٢) الروح جسم لطيف عن الحس ويكبر عن اللمس فهو لطيف قام في كثيف كالبصر لطيف قام في كثيف ولا يعبر عنه بأكثر من أنه موجود.

وأجمع الجمهور علىٰ أن الروح معنى يحيا به الجسد، ولم يحدث أن ادخل الله تعالىٰ الروح تحت ذل "كن" بمعنى أنه أي الروح ليس إلّا الإحياء، والحي والإحياء صفة المحيي كالتخليق صفة الخالق.

المعجم الصوفي (ص١١٠، ١١١)

خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأرواح ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأجساد.

خَلَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأرواح، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأجساد، وفي أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد أم لا، خلاف منهم من ذهب إلىٰ أنها مخلوقة قبلها.

استدل بما ذكر من الآية، وبقوله عليه الصلاة والسلام: «**خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام**»[١]. وبقوله عليه الصلاة والسلام أيضًا: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[٢].

قال أهل المعرفة: معنى الحديث أنه لما خلق الله الأرواح وجعلها ماثلين - (أي قائمين منتصبين)[٣] - بين يديه.

فالمقدم منها بالقرب إلىٰ الله عز وجل هو روح رسول الله ﷺ، ثم أرواح أولي العزم ثم أرواح الرسل، ثم أرواح الأنبياء، ثم أرواح الصديقين، ثم أرواح الشهداء، ثم أرواح الأولياء، ثم أرواح عامة المؤمنين[٤]، لكل طائفة منها صف وقع التعارف

---

(١) أخرجه العجلوني في كشف الخفا (١/ ٢٦٥).

(٢) الحديث: أخرجه: البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٢)، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة، حديث رقم (١٥٩، ١٦٠)، وأبو داود في سننه (٤٨٣٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥، ٥٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٣٢٣، ١/ ٢٨٣)، والتبريزي في المشكاة (٥٠٠٣، ٥٠٠٤) أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٩٨، ٤/ ٦٧، ١١٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٦٥)، وابن حجر في المطالب العالية (٣٤٤٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٢٩).

(٣) وجدناه بالهامش.

(٤) في حديث «**الأرواح جنود مجندة**» قال النووي: قال العلماء معناه جموع مجتمعة أو أنواع، وأما تعارفها فهو لأمر جعلها الله عليه.

وقيل: إنها موافقه صفاتها التي جعلها الله عليها وتناسبها في شيمها، وقيل: لأنها خلقت مجتمعة ثم فرقت في أجسادها فمن وافق بشيمه ألفه ومن باعده نافره، وقال الخطابي وغيره: تآلفها هو ما خلقها الله عليه من السعادة أو الشقاوة في المبتدأ، وكانت الأرواح قسمين متقابلين فإذا تلاقت الأجساد في الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه فيميل الأخيار إلىٰ الأخيار والأشرار إلىٰ الأشرار والله أعلم.

شرح مسلم للنووي (١٦/ ١٥٢) طبعة دار الكتب العلمية

وقال غيره: الروح لطيف قام في كثيف، كالبصر جوهر لطيف قام كثيف.

بينها في صفها، فإذا نزلوا إلىٰ الدنيا وتعلقوا بالأجساد، فالذين كانوا في صف واحد يكون بينهم تآلف في عالم الأجساد ووقوع الاختلاف بينهم في الأجساد لاختلاف الصفوف حينئذ.

وقالت طائفة معناه أن الله تعالىٰ لما استخرج ذرية آدم من صلبه فخاطبهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢].

والرب اسم عام للمؤمنين والكافرين، لأن الكل مربوبون لله تعالى، فالخطاب واحد مع الكل، لكن وقع سماع المخاطبين مخلفًا، فسمع طائفة بصفة الهيبة، فكان الخوف[(١)] نصيبهم كالخائفين والزاهدين وطائفة أخرى بصفة الكرم، فكان الرجاء والأنس نصيبهم.

وطائفة أخرى بصفة العظمة فنصيبهم التعظيم والاحترام وطائفة أخرى بصفة الفضل فنصيبهم السعادة والقرب وطائفة أخرى بصفة العدل فنصيبهم الشقاوة والبعد وكذا سائر الصفات، فكل طائفة اسمعوا ذلك الخطاب بصفة كان بينهم التعارف أيضًا باشتراك سماعهم للخطاب في تلك الصفة فائتلفوا ههنا.

والتناكر إنما كان لأجل اختلاف سماعهم للخطاب بالصفة فاختلفوا ههنا.

قوله: الروح لطيف قام في كثيف.

أي في الجسد **كالبصر جوهر لطيف قام في كثيف،** أي في الحدقة الكثيف الظاهر، واللطيف سرّ الظاهر يعني أن المراد من الجوارح ليس عين تلك الجارحة بل

---

(١) الخوف هو الحياء من المعاصي والمناهي والتألم منها يقول النبي ﷺ: «**أنا أخوفكم لله تعالى**».
وأوحى إلىٰ داود خفني كما يخاف السبع الفأر.
وقال: من خاف الله خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء.
وقيل الخوف علىٰ ضربين: رهبة وخشية، فصاحب الرهبة يلتجئ إلىٰ الهرب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجئ إلىٰ الرب وقال مالك بن دينار، علامة الخوف اجتناب ما نهى الله عنه وقال أبو سليمان: ما فارق الخوف قلبًا إلّا خرب.

المعجم الصوفي (ص٩٢)



وأجمع الجمهور علىٰ أن الروح معنى يحيى به الجسد.

المراد منها معنى خلق فيها كالنطق في اللسان والسمع في الأذن والبصر في العين.

والبطش في اليد والمشي في الرجل، فكذا الجسد ليس المراد منه نفسه، بل المراد منه ما هو حي به، وهو الروح، فكل جارحة معناها فيها يكون لها اعتبار وإلّا فلا وكما كان حصول معاني الجوارح وبقاؤها مسبوقين يتقدم حصول الروح للجسد، فلو فقد الروح من الجسد[١] لما بقيت المعاني، لكن يجوز وجود الروح من غير تلك المعاني.

فالمعاني قائمة بالروح وهي السرّ، والروح سرّ السرّ وكما أن وجود الجوارح من غير تلك المعاني نكون أمواتًا وبها نصير أحياء، فكذا الجسد وجد الحياه بالروح، وبمفارقته عنه يصير ميتًا.

فالروح سرّ الأسرار وقطب المعاني وأصلها، والمعاني فروعها.

والخلق يعجز عن إدراك فرع له، فإنهم عاجزون عن معرفة حقيقة السمع والبصر والصوت، فكيف لا يعجزون عن معرفة حقيقة الأصل الذي هو الروح فإذا عجزوا عن معرفة هذه المصنوعات، فكيف عن معرفة الصانع، لأنه ألطف من الروح الذي هو ألطف من المعاني المذكورة، فإذا عجزوا عن معرفة لطيف للطافته، فكيف ما هو ألطف من كل شيء، بل لطافة كل شيء معارة من لطافته[٢].

وهو معنى قوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه.

---

(١) الروح ليس معنى في الجسد يحل فيه حلولاً مخلوقًا كالجسد وقد استدرك البعض علىٰ ذلك وغلطوه وقال إنما الروح معنى في الجسد ومخلوق مثله وقيل الأصوب إن الروح روحان: روح به حياة الخلق، وروح به ضياء القلب.

المعجم الصوفي (ص١١١)

(٢) اللطيفة إشارة إلىٰ القلب عن دقائق الحال، وقيل إشارة تلوح في الفهم وتلمع في الذهن ولا تسعها العبارة لدقة معناها.

قال أبو سعيد بن الأعرابي: الحق يريدك بلطيفة من لدنه تدرك ما يريد بك إدراكه، واللطيفة الإنسانية هي النفس الناطقة المسماة عندهم بالقلب وهي في الحقيقة تنزل الروح إلىٰ رتبة قريبة من النفس مناسبة لها بوجه ومناسبة للروح بوجه ويسمى الوجه الأول الصدر والثاني الفؤاد.

المعجم الصوفي (ص٢١٣)



وقال بعضهم: هو روح نسيم طيب يكون به الحياة، والنفس ريح حارة تكون بها الحركات والشهوات.

أو معناه: من عرف نفسه بالعجز والضعف والنقصان فقد عرف ربه بالقدرة والقوة والكمال.

وقال بعضهم: متى قالت هذه الطائفة السرّ كذا وكذا يعنون به الروح ومعاني الروح، ومتى قالوا سرّ السرّ يعنون به اتصال الروح بالحق فالروح سرّ بالنسبة إلىٰ الخلق، والحق سرّ بالنسبة إلىٰ الروح.

قوله: قال بعضهم: هو روح نسيم طيب يكون به الحياة، والنفس ريح حارة تكون بها الحركات والشهوات.

فرق بين الروح والنفس بأن الروح معنى يكون به الحياة، والنفس يكون به الشهوات ومعاني الحواس، وإنما قال ذلك بناء علىٰ أنه يجوز وجود الروح والحياة من غير وجود الحواس مثل السمع والبصر كالصدف فإنه لا حاسة له أصلًا فلو كانت الحواس بسبب الروح، والحياه فقط فعند بقائهما يجب بقاء الحواس.

وليس كذلك، فثبت أن أصل الحياة بالروح ومعاني الحواس وليدة علىٰ الروح.

فالمعنى الذي أصل الحياة به يسمى الروح.

والمعنى الذي قيام معاني الحواس به يسمى النفس[1].

وقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه النفس والقلب والروح وذكر للنفس صفات أربعة[2]،

---

(١) النفس خمسة أضرب: حيوانية، وأمارة، وملهمة، ولوامة، ومطمئنة، وكلها أسماء للروح إذ ليست حقيقة النفس إلا الروح وليست حقيقة الروح إلا الحق.

(٢) النفس الأمارة هي التي يقول عنها الحق: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] باعتبار ما يأتيها من المقتضيات الطبيعية الشهوانية للانهماك في اللذات الحيوانية وعدم المبالاة بالأوامر والنواهي والنفس الملهمة باعتبار ما يلهمها الله تعالىٰ من الخير، والنفس اللوامة هي التي يقسم بها الحق إذ يقول: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ٢] فكأنها تلوم نفسها وتتوب عن سيئاتها والنفس المطمئنة هي التي تتنور بنور القلب فتنخلع عن صفاتها الذميمة.
المعجم الصوفي (ص٢٤٦)

وسئل القحطبي عن الروح فقال: لم يدخل تحت ذل كن، ومعناه عنده أنه ليس إلا الإحياء والحي والإحياء صفة المحيي كالتخليق، والخلق صفة الخالق.

واستدل من قال ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

فتارة سماها لوامة كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾. وتارة سماها ملهمة كقوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾.

وتارة سماها مطمئنة كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: الآية ٢٧].

وتارة سماها أمارة كقوله تعالىٰ حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾.

والخلق إنما عجزوا عن معرفة النفس لاتصافها بالصفات التي لا تتراءى ناراهما[1]، ولا يكاد تدخل تحت قدر مشترك.

وأما القلب فتارة سماه منيبًا حيث قال: ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: الآية ٣٣].

وتارة سماه سليمًا حيث قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: الآية ٨٩].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**مثل القلب كريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهرًا لبطن**»[2].

وله صفة تقلّب وليس القلب تلك البضعة.

وأما الروح فذكر الله اسمه ولم يبين حقيقته حيث قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: الآية ٨٥].

وأهل الحقيقة يقولون إنَّا لا نعرف حقيقة هذه الثلاثة ولكن نذكرها بصفاتها ليعلم مراد الحق منها.

---

(١) بالهامش/ قوله لا تتراءى نارهما لخيار عن بعد أحدهما عن الآخر.

(٢) الحديث أخرجه: ابن ماجه في سننه (٨٨)، والزبيدي في الإتحاف (٧/ ٣٠٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٠٢)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٢٣)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٠٣)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣/ ٤٥)، والقرطبي في تفسيره (١/ ١٨٨).

....

فالروح نوراني سماوي علوي رباني، والنفس ظلماني أرضي سفلي شيطاني.

وصفة الروح كلها طيب وموافقة، وصفة النفس كلها خبث ومخالفة.

والقلب يتقلب بينهما، ولذلك سمي قلبًا.

وفي تقلبه تارة يوافق الروح فيعرج معه، وتارة يوافق النفس ويميل معها إلىٰ السفل ويذهب معها إليه، فإذا وافق الروح فيقهران النفس فتظهر الموافقه والطاعة.

وإذا وافق النفس فيقهران الروح فتظهر المخالفة والمعصية مثل تقلب القلب مثل تقلب الفلك، فتارة في تقلبه تغيب الشمس تحت الأرض فيظلم العالم.

وتارة يصعدها فوق الفلك فينور العالم، الروح كالشمس، والنفس كالأرض، والقلب كالفلك، فتارة يدخل القلب الروح تحت النفس فيحجب الروح بالنفس فيعجز عن إعطاء النور فظهرت ظلمة الجفاء وتارة يصعد الروح إلىٰ العالم العلوي[1] فيتبعه النفس فيظهر ضياء الموافقة.

وقال الكبار: مدد ضياء الشمس من العرش.

ومدد ضياء الروح من الحق، فلو أمسك العرش مدده عن ضياء الشمس لاسودت فكذلك لو أمسك الله تعالىٰ مدده عن الروح لاسودت الروح.

وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالىٰ ينظر في قلب كل مؤمن**

---

(١) روح القدس هي روح الأرواح وليس كالأرواح لأنه روح الله وهو المنفوخ منه في آدم ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فروح آدم مخلوق، روح الله ليس بمخلوق فهو روح القدس أي الروح المقدس عن النقائض الكونية وهو المعبر عنه بالوجود الإلهي في المخلوقات.

والمعبر عنه في الآية الكريمه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١١٥] يعني هذا الروح المقدس الذي أقام الله به الوجود الكوني فأينما تولوا بإحساسكم في المحسوسات أو بأفكاركم في المعقولات فإن الروح المقدس متعين بكمال فيه لأنه عبارة عن الوجه الإلهي القائم بالوجود.

المعجم الصوفي (ص١١٢)

قالوا: أمره كلامه، وكلامه ليس بمخلوق كأنهم قالوا: إنما صار الحي حيًّا بقوله: كن حيًّا، ....

ومؤمنة ثلاثمائة وستين نظرة في كل يوم وليلة إذا هيأ الشيطان والنفس الجيش ليغلبا القلب والروح».

فنظر الله تعالىٰ إليهما ليصير مددًا لهما ويغلباهما.

والحق يغلب ولا يُغلب.

وفيه سرّ أحسن منه، وهو أن نظر الحق تأثير المشاهدة، فإذا نظر القلب إلىٰ غير الحق ليحجب المنظور إليه بين القلب والحق فينظر الحق فيحترق الحجاب ولكن بين لهذه المشاهدة عددًا، وهو ثلاثمائة وستون نظرة وهو أن الحجاب[1] علىٰ الدوام يلقى التجانب والمشاهدة علىٰ الدوام توجب الحيرة وتنفي صفات العبد عنه، وتوجب تعطيل المعاني، فإذا علم الله تعالىٰ أن يلقى الحجاب التجانب فينظر ليخترق الحجاب.

وإذا علم الله أن غلبة المشاهدة تفني القلب عن المعرفة وتعطل الجوارح عن الخدمة فأمسك الله تعالىٰ النظر ليبقى بإمساك النظر، فتارة يفنيه بالمشاهدة، وتارة يبقيه بالحجاب، فإذا حجب يقوم بوجوده ويغيب عن الحق ويشتغل بالخدمة.

وإذا حصلت المشاهدة فيغيب عن وجوده ونفسه ويقوم بالحق.

وفي حال الحجاب أراه الله نفسه فيرى ذله، وفي حال المشاهدة يريه الله عزه فيراه، فهو يعيش بين ذله وعز الحق، وتبيين عدد النظر لأجل ذلك.

قوله: فقال لم يدخل تحت ذل كن.

إشارة إلىٰ قدم الروح، يريد أن ما دخل تحت ذل كن فهو محدث، والموجود الذي

---

(١) حجاب النفس الشهوات وحجاب الملاحظة في غير الحق، وحجاب العقل وقوفه مع المعاني المعقولة وحجاب السر هو الوقوف مع الأسرار فإذا انكشفت للسالك بعض أسرار الخلق واكتفى بها فإن الحجاب يقطع طريقه فيجب أن يخطو خطوة للأمام، وحجاب الروح المكاشفة ويسمون ذلك الكشف الروحاني وفي هذا المقام تظهر الكرامات فإذا اكتفى بها يقطع.
المعجم الصوفي (ص٧٤)

وليس الروح معنى في الجسد حالًا.

لم يدخل تحت ذل كن فهو قديم، فالروح إذا لم تدخل تحت ذل كن، تكون قديمًا.

قال صاحب الكتاب معنى هذا الكلام عند القحطبي: أنه ليس إلَّا الإحياء والحي أي إحياء الله هذا فحي، والإحياء صفة المحي الذي الله[1].

والحي الذي هو الجسد حي بالإحياء لا بحياة فيه وهو حي الروح، فكأنه قال إنما صار الحي حيًّا بقوله تعالىٰ: كن حيًّا لا بحياة فيه وهو الروح، لأن الروح ليس معنى في الجسد، بل هو من أمر الله، وأمره كلامه، وكلامه ليس بمخلوق، فالروح ليس بمخلوق.

يريد بالمخلوق ههنا المحدث الزماني.

وضعف هذا الكلام من جهة الاستدلال ظاهر لأنه لو كان معنى أنه لم يدخل تحت ذل كن ليس إلَّا الإحياء والحي.

ويلزم منه قدم الروح يلزم أن يكون الحركة والسكون وغيرهما من الصفات قديمة، لأن المتحرك متحرك بتحريك محرك، والساكن ساكن بتسكين مسكن.

وأيضًا لو كان صيرورة الحي حيًّا بقوله: كن حيًّا لا بمعنى فيه لصح أن يقال إنما صار الذكر ذكرًا بقوله كن ذكرًا لا بمعنى في الذكر وهو الذكورة، وإنما صار الأنثى أنثى بقوله: كن أنثى لا بأنوثته فيها، وأيضًا كل محدث من أمره الذي هو أمر التكوين فلو كان كون الشيء من أمره يقتضي قدمه لزم قدم المحدثات.

❊ ❊ ❊

---

(١) من أسماء الله الحسنى الحي وهو الموصوف بالحياة التي لا يجوز عليها فناء ولا موت ولا يعتريها قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم، قال بعض المشايخ: الحي اسم مطلق وهو الكامل المكمل بكماله لكل شيء وهو راجع إلىٰ اسم الله تعالى، ومن عرف أنه الحي الذي لا يموت توكل عليه، واسمه تعالىٰ المحيي هو خالق الحياة ومعطيها لكل من شاء حياته علىٰ وجه يريده ومديمها لمن أراد دوامها له كما شاء بسبب وبلا سبب.
شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص١٢٧، ١٣٠) من تحقيقنا طبعة دار الكتب العلمية

الباب الرابع والعشرون
قولهم في الملائكة والرسل

سكت الجمهور منهم عن تفضيل الرسل علىٰ الملائكة وتفضيل الملائكة علىٰ الرسل.

وقالوا: الفضل لمن فضله الله ليس ذلك بالجوهر ولا بالعمل، ولم يروا أحد الأمرين أوجب من الآخر بخبر ولا عقل، وفضل بعضهم الرسل وبعضهم الملائكة.

قوله: قولهم في الملائكة والرسل[1]

قالت المعتزلة وجماعة من أهل السُّنّة: إن الملائكة أفضل من الرسل لأن الله تعالىٰ عطف الملائكة المقربين علىٰ المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام بحرف النفي في عدم استنكافهما من عبادة الله حيث قال: لن يستنكف المسيح أن يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون.

وهو في العرف يقتضي عطف الفاضل علىٰ المفضول وأيضًا وصفهم بأنهم مقربون مكرمون حيث قال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وبأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وقال أكثر أهل السُّنّة الإنسان أفضل من الملائكة وتمسكوا بسجودهم لآدم عليه

---

(١) في حديث: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**». قال النووي: الحديث دليل لتفضيله ﷺ علىٰ الخلق كلهم لأن مذهب أهل السنة أن الآدميين أفضل من الملائكة وهو ﷺ أفضل الآدميين وغيرهم، وأما حديث «**لا تفضلوا بين الأنبياء**» فجوابه من خمسة أوجه: أحدها: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به والثاني: قاله أدبًا وتواضعًا، والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلىٰ تنقيص المفضول والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلىٰ الخصومة والفتنة، والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها. وإنما التفضيل بالخصائص.
شرح مسلم للنووي (١٥/ ٣٠، ٣١) طبعة دار الكتب العلمية

وقال محمد بن الفضل: جملة الملائكة أفضل من جملة المؤمنين.
وفي المؤمنين من هو أفضل من الملائكة كأنه فضل الأنبياء.

السلام، والمسجود له أفضل، وبأن الملائكة لا يتجاوزون من مقام العبودية الذي لهم لقوله تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾ [الصافات: الآية ١٦٤].

ولم يتخذهم الله أضلاء ولا وصفهم بمحبة الله إياهم بخلاف الإنسان.

لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: الآية ١٢٥] . يحبهم ويحبونه وفضل طائفة فقالوا: إن الله عز وجل أعطى الملائكة العقل دون الشهوة[١]، وأعطى البهائم الشهوة دون العقل، وأعطى الإنسان كليهما، فالإنسان الذي يكون عقله مقهورًا للشهوة يكون أضل وأدنى من البهائم، لأن له زاجرًا بخلافها.

والإنسان الذي تكون شهوته مقهورة للعقل ومطيعة له يكون أفضل من الملائكة، لأن له مانعًا يمنعه من الطاعة، ومع ذلك لا يعطيه، بل يقهره، بخلاف الملائكة.

قال بعضهم: إن الأنبياء أفضل من الملائكة لوجود المضاد للقوة العقلية وقهره، مثل قوة الشهوة والغضب فيكون طاعتهم أشق، فيكون أفضل.

لقوله عليه الصلاة والسلام: «**أفضل الأعمال احمزها**».

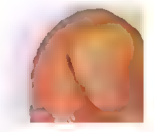
وقال بعضهم: رسل الإنسان أفضل من ملائكة الرسل وغيرها، والرسل من الملائكة أفضل من مؤمني الإنسان غير الرسل.

والمؤمنون من الإنسان غير الرسل أفضل من الملائكة الذين هم غير الرسل[٢].

---

(١) يذكر شارح الطحاوية أنه ينسب إلىٰ أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط علىٰ الملائكة وأن المعتزلة يفضلون الملائكة وأتباع الأشعري علىٰ قولين منهم من يفضّل الأنبياء والأولياء ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً، وحكي عن بعضهم ميل إلىٰ تفضيل الملائكة وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية توقف الإمام أبو حنيفة بينما الإمام أحمد كان يقول: يخطئ من فضل الملائكة وقال كل مؤمن أفضل من الملائكة.

(٢) حجة الذين يفضلون صالحي البشر علىٰ الملائكة أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ورد بعضهم أن السجود كان لله وآدم إنما كان قبلة لهم وإن كان هذا صحيحًا لما امتنع إبليس من السجود ولما زعم أنه خير من آدم ودليل آخر: قول إبليس "أرأيتك هذا الذي كرمت علي". =



وأجمعوا أن بين الرسل تفاضلًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ولم يعينوا الفاضل والمفضول لقوله عليه السلام: «لا تخيروا بين الأنبياء»[١]، وأوجبوا فضل محمد ﷺ بالخبر، ....

وسكت الجمهور من أهل المعرفة عن التفضيل وقالوا: الفضل لمن فضله الله عز وجل، وليس الفضل بالجوهر لأن إبليس افتخر بجوهره فلعن به وليس الفضل أيضًا بكثرة العمل، بل ليس بالعمل، لأنه قد يكون من هو أقل عملًا وأكثر فضلًا وقربًا عند الله تعالىٰ (كنبينا عليه الصلاة والسلام فإن مدة رسالته ثلاث وعشرون سنة ومدة رسالة نوح عليه السلام ألف سنة إلَّا خمسين عامًا)[٢]، ولم يروا أحد الأمرين من تفضيل الملائكة علىٰ الرسل وتفضيل الرسل علىٰ الملائكة أوجب من الآخر بخبر من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو دليل عقلي قاطع قائم عليه[٣]، أي علىٰ تفضيل الملائكة علىٰ الرسل وعكسه.

قوله: قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تخيروا بين الأنبياء» أي لا تفضلوا بعضهم

= فإن هذا نص في تكريم آدم علىٰ إبليس إذ أمر بالسجود له ودليل ثالث: أن الله تعالىٰ خلق آدم بيده وخلق الملائكة بكلمته، والرابع: قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فالخليفة يفضل علىٰ من ليس خليفة الخامس: تفضيل بني آدم عليهم بالعلم حين سألهم الله عن علم الأسماء فأنبأهم آدم.

السادس: طاعة البشر أشق والأشق أفضل لأن فيه الشهوة والحرص والهوى والغضب وهي مفقودة في الملائكة.

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه (٣/ ١٥٩، ٤/ ١٩٢، ٦/ ٧٥)، ومسلم في الفضائل (١٦٣) وأبو داود في سننه (٤٦٦٨)، وأحمد في مسنده (٣/ ٣١، ٣٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٠٩)، والتبريزي في المشكاة (٥٧٠٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٩٢، ٤٩٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٣١٥).

(٢) وجدناه بالهامش.

(٣) تحقيق القول في مسألة التفضيل ما ذكره ابن تيمية من أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلا وحياهم الرحمن وخصهم بمزيد قربه وتجلى لهم يستمتعون بالنظر إلىٰ وجهه الكريم وقامت الملائكة في خدمتهم بإذن ربهم والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن من الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر.

....

علىٰ بعض علىٰ التعين أو لا تفضلوا بينهم في النبوة لأنهم في مطلق النبوة سواء وإنما الفضل بزيادة صفة في البعض دون الآخر تدل علىٰ أنه أقرب من الله تعالىٰ وأكرم عنده.

وتلك الصفة إما كثرة الطاعة أو زيادة قوة اليقين كما قيل عند النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن عيسى كان يمشي علىٰ الماء**».

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لو ازداد يقينًا يمشي علىٰ الهواء**»[1]، وبهذا يشير إلىٰ نفسه فإنه مشى علىٰ الهواء ليلة المعراج[2]، أو بكثرة الأمة لكثرة ثوابه عند الله، أو بعظم الأمة عند الله وطهارة أنفسهم، أو بكثرة المعجزات، أو بأن يكون أحدهم صاحب الكتاب دون الآخر، أو بأن يكون كتاب أحدهم أفضل من كتاب الآخر.

هذا هو معنى قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: الآية ٥٥] أي بحسب المراتب كما ذكر لا بحسب النبوة ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تفضلوني علىٰ أخي يونس بن متى**»[3].

أي لا تفضلوني عليه في النبوة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قال أنا خير من يونس فقد كذب**»[4].

أي من قال: أنا خير منه في النبوة[5]، وإلّا فله فضل علىٰ سائر الأنبياء بالدلائل الدالة عليه منها:

---

(١) أخرجه: الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩/ ٧٥).

(٢) ذلك بركوبه ﷺ البراق وهو دابة الرحلة العظيمة في الإسراء والمعراج.

(٣) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٢/ ١٠٥)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٢٦٥).

(٤) أخرجه: البخاري في صحيحه (٦/ ٦٣، ١٥٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٨٣، ٥٨٤)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ٤٣٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٣٤).

(٥) قال النووي: هذه الأحاديث تحتمل وجهين: أحدهما أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس فلما علم ذلك قال: «**أنا سيد ولد آدم**» ولم يقل هنا أن يونس أفضل منه أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، الثاني: أنه ﷺ قال: هذا زجرًا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس عليه السلام من أجل ما في القرآن العزيز من قصته.
شرح مسلم للنووي (١٥/ ١٠٩) طبعة دار الكتب العلمية

وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم ومن دونه تحت لوائي**»[(١)]. وسائر الأخبار التي جاءت وقول الله جل وعز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١١٠].

قوله عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي لست أقوله من تلقاء نفسي فيكون افتخارًا، وإنما أقوله بأمره فيكون عبودية وائتمارًا. (أي يكون قولي: «ولا فخر» أمرت به، فيكون أداء للعبودية وامتثالاً لأمره لا أنه مدح نفسي به)[(٢)].

وقيل معناه: ولا فخر لي بهذه الأشياء، وإنما لها الفخر بي، لأن همته مقصورة علىٰ الله تعالىٰ، ففخره عليه الصلاة والسلام به لا بغيره، فكأنه لا فخر لي بالكون بل بمكون الكون.

وأيضًا الافتخار إنما يكون بشيء هو خير منه ليعز به وهو لا يرى شيئًا عند الله أعز منه، ففخر الأشياء به وفخره عليه الصلاة والسلام بالحق لا بها.

وأيضًا هو عبد، والعبد لا ملك له، بل لا شيء له، وإذا لم يكن له شيء، فالافتخار بأي شيء.

وفضله عليه الصلاة والسلام علىٰ الأنبياء: أما علىٰ آدم عليه السلام فلأن الله تعالىٰ أقدر الشيطان ومكنه فأزل آدم، وأقدر نبينا عليه الصلاة والسلام علىٰ الشيطان فأسلمه[(٣)].

---

(١) أخرجه: البخاري (٤/ ١٦٣، ٦/ ١٠٥)، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل، حديث رقم (٣)، والترمذي في سننه (٣١٤٨، ٣٦١٥)، وأحمد في مسنده (١/ ٢٨١، ٣/ ٢)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٤١، ٥٧٦١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٧٣، ٦/ ٣٠)، والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٦٢، ٤/ ٨٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٤٢)، وابن حبان في صحيحه (٢١٢٧ ـ الموارد).

(٢) وجدناه بالهامش.

(٣) اختلفوا في جواز المعاصي علىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولخص القاضي عياض رحمه الله مقاصد المسألة فقال: لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه، واختلفوا فيه قبل النبوة والصحيح أنه لا يجوز وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة واختلف العلماء هل ذلك بطريق العقل والشرع فقال الأستاذ أبو إسحاق ومن معه ذلك ممتنع من مقتضى دليل المعجزة وقال القاضي أبو بكر ومن وافقه ذلك من طريق الإجماع وذهب المعتزلة إلىٰ أن ذلك من طريق العقل وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء =

فلما كانت أمته خير الأمم وجب أن يكون نبيها خير الأنبياء.

وسائر ما في القرآن من الدلائل علىٰ فضله.

وأيضًا شهر الله آدم بزلته في السموات والأرضين حيث قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢١].

وقال في حق نبينا عليه الصلاة والسلام: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: الآية ٢].

وأيضًا عاتب الله آدم قبل عفوه حيث قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾.

وفي حق نبينا عليه الصلاة والسلام جاء العتاب بعد العفو حيث قال تعالىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾.

وأما إدريس عليه السلام فلأنه لو أكرمه بمعرفة سير الكواكب، فقد جاوز نبينا عليه الصلاة والسلام الكواكب وأدخل الأفلاك تحت قدمه لِئلّا يبقى لسير الكواكب طريق إليه.

وأما نوح عليه السلام فلأنه لو أعطاه السفينة حتى مشى علىٰ الماء، فأعطى نبينا عليه الصلاة والسلام البراق حتى مشي علىٰ الهواء.

وسأل نوح عليه السلام لقومه العذاب حيث قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٦].

وسأل نبينا عليه الصلاة والسلام لقومه الرحمة حيث قال: **«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»**[1].

وأما علىٰ إبراهيم عليه السلام[2] فلأنه لو قال الله تعالىٰ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗا﴾

= والمتكلمين من أئمتنا إلىٰ عصمتهم من الصغائر لعصمتهم من الكبائر.
شرح مسلم للنووي (٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرجه: الزبيدي في الإتحاف (٨/ ٢٥٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٨).

(٢) قال النووي: انظر هذه الخطايا التي ذكرت للأنبياء من أكل آدم عليه السلام من الشجرة ناسيًا =

....

فقد جعل نبينا عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج إمامًا للأنبياء ببيت المقدس وأما ما في السماء للملائكة، ولو أعطى الله إبراهيم عليه السلام قوة اليقين حيث سأله جبريل عليه السلام: هل لك حاجة؟

فأجابه أما إليك فلا، فقد أعطى الله نبينا عليه الصلاة والسلام قوة يقين أزيد منه حتى قال: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب - يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل - ولا نبي مرسل - يعني إبراهيم وغيره من المرسلين**».

ولو أخمد الله نار نمرود وأبردها علىٰ إبراهيم، فأبرد جهنم علىٰ أمة محمد نبينا عليه الصلاة والسلام لقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن النار: «**جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ ناري**».

وأما علىٰ سليمان عليه السلام فإنه لو سخر الشيطان فنبينا عليه الصلاة والسلام سخر الملائكة حيث قال الله تعالىٰ: «**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**».

وأيضًا قال: «**يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**»[1].

ولو سخر الريح لسليمان عليه السلام حيث قال الله تعالىٰ: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا

=

ومن دعوة نوح عليه السلام علىٰ قوم كفار وقتل موسى عليه السلام لكافر لم يؤمر بقتله، ومدافعة إبراهيم عليه السلام الكفار بقول عرض به هو فيه من وجه صادق.

وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب لكنهم اشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر الله تعالىٰ وعتب علىٰ بعضهم فيها لقدر منزلتهم من معرفة الله تعالىٰ هذا كلام القاضي عياض ردًا علىٰ مذهب الخوارج والمعتزلة وطوائف من المبتدعة إذ منزعهم فيه منزع آخر من التكفير بالصغائر وقال ونحن نتبرأ إلىٰ الله تعالىٰ من هذا المذهب.

شرح مسلم للنووي (٣/٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

(١) وذلك في غزوة بدر والتي كانت في السنة الثانية من الهجره حيث أراد مشركو مكة غزو المسلمين في المدينة لعلهم بمحاولة اعتراض قافلة أبي سفيان القادمة من الشام فالتقى الجيشان عند ماء بدر وكان ما كان من قتل صناديد الكفر وعلى رأسهم أبو جهل وعتبة وشيبة وأسر سبعين من المشركين.

....

شَهۡرٞۖ﴾ [سبأ: الآية ١٢] ، فصعد بنبينا عليه الصلاة والسلام إلىٰ قاب قوسين بليلة[١] .

ولو أعطى الله لسليمان تلك الدنيا حيث قال: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: الآية ٣٥] ، فأعطى نبينا عليه الصلاة والسلام ملك القيامة كما قال: **«لواء الحمد بيدي ولا فخر»**[٢] ، ومن تحت لوائه شياطين بوادي من تحت لوائه خلق الأولين والآخرين.

وأما علىٰ داود عليه السلام فإنه لو جعله خليفة حيث قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: الآية ٢٦] ، فأوصل نبينا عليه الصلاة والسلام إلىٰ محل قال عليه الصلاة والسلام: **«الله خليفتي من بعدي»**[٣] .

وأما علىٰ موسى عليه السلام فلأن الله لو صير عصاه حية حتى ألقمت عصى السحرة وحبالهم وسخر السحرة له، فأعطى قضيب نبينا عليه الصلاة والسلام كرامة فسخر الأصنام فسجدت، ولو أعطى موسى عليه السلام كرامة أن قومه مروا بالبحر ولم تصر ذيولهم مبلولة، فأكرم نبينا عليه الصلاة والسلام بأن تمر أمته عليه الصلاة والسلام علىٰ جهنم وذيولهم لا تصير جافة كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام تمر طائفة من أمتي علىٰ الصراط[٤] وثيابهم ندية من العرق.

---

(١) روى مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، حديث رقم (٢٩٠)، عن مسروق قال قلت لعائشة فأين قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾، قالت: إنما ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورة الرجال وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد أفق السماء".

(٢) أخرجه: ابن ماجة في سننه (٤٣٠٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٦، ٦/ ٣٠١)، والقرطبي في تفسيره (٤/ ٨٤)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٤٦).

(٣) أخرجه: في الجامع الكبير (٢/ ٤٩٢، ٦١٥).

(٤) في حديث مسلم كتاب الإيمان حديث رقم (٣٠٢) عن أبي سعيد الخدري وفيه: **«ثم يضرب الجسر علىٰ جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ـ تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ـ فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركبان، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم . . . الحديث»**.

وفي آخره قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف.

ولو ناجى الله موسى عليه السلام في عمره مرتين بمكان مخصوص، فلأمة نبينا عليه الصلاة والسلام مناجاة مع الله في كل يوم خمس مرات لا في مكان مخصوص.

ولو كان لموسى عليه السلام يد بيضاء، فلنفس نبينا عليه الصلاة والسلام يكون هذا المقام وأما عيسى عليه السلام فلأنه لو ساح في الأرض حتى صار اسمه مسيحًا.

فنبينا عليه الصلاة والسلام ساح في ليلة جميع السموات والأرضين ثم رجع فيها، ولو صعد بعيسى عليه السلام إلىٰ السماء الرابعة[١] فقد صُعِد بنبينا عليه الصلاة والسلام إلىٰ قاب قوسين وأمثال هذه أكثر من أن تحصى.

ولفضل نبينا عليه الصلاة والسلام علىٰ سائر الأنبياء طريق آخر وهو أن من وجد عزًّا في الكونين فقد وجد ذلك بفضل نبينا عليه الصلاة والسلام لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٧] وأيضًا له عليه الصلاة والسلام مقام الشفاعة يوم القيامة، وليس ذلك لغيره[٢]، وهو أول من تنشق عنه الأرض[٣]، وأول من يدخل الجنة وأول من يتكلم مع الله، وأول من يرى الله، وخاتم النبيين.

ومن فضله عليه الصلاة والسلام علىٰ سائر الأنبياء عليهم السلام أن الله تعالىٰ خاطب الأنبياء بأسمائهم حيث قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: الآية ٣٥].

---

(١) في الأثر أن عيسى ويحيى عليهما السلام في السماء الثانية، وأما السماء الرابعة ففيها إدريس عليه السلام وقال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٧].

(٢) في رواية مسلم في كتاب الإيمان عن أبي سعيد حديث رقم (٣٠٢) وفيه «**فيقول الله ﷻ** شفعت الملائكة وشفيع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين . . . الحديث».

قال النووي: قال القاضي عياض: جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنن عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار واحتجوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨] وبقوله ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] وهذه الآيات في الكفار.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٣١) طبعة دار الكتب العلمية

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل، حديث رقم (٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**».

وأجمعوا جميعًا أن الأنبياء أفضل البشر، وليس في البشر من يوازي الأنبياء في الفضل لا صديق ولا ولي ولا غيره وإن جل قدره وعظم خطره.

﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود: الآية ٤٨]، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ [هود: الآية ٧٦].

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٤].

﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ١١٦].

ولم يخاطب نبينا عليه الصلاة والسلام في موضع باسمه ولكن قال في القرآن في موضعين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: الآية ٤١].

وفي ثلاثة عشر موضعًا قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال: الآية ٦٤]، وفي موضع قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: الآية ٥١].

قوله: وأجمعوا أن الأنبياء أفضل البشر.

أي أجمع أهل السُّنّة والمعرفة علىٰ أن الأنبياء أفضل البشر، وليس في البشر من يوازيهم في الفضل لا صديق ولا ولي ولا غيرهما، **وإن جل قدره وعظم خطره**، أي شرفه ومرتبته.

وقال طائفة: مقام الولاية أعلى من مقام النبوة لأن للنبي علم الوحي وللولي علم السرّ، والولي يعلم بالسرّ أشياء لا يعلمها نبي، ويقال له العلم اللدني.

واشتقاق هذا اللقب أخذ من قصة موسى وخضر عليهما السلام من حيث قال الله تعالىٰ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: الآية ٦٥]، وقالوا إن الخضر ولي وموسى نبي(١).

---

(١) قال المازري: اختلف العلماء في الخضر هل هو نبي أو ولي واحتج من قال بنبوته بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] فدل علىٰ أنه نبي أوحى إليه وبأنه أعلم من موسى ويبعد أن يكون ولي أعلم من نبي، وأجاب آخرون بأنه يجوز أن يكون قد أوحى الله إلىٰ نبي في ذلك العصر أن يأمر الخضر بذلك وقال الثعلبي المفسر: الخضر نبي معمر وذكر ثلاثة أقوال في أنه في زمن إبراهيم عليه السلام أم بعده بقليل أم بكثير.

شرح مسلم للنووي (١٥/ ١١١) طبعة دار الكتب العلمية

قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: **«هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلَّا النبيين والمرسلين»**[(١)].

يعني أبا بكر وعمر فأخبر ﷺ أنهما خير الناس بعد النبيين.

وهذا لا يدل علىٰ أن مرتبة الولاية أعلى من مرتبة النبوة إذ لا نسلم أن الخضر وليّ بل هو نبي، ولو سلم ذلك يجوز أن يعلم أحد شيئًا لا يعلمه نبي وهو لا يدل علىٰ فضله علىٰ النبي عند الله، لأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا بمجرد العلم فإن العلم يدل علىٰ شرف صاحبه من ذلك الوجه.

وقد حكي عن بعض هذه الطائفة أنه قال: حدثني قلبي عن ربي لو صح هذا النقل من أهل الحقائق فله تأويلات.

أحدها: أنه متى صدق وصفا سرهم مع الله صحت فراستهم فيعلم أنه ما ألقى في خاطره فهو حق، فيقول حينئذ حدثني قلبي عن ربي، يعني إلقاء ربي في قلبي ما هو الحق، فحدثني قلبي ذلك.

وثانيها: أن من غلب علىٰ سرّه من الخواطر الخفية مثل المحبة والخوف والرجاء وما شابهها يحصل له المشاهدة بمقدار مغلوبية سرّه بذلك الخاطر لأن المشاهدة هي غلبات السرّ. ويتعارف بين الخلق أن من صار سكران فكوامن (الكوامن جمع كامنة وهي المستورة إلىٰ الخفية)[(٢)].

السرّ في حال الصحو يظهرها في حال السكر[(٣)]، لأنه صار مغلوبًا بالسكر

---

(١) أخرجه: الترمذي في سننه (٣٦٦٤، ٣٦٦٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٥٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦١٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٣٩١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ١٥).

(٢) وجدناه بالهامش.

(٣) السكر هو دهش يلحق سر المحب عند مشاهدة جمال المحبوب فجأة فيذهل الحس ويلم بالباطن فرح وهزة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة، ويصيب السر الدهش والوله لتحير النظر في شهود جمال الحق وتسمى هذه الحالة سكرًا لمشاركتها السكر الظاهر في الأوصاف المذكورة سوى أن سبب ذهول العقل في السكر المعنوي وهو غلبة نور الشهود، وفي السكر الظاهر أو الطبيعي هو غشيان ظلمة الطبيعة.

المعجم الصوفي (ص١٢٦)

....

فيخرج من (. . . .)[١] فيقول ما يقول لا بتمييزه، بل يقول بغلبات السرّ.

وهذه الحالة تقع للعشاق، تارة ترى عاشقًا يعاتب مع محبوبه وهو غائب عنه، ويجيب نفسه عنه ولا خبر له، وتارة يخاصم معه وتارة يصالحه.

وذلك بالحقيقة ليس المخاصمة والمصالحة، بل هو غلبات السرّ.

وإذا صار غلبة السكر والعشق بهذه الحالة فغلبات الحق أولى.

فإن الحق أغلب وسلطانه أقوى، فإذا حدث قال حدثني قلبي عن ربي.

وثالثها: أن مذهب أهل السُّنّة أن الخير بتوفيق الله تعالى، والشر بخذلانه، فكما أن للظاهر توفيق عمل الخير فللباطن توفيق رؤية الخير، فإذا وفق الله تعالىٰ العبد لأن يرى بالسر شيئًا ويوفقه للعبارة عنه فيقول: حدثني قلبي عن ربي.

يعني وفقني ربي حتى رأيت بقلبي الحق والصواب ووفقني حتى عبرت بلساني ما شاهدت بقلبي.

اعلم أن الولاية[٢] هي التصرف في الخلق بالحق وليست في الحقيقة إلّا باطن النبوة.

ظاهرها الإنباء وباطنها التصرف في النفوس بإجراء الأحكام عليها.

والنبوة مختومة من حيث الإنباء، إذ لا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام دائمة من حيث الولاية والتصرف، فباب الولاية مفتوح وباب النبوة مسدود.

---

(١) كلمة غير واضحه بالأصل.

(٢) الولاية في الاصطلاح قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وقبل تولي الحق سبحانه وتعالى عبده بظهور أسمائه وصفاته عليه علمًا وعينًا وحالاً وتصرفًا ونبوة الولاية هي إرجاع الحق العبد إلىٰ الخلق ليقوم بأمورهم المصلحة بشؤونهم في ذلك الزمان علىٰ شرط الحال فمن دعا الخلق منهم إلىٰ الله تعالىٰ قبل محمد ﷺ كان رسولًا ومن دعا بعد محمد ﷺ كان خليفة لمحمد ﷺ لكنه لا يستقر في دعواه بنفسه بل يكون تبعًا لمحمد ﷺ كمن مضى من الصوفية.

المعجم الصوفي (ص٢٦٣)

قال أبو يزيد البسطامي: آخر نهايات الصديقين أول أحوال الأنبياء، وليس لنهاية الأنبياء غاية تدرك.

وقال سهل بن عبد الله: انتهت همم العارفين إلىٰ الحجب فوقفت مطرقة

وعلامة صحة الولاية متابعة صاحبها النبي عليه الصلاة والسلام في الظاهر، لأنهما يأخذان التصرف من مأخذ واحد إذ الوليّ هو مظهر تصرف النبي عليه الصلاة والسلام فلا متصرف إلّا واحد.

وخاتم الأولياء لا يكون في الحقيقة إلّا خاتم الأنبياء وعليه تقوم الساعة، وما قيل إن الولاية أفضل من النبوة لا يصح مطلقًا بل يقيد، وهو أن ولاية النبي أفضل من نبوة التشريعية، لأن نبوة التشريع متعلقة لمصلحة الوقت.

والولاية لا يتعلق لها بوقت دون آخر بل مقام سلطانها إلىٰ قيام الساعة، فيجوز أن يكون وليّ[1] ببركة متابعة نبيه الأفضل المقدم علىٰ غيره من الأنبياء أفضل من ذلك النبي المفضول.

قوله: وليس لنهاية الأنبياء غاية تدرك.

أي يصل غيرهم إليها.

قوله: انتهت همم العارفين إلىٰ الحجب فوقفت مطرقة.

يقال: أطرق الرجل إذا سكت فلم يتكلم وأطرق أي أرخى عينيه تنظر إلىٰ الأرض.

يريد أن من أراد صحبة الملوك فالأدب في صحبتهم أن يتقرب إليهم بخدمتهم

---

(١) الولي من يتولى الله سبحانه أمره فلا يكله إلىٰ نفسه لحظة ومن يتولى عبادة الله تعالىٰ وطاعته فعبادته لله تعالىٰ تجري علىٰ التوالي من غير أن يتخللها عصيان، ومن شرط الولي أن يكون محفوظًا كما أن من شرط النبي أن يكون معصومًا، والولي هو العارف بالله وصفاته والفاني عن حاله الباقي في مشاهدة الحق والأولياء علىٰ طبقتين سابقون ومقربون وفيهم يقول النبي ﷺ عن ربه: **«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب وما يتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه . . . الحديث»**.

المعجم الصوفي (ص٢٦٣)

....

وموافقة أوامرهم وطلب رضاهم والتجنب من مساخطهم، فمما يظهر من نفسه من هذه الأوصاف أكثر فاستحقاق قربه أكثر.

وهمم العارفين في طلب الحق لا يكون إلَّا بإعراض عن غيره، فكل ما يوصلهم إليه ألقوا الهمم عليه، وكل ما يقطعهم عنه يقطعونها عنه ليستحقوا قرب الحق، فإذا صار لائقًا وجديرًا لصحبة الملك ودنى منه فليحفظ آداب الصحبة[١].

ومن آدابها أن لا يمشي إلىٰ الملك فجأة، لجواز أن يصير ذلك سببًا لقطيعته، بل يسلك مقامًا فمقامًا، وفي كل مقام وصل إليه يتعلم آداب المقام الذي بعده متى إذا وصل إليه يحفظ آدابه لئلا يسقط عن ذلك المقام، فالحجب للعارفين علىٰ هذا القياس فإن هممهم إذا وصلت إلىٰ مقام ما لم تروض في ذلك المقام ولم يستوف صفة تهاب (أي تخاف) أن يتجاوز عنه ويتقدم.

فإذا وصل إلىٰ الحجاب لم يرفعها من غير إذن لأنه وإن كان له شوق رؤية الملك، يحتمل أن لا يكون للملك في ذلك الوقت ميل إليه حتى أذن له، فإذا دخل علىٰ الملك فلا طريق له إلَّا أن يكون ساكتًا مطرقًا.

ويحتمل ذلك معاني:

أحدها: أن لا يرى نفسه بقاء لصحبته، فعند ذلك المقام يتحير ويبهت[٢].

---

(١) الصحبة للصوفي تفتح باطنه ويكتسب بها علم الحوادث والعوارض ويتقوى قلبه، وأحب الناس إلىٰ الله الذين يؤلفون ويألفون وتكون لهم بالناس علاقات الأصحاب واعتزال الأصحاب مرغوب فيه لوقته، والصحبة بمعنى التحاب في الله هي خير صحبة والأنس بالله هو أن تستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله.
المعجم الصوفي (ص١٤٢)

(٢) الفساد بالصحبة متوقع والصلاح بها متوقع واختبار الصحبة يتوقف علىٰ النية وكان سعيد الخراز يقول: صحبت الصوفية خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لأني كنت معهم علىٰ نفسي، وعلامة خلوص الصحبة لله أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل لأنها لو كانت معلولة تزول بزوال العلة ومن آداب الصوفية في الصحبة القيام بخدمة الأصحاب واحتمال الأذى منهم والتغافل عن زلاتهم والنصح لهم وتقديم من يعرفون فضله في المجالس.
المعجم الصوفي (ص١٤٢)

فأذن لها فسلمت ....

....

والتحير والبهت يقتضي السكوت والإطراق.

ثانيها: إن من آداب صحبة الملوك أن لا يتكلم حتى يأذن له الملك، لأنه وإن كان لك وقت التكلم يحتمل أن لا يكون للملك وقت استماع ذلك الكلام.

وثالثها: إن من أوصاف الملوك أنه إذا حضر أحد عندهم يعلمون أن هيبة جلال نظرهم إذا وقعت عليه يتحير ويغيب عن نفسه وينسى الكلام.

فوقف زمانًا ليرتفع عنه ذلك التحير، ولم يصدر عنه في ذلك الوقت سوء أدب يستحق لسببه الحجاب والبعد.

قوله: فأذن لها.

أي لتلك الهمم يعني يغلب عليهم خوف الحق فيرتفع حجاب الخوف من غير الحق، وارتفاع حجاب الخوف من غير الحق أذن لهم بالتكلم.

وكذا غلبة[١] محبة الحق علىٰ محبة غيره يرفع حجاب محبة غير الحق فيصير السكوت كلامًا.

والحاصل أن لا يصير أحد متكلمًا بالحق إلَّا إذا أعرض عن الكون وعما سوى الله تعالىٰ

فسلّمت.

يحتمل أن يكون هذا علىٰ طريق المثل لا علىٰ طريق التحقيق، وهو أن من دخل علىٰ الملك فالأدب أن لا يسلم علىٰ الملك لئلا يوجب علىٰ الملك جوابه، فيكون

---

(١) الغلبة حال يمر بها الصوفي إذا زاد عليه الوجد حتى يغلبه ويعرفونه بقولهم، والغلبة حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظة السبب ولا مراعاة الأدب ويكون مأخوذًا عن تمييز ما يستقبله فربما خرج إلىٰ بعض ما ينكر عليه من لم يعرف حاله ويرجع إلىٰ نفسه صاحبه ـ أي صاحب الغلبه ـ إذا سكنت غلبات ما يجده ويكون الذي غلب عليه خوف أو هيبة أو إجلال أو حياء أو بعض هذه الأحوال وقيل: صاحب الغلبات له هجوم وذلك عند قوة رغبة المطالب إذا لاحت له أعلام المريد في حالة طلبه المطلوب فلو ظن أن مطلوبه وراء بحر سبحه أو في تيه سلكه بالهجوم عند غلبات الإرادة وقوة سلطان المطالبة عليه.
المعجم الصوفي (ص١٨٤، ١٨٥)

فخلع عليها ضلع التأييد وكتب لها براءة من الزيغ.

الملك مديونًا له، ولو سلم يكون علىٰ معنيين:

أحدهما: الأمن.

والثاني: طلب الأمان، فلو سلم القوي علىٰ الضعيف فسلامه أمنة منه.

ولو سلم الضعيف علىٰ القوي فسلامه طلب الأمان منه فإنه لا يعلم ما يفعله به.

وهو في الخوف منه حتى يجيب، فإذا أجابه يصير آمنًا وقد ذكرنا ذلك علىٰ طريق المثل، فتأويل السلام المذكور هو استغاثته من الله لئلا يرهبه في ذلك المقام.

ويحتمل أن يكون معناه التسليم والتفويض.

أي قوله فسلّمت يعني فوّضت نفسها إلىٰ خالقها بمعنى أن يفرغ وتجلي سرّه عن غير الحق ليصير شره مسلمًا للحق ويترك التدبير ويفوّضه إلىٰ الحق لئلا يهلك، ولهذا قال الكبار: ليس الهلاك إلّا في التدبير وليس النجاة إلّا في التفويض.

قوله: فخلع عليها ضلع التأييد، فإذا تركوا التدبير لأنفسهم وفوضوه إلىٰ الحق.

فقد أدوا حق العبودية فاستوجبوا خلع التأييد والمعونة من الله عز وجل ليجدوا قوة صحبته، لأن الصحبة مع الحق لا تكون إلّا بقوة الحق[1]، فإن القوة البشرية لا تطيق صحبة الحق.

قوله: وكتب لها براءة من الزيغ.

يعني إذا وصل إلىٰ المقام المذكور وهو أنه صار جديرًا لتأييد الحق، فقد أمن من

---

(١) علامة خلوص الصحبة لله أن لا يكون فيها شائبة حظ عاجل لأنها لو كانت معلولة تزول بزوال العلة.

قيل إن الله تعالىٰ قد أوحى إلىٰ نبيه موسى عليه السلام قائلاً كن يقظًا مرتادًا لنفسك أخدانا (أي أصحابًا) وكل خدن لا يؤاتيك علىٰ مسرة فأقصه ولا تصحبه فإنه يقسي قلبك وهو لك عدو، وقيل: أيضًا: اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين، والمتصوفين الجاهلين.

المعجم الصوفي (ص١٤٣)

وهمم الأنبياء جالت حول العرش ....

الميل إلىٰ غير الحق، لأن للحق غيرة علىٰ أوليائه فيحفظهم من أن ينظروا إلىٰ غيره.

ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [طه: الآية ١٣١]، فإذا لم يجوّز النظر إلىٰ الغير فكيف يجوّز الميل إليه ولهذا قال الكبار: ما رجع من رجع إلّا عن الطريق فأما الواصلون فإنهم لا يرجعون.

ومعنى البراءة من الزيغ أن كل ما هو غير الحق يمنع الحق حصول مرادهم منه لئلا يشغلهم به، بل شغلهم الحق به بحيث لا يلتفتون إلىٰ غيره ولا يخطر بسرهم غيره وهو معنى البراءة.

قوله: وهمم الأنبياء جالت حول العرش.

يعني أن أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وأسرارهم وهممهم سابقة ومتقدمة علىٰ كل روح وسرّ، وهمة غيرها، فإن الحجب قدام العرش، وهمم غير الأنبياء تذهب إلىٰ الحجب وتقف هناك كما مَرّ ذلك، فيستأذنون فيجدون الطريق إلىٰ الله تعالىٰ.

وهمم الأنبياء تتجاوز من الحجب ووصلت إلىٰ العرش وتطوف حوله يطلبون الله تعالىٰ لا العرش، لأنها لو طلبت، فإذا وصلوا إليه وقفوا، فإن كل طالب إذا وجد سكن فالسر ذهب إلىٰ العرش لم يجد مولى العرش ولم يجد ما وراءه سبيلًا، فلم يبق له طريق إلّا الطواف حول العرش[1]، ومع ذلك لا يكون له طمأنينة وسكون مع العرش فأي حيرة أعظم منه فإنه لا يكون له طمأنينة معه ولا يجد سبيل التقدم ولا سبيل الرجوع منه.

وقد قال طائفة منهم: إن الله تعالىٰ خلق العرش إظهارًا لعظمته لا مكانًا لذاته.

يعنون إن الله تعالىٰ يحير أسرار الخلق من إدراك عظمة العرش بحيث تعجز وتقف

---

(١) ذهب طائفة من أهل الكلام إلىٰ أن العرش خلق مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير وهذا ليس بجيد لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل وأيضًا فإنه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك إلىٰ فلك.
انظر البداية والنهاية لابن كثير فصل فيما ورد في صفة خلق العرش والكرسي

فكسيت الأنوار، ورفع منها الأقدار، واتصلت بالجبّار فأفنى حظوظها

عن التفكر في مولاه فتجول حول العرش بسبب ذلك التحير.

قوله: فكسيت الأنوار.

أي فكسيت همم الأنبياء الأنوار، يعني أن الله تعالىٰ تجلى علىٰ أسرار خواص عباده بأنوار صفاته ليغنيهم عن صفات غيره وليبقوا بصفات الحق، فيعطي سرهم نور خوفه بحيث يحرق كل خوف غير خوف الحق فلا يبقى لهم خوف من غير الحق.

وكذا يعطي سرهم نور الرجاء[1] ونور المحبة ونور العظمة ونور الجلال ونور الأنس ونور القرب ونور الهيبة ونور المعرفة، وعلى هذا القياس سائر أنواع الأوصاف، فيحرق نور محبة الحق محبة غير الحق، ونور معرفة الحق معرفة غيره، فيصير سائر المعارف في جنب معرفة الحق نكرًا.

قوله: ورفع منها الأقدار.

أي رفع من تلك الهمم الأقدار، يعني لا يدرك قدر أحد قدرهم، ولا يصل أحد إلىٰ مقامهم ولا سره إلىٰ حيث وصلت أسرارهم.

ويحتمل أن يكون معناه أن الله رفع عن أسرارهم قدر كل شيء حتى لم يبق في أسرارهم قدر شيء أصلًا في جنب قدر الحق لعظمته وجلالته في سرهم.

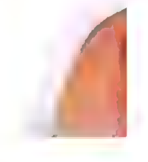
قوله: واتصلت بالجبار.

يعني انقطعت هممهم عن غير الحق، واتصلت به.

قوله: فأفنى حظوظها.

(١) الرجاء هو إسكان القلب بحسن الوعد وهو من جملة مقامات الطالبين وأحوالهم والرجاء علىٰ ثلاثة أقسام رجاء في الله، ورجاء في سعة رحمة الله ورجاء في ثواب الله، والفرق بين الرجاء والتمني أن التمني يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء، فالرجاء محمود التمني معلول والخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه.

المعجم الصوفي (ص١٠٤)



وأسقط مرادها وجعلها متصرفة به له.

قال أبو يزيد لو بدا للخلق من النبي ذرة لم يقم لها ما دون العرش.

أي فأفنى الجبار حظوظ هممهم، والحظ هو أن يطلب أحد من المحبوب مراد نفسه، يعني هم يطلبون الحق لأجل الحق لا لغيره.

ويحتمل أن يكون معناه أن يرفع الله اختيارهم ويعيشوا باختيار الحق.

ويحتمل أن يكون معناه أنهم لا يطلبون للخدمة عوضًا لئلا يكون الصحبة للطمع.

فإن الطمع يقطع المحبة.

قوله: وأسقط مرادها.

يعني لم يبق لهم مراد من الحق غير الحق.

قوله: وجعلها متصرفة به له.

أي جعل الجبار[1] هممهم متصرفة بالجبار للجبار.

يعني إذا أفنى حظوظهم وأسقط مرادهم صارت متصرفة بالحق للحق لا لطمع عوض منه وأحسن منه أن يقال إن العبد إذا وصل إلىٰ مقام الفناء فلا اختيار له ولا إرادة له، بل لا وجود له فهو في المعنى وفي الحكم معدوم، وإن كان موجودًا عينًا فيكون تصرفه بالحق للحق.

قوله: لم يقم لها ما دون العرش.

أي لو ظهر للخلق ذرة مما أعطاه الله النبي عليه الصلاة والسلام من الكرامة.

---

(١) من أسماء الله الحسنى الجبار من الجبر الذي هو تلاقي الأمر عند اختلاله، وقيل: من الإجبار الذي هو إنفاذ الحكم قهرًا علىٰ العباد، وقال بعض المشايخ: وتفسيره من معنى الجبر الذي هو إنفاذ المراد أولى من الآخرة لأنه في نسق العلماء الجلال والعزة والملك فلزم أن يكون علىٰ وضعها هذا معنى كلامه والله تعالىٰ أعلم ومن علم أنه الجبار دق في عينه كل جبار وكان راجعًا إليه من كل أمر يوصف بالافتقار، فجبر المكسور من أعماله وترك الناقص من آماله فتم له الإسلام والاستسلام وترتفع همته عن الأكوان فيكون جبارًا علىٰ نفسه جبارًا لكسر عباده. شرح أسماء الله الحسنى لزروق (ص٤٩) من تحقيقنا ـ طبعة دار الكتب العلمية

وقال: ما مثل معرفة الخلق وعلمهم بالنبي إلّا مثل نداوة تخرج من رأس الزق المربوط.

لم يطق ما دون العرش أن يقوم لتلك الذرة، بل يتفتت ويهلك.

يعني لا يطيق ما دون العرش سماعها أو إبصارها أو حملها.

لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠﴾ [النجم: الآية ١٠]، فطوى ما أوحى فلم يبينه إذ ليس للخلق طاقة سماعه وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩﴾[1]. فلم يعين النبي مقامه عليه الصلاة والسلام وقربه منه تعالىٰ إلّا بقدر ما يفهمه الخلق ويطيق فهمه.

قوله عليه الصلاة والسلام: «**لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»[2]، وأي سرّ وقرب أعلى من سرّه وقربه عليه الصلاة والسلام، فإن الملك المقرب والنبي المرسل لا يسع في ذلك السرّ والقرب.

والمتعارف بين الخلق أن الملوك لا يقولون سرهم مع كل شخص ولا يليق كل أحد بسرهم فمن له مقام المنادمة[3] مع الملك ودوام الصحبة معه فله فيه أنس، فلو بعد منه لهلك من الوحشة، ومن ليس له مقام[4] القرب مع الملك فلو قرب إلىٰ الملك لهلك من الهيبة، فبقاء البعض في البعد، وبالقرب يهلك، وبقاء البعض الآخر في القرب، ويهلك في البعد، وصحبة أسرار العارفين مع الحق هكذا.

---

(١) روى مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، حديث رقم (٢٨٠) وفيه «**سألت ذر بن حبيش عن قول الله** ﷻ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ٩﴾ [النجم: ٩] قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح».

(٢) تقدم تخريجه من قبل.

(٣) بالهامش: أي المصاحبة.

(٤) المقام في التصوف معناه مقام العبد بين يدي الله ﷻ بما يقوم به من مجاهدات ورياضات وعبادات وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلىٰ مقام إذا لم يستوف أحكام ذلك المقام ففي مقام القناعة مثلاً ما لم يتحقق العبد بها لتكون القناعة له ملكة لم يصح له الارتقاء إلىٰ مقام التوكل ومن لم يتحقق بعد التوكل لم يصح له مقام التسليم وهكذا في كل المقامات.

المعجم الصوفي (ص٢٣٧)

قال بعضهم: لم ينل أحد من الأنبياء الكمال في التسليم والتفويض غير الحبيب والخليل صلى الله عليهما.

فبعضهم قريب وبعضهم أقرب، فالقريب بالنسبة إلىٰ الأقرب بعيد، فلو قرب البعيد إلىٰ مقام القريب لا يطيق صحبة القرب فيهلك، ولو جيء بالقريب إلىٰ مقام البعيد لهلك حسرة لفوات القرب، فكل يتغذى بغذاء مقامه ولا يطيق غداء مقام الآخر

قوله: لم ينل أحد من الأنبياء عليهم السلام الكمال في التفويض والتسليم غير الخليل والحبيب صلوات الله عليهما.

واعلم أن التفويض للحبيب محمد عليه الصلاة والسلام وقد أخذ من قوله تعالىٰ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: الآية ٤٤].

والتسليم للخليل إبراهيم عليه السلام وقد أخذ من قوله تعالىٰ: ﴿أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٣١]، وفرقوا بين التسليم والتفويض وقالوا: التفويض أعلى من التسليم.

يقال: فوض إليه الأمر، أي رده إليه.

والتفويض في النكاح التزويج بلا مهر.

والتسليم[1] بذل الرضا بالحكم، وأسلم أمره لله، أي سلم هذا. هذا هو معناهما اللغوي، وهو يدل علىٰ العرف بينهما، وعلى أن مقام التفويض[2] بالنسبة إلىٰ الله

---

(١) التسليم هو الانقياد لأمر الله تعالىٰ وترك الاعتراض فيما لا يلائم، وقيل هو الثبات عند نزول البلاء من غير تغير في الظاهر والباطن.
المعجم الصوفي (ص٥٠)

(٢) تفويض المقربين عدم الجزع علىٰ ما اطلعوا عليه بما جرى به القلم في المخلوقات فلا يتصرفون في الوجود بشيء بل مفوضون إلىٰ الحق تعالىٰ في ملكه كيف يشاء وهؤلاء هم الأمناء الأدباء يفشون أسرار الله ولا يطلبون بذلك علوًا علىٰ غيرهم ولا فسادًا في أمور الناس، بل يعاملون الخلق بما يعامل بعضهم بعضًا فلا يتعاطون شيئًا من هتك سر ولا نفوذ أمر، بل كائنون مع الحق بأجسادهم، بائنون بأرواحهم في حضرة القرب الإلهي.
المعجم الصوفي (ص٥٣، ٥٤)

تعالىٰ أعلى من مقام التسليم بالنسبة إليه لأن في التفويض رد الأمر إلىٰ مالكه، وترك التدبير والاختيار، وفيه انقطاع نظر المفوض عن المفوض، وبذل الرضا لا بالحكم ولا يكون له أمر وتدبير واختيار ونظر وحكم أصلًا لا حالة الرد ولا قبله ولا بعده بخلاف التسليم، فإن للمسلم قبل التسليم شيئًا وأمرًا وتدبيرًا واختبارًا ونظرًا وحكمًا.

ولهذا قال الله تعالىٰ لإبراهيم عليه السلام: **«أسلم قال: أسلمت»**. وهذا الجواب دعوى وكل دعوى يطالب صاحبها بتحقيقها، فامتحنه الله تعالىٰ أولًا بالمال فتجرد من المال تحقيقًا لدعواه فصار ماله ضيافة، ثم ابتلاه بالولد فسلمه إلىٰ الحق تحقيقًا لدعواه.

فقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ **[الصافات: الآية ١٠٣]**.

أي أسلم الخليل ولده، وأسلم الولد روحه وصرعه للجبين فلما التقى التسليمان جاء الله بالفرج، ثم ابتلاه بالنفس بأن سلط الله عدوًّا عليه ليحرقه فسلم نفسه إلىٰ الحق تحقيقًا لدعواه، ولهذا جاء جبريل عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام حين طرحوه إلىٰ النار وهو في الهواء وقال له: هل لك من حاجة؟

فأجابه: أما إليك فلا، فلما تجرد عن المال الولد والنفس وانقطع عن العلائق اتصل برب الخلائق بمقدار الانقطاع عن العلائق وقال: إني ذاهب إلىٰ ربي.

والذهاب إليه هو الانقطاع عن العلائق[1].

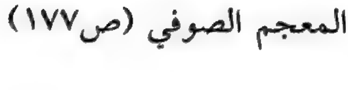
ولما علم نبينا عليه الصلاة والسلام أن الله تعالىٰ خاطب إبراهيم بتسليم ماله وطلب منه تحقيق التسليم فبرأ نفسه من كل شيء بالتفويض من كل الوجوه وترك التدبير ولم ينظر إلىٰ ما دون الحق.

ولهذا قال الله تعالىٰ في حقه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ **[النجم: الآية ١٧]**.

أي ما زاغ البصر إلىٰ الدنيا وما طغى إلىٰ الآخرة، أو ما مال بصره إلىٰ غير الحق وما تجاوز عما حد وعين له لئلا يخاطب بالتسليم ويطالب بتحقيقه.

---

(١) العلائق هي الأسباب التي يتعلق بها الطالبون ويفوتهم بسببها المراد.
وقطع العلائق هو انشغال العبد بها حتى تقطعه عن الله تعالىٰ.


المعجم الصوفي (ص١٧٧)

فلذلك آيس الكبراء عن الكمال، وإن كانوا في حال القربه مع تحقيق المشاهدة.

قال أبو العباس بن عطاء: أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين، وأدنى منازل الأنبياء أعلى مراتب الصديقين، وأدنى منازل الصديقين أعلى مراتب الشهداء، وأدنى منازل الشهداء أعلى مراتب الصالحين وأدنى منازل الصالحين أعلى مراتب المؤمنين.

قوله: فلذلك آيس الكبراء عن الكمال.

أي عن كمال التفويض والتسليم إذ لا يصل أحد في مقام التفويض بالحبيب عليه الصلاة والسلام ولا في مقام التسليم[١] بالخليل عليه السلام.

قوله: وإن كانوا في حال القربة[٢] مع تحقيق المشاهدة تأكيد لما قبله، يعني لأن الكبراء آيسوا من كمالهما وإن كان لهم عند الله قربة ومشاهدة القربة متقدمة على المشاهدة ومتحققة بدونها. والمشاهدة لا تتحقق بدون القربة.

فإن للكبراء وإن كان لهم قربة ومشاهدة لكن ليس لهم كمال تفويض الحبيب.

وكمال تسليم الخليل وتفسيرهما يأتي إن شاء الله تعالىٰ.

* * *

(١) التفويض والتسليم واحد وبينهما فرق يسير وهما قريبان من الوكالة والفرق بينهما وبين الوكالة أن الوكالة فيها رائحة من دعوى الملكية للموكل فيما وكل فيه الوكيل بخلاف التسليم والتفويض فإنهما خارجان عن ذلك، فتفويض المحسنين ومن دونهم للحق في جميع أمورهم هو إرجاع الأمور التي جعلها الله لهم إلىٰ الحق تعالىٰ. وتفويض الشهداء سكونهم إلىٰ الحق فيما يقلبهم فيه، وتفويض الصديقين ملاحظة الجمال الإلهي وتفويض المقربين قد تقدم.

المعجم الصوفي (ص٥٣)

(٢) القربة هي ظهور العبد في تنوعات الأسماء والصفاء بقريب من ظهور الحق فيها لأنه يستحيل أن يستوفي العبد حقيقة صفة من الصفات.

لكنه إذا تصرف علىٰ سبيل التمكين في الصفة، بحيث لا يستعصي عليه شيء مما يطلبه فيعلم ما يتشوق أن يعلمه ويفعل ما يريد حدوثه في العالم كأن يبرئ الأكمه ويحيي الميت مثلما فعل عيسى عليه السلام وغير ذلك مما هو لله تعالىٰ.

المعجم الصوفي (ص٢٠٢)

الباب الخامس والعشرون
قولهم فيما أضيف إلى الأنبياء من الزّلل[1]

قال الجنيد والنوري وغيرهما من الكبار: إن ما جرى على الأنبياء إنما جرى على ظواهرهم وأسرارهم مستوفاة بمشاهدات الحق.

قوله: قولهم فيما أضيف إلى الأنبياء من الزلل

قوله: وأسرارهم مستوفاة بمشاهدات الحق.

يعني أسرارهم في جميع الأوقات مشغولة بمشاهدات الحق، وغائبة عن أنفسهم، وأنفسهم غائبة عنها فيما جرى عليهم من الزّلات إنما جرى على أنفسهم من غير قصد واعتقاد، لأن القصد والاعتقاد للسرّ، والسرّ غائب عنه.

ومثل ذلك بأن اشتاق إلى شيء غائب أو هو خائف منه إذا غلب عليه شوقه وخوفه فيكون تفكيره مستغرقًا به ومنصرفًا إليه بالكلية بحيث يصير ذلك الغائب في فكره سرّه مشاهدة فيكون ذلك المشتاق أو الخائف في تلك الحالة من الحُضّار الغُيّب، ولو جرحه جارح في تلك الحالة لا يكون له شعور بها وكذا لو رأى أحدًا أو يتكلم معه فإنه لا يكون له خبر من تلك الرؤية أو التكلم، وذلك لأن سرّه غائب عن نفسه، ونفسه غائبة عن سرّه.

اعلم أن ما جرى على الأنبياء من الزّلات إنما جرى عليهم إما من جهة النسيان، وإما من جهة التأويل والخطأ فيه، وإما من جهة السهو والغفلة وبكل منهما أخذ طائفة وجعله مذهبًا.

---

(١) قال النووي: قال القاضي عياض: لا خلاف أن الأنبياء معصومون من كل كبيرة، واتفقوا على أن كل ما كان طريقه الإبلاغ في القول فهم معصومون فيه على كل حال وأما ما كان طريقه الإبلاغ في الفعل فذهب بعضهم إلى العصمة فيه رأسًا، وأن السهو والنسيان لا يجوز عليهم فيه وتأولوا أحاديث السهو في الصلاة وغيرها وهذا مذهب الاستاذ أبي المظفر الإسفرايني من أئمتنا الخراسانيين المتكلمين وغيره من المشايخ الصوفية.

شرح مسلم للنووي (٣/٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

واستدلوا علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طٰه: ١١٥] .

وقالوا: لا تصح الأعمال حتى يتقدمها العقود والنيات.

وما لا عقد فيه ولا نية فليس بفعل.

وقد نفى الله تعالىٰ ذلك عن آدم بقوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طٰه: ١١٥].

واستدلوا علىٰ أن ما جرى علىٰ الأنبياء عليهم السلام إنما جرى علىٰ ظواهرهم دون أسرارهم لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾. أي قصدًا.

يريد أن من نسي شيئًا إنما كان لأن سره مشغول بغيره، ولما كان سر آدم عليه السلام مشغولًا بمشاهدة الحق فنسي العهد لأنه غائب عنه، ففعل ما فعل، فلا يصح منه ذلك الفعل ولا اعتبار له لأنه لا اعتبار للفعل من غير عقد ونية له، ولا عقد ولا نية لسّر آدم عليه السلام بحكم النسيان بقوله تعالىٰ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طٰه: الآية ١١٥] وإن كان آدم فاعلًا لذلك الفعل بالحقيقة لقوله تعالىٰ: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طٰه: الآية ١٢١] .

ولذلك قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طٰه: الآية ١٢١] ، ولكن لما أوجب المحبة العناية وضع الله جنايته علىٰ الشيطان فقال تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: الآية ٣٦] .

فمن أزله أحد وسقط فالجناية علىٰ المُزِل لا علىٰ المُزَل الساقط.

فأثبت الفعل له لما صدر منه حقيقة ونفاه عنه لأنه لم يقصده وأحسن منه أن يقال: إن الله تعالىٰ قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ [طٰه: الآية ١٢١] لأنه إذا نظر آدم إلىٰ نفسه لا يغتر وأظهر عذره لينظر إلىٰ كرمه تعالىٰ فلا ييأس من رحمته[1]، فتارة يرى ذله وتارى يرى عز الحق.

وقال الكبراء: للعارف نظرتان، نظرة إلىٰ نفسه نظرة إلىٰ ربه إذا نظر إلىٰ نفسه ذل وإذا نظر إلىٰ ربه دل إذا نظر إلىٰ نفسه افتقر وإذا نظر إلىٰ ربه افتخر، وإذا لم يكن للأنبياء

---

(١) ذكر القاضي عياض أن ما كان من الأنبياء إنما هو فيما كان منهم علىٰ تأويل أو سهو أو من إذن من الله تعالىٰ في أشياء أشفقوا من المؤاخذة بها وأشياء منهم قبل النبوة وهذا المذهب هو الحق.

ولأنه لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم إقرارهم وكثير من أقوالهم ولا خلاف في الاقتداء بذلك وإنما اختلاف العلماء هل ذلك علىٰ الوجوب أو علىٰ الندب أو الإباحة أو التفريق فيما كان من باب القرب أو غيرها.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

وقالوا: ومعاتبات الحق لهم عليها إنما جاءت علمًا للأغيار ليعلموا عند إتيانهم المعاصي مواضع الاستغفار[١] وأثبتها بعضهم وقالوا: إنها كانت علىٰ

عليهم السلام عقد ونية فيما جرى علىٰ ظواهرهم من الزلات فلم عاتبهم الله تعالىٰ **قالوا: معاتبات الحق لهم علىٰ الزلات إنما جاءت علامة للأغيار ليعلموا عند إتيانهم المعاصي مواضع الاستغفار**، فإن ظاهر الأنبياء عليهم السلام مرآة الخلق فإن الخلق إذا نظروا إليهم أخذوا الأدب من أقوالهم وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم، وكل ما رأوا منهم يؤسسون دينهم عليه.

وقال بعضهم: معاتبات الحق للأنبياء عليهم السلام علىٰ الزلات ليست لإصلاح المعصية، بل لازدياد المحبة[٢]، لأن العتاب بين المحبين يوجب ازدياد المحبة كما قال:

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

فمعاتبة الحق لهم للإعلام ببقاء محبته لهم دليل عليه وأشغلهم بالعذر لأن الخلق كلهم مقصرون في أداء الخدمة.

والمقصر لا بد له من الاعتذار، والعذر منهم إقرار بالتقصير في الخدمة.

وأثبت بعضهم الزلة للأنبياء عليهم السلام وقالوا إن الزلة للأنبياء عليهم السلام

---

(١) ذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلىٰ جواز الوقوع في السهو والنسيان علىٰ الأنبياء، ثم لابد من تنبيههم عليه وذكرهم إياه إما في الحين علىٰ قول جمهور المتكلمين وإما قبل وفاتهم علىٰ قول بعضهم ليوضّحوا حكم ذلك ويبينوه قبل انخرام مدتهم وليصح تبليغهم ما أنزل إليهم وكذلك لا خلاف علىٰ أنهم معصومون من الصغائر التي تزري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر.

شرح مسلم للنووي (٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) قيل بداية المحبة موافقة ثم ميل ثم مؤانسة، ثم مودة، ثم هوى، ثم خلة ثم محبة ثم شغف ثم تيم ثم وله ثم عشق.

وقيل المحبة تنقسم بحسب المبادئ والغايات إلىٰ عشرة أقسام خمسة منها مقامات المحبين السالكين فأولها الألفه ثم الهوى ثم الخلة ثم الشغف ثم الوجد، وأما مقامات العشاق فأولها الغرام، ثم الافتتان، ثم الوله ثم الدهش ثم الفناء، واسم المحبة يشتمل علىٰ الكل وقيل في سبب المحبة أنه ميل الجميل إلىٰ الجمال بدلالة المشاهدة.

المعجم الصوفي (ص٢٢٢)

إنما صدرت منهم علىٰ جهة تأويلهم، وأخطأوا في ذلك التأويل.

يعنون أن الأنبياء لم يقصدوا خلاف الحق، ولكن ظنوا له تأويلًا صوابًا فأخطأوا فيه، فقال بعضهم ذلك التأويل هو أن يفعلوا بالنسيان لا بالعمد، وتمسكوا بقوله تعالىٰ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: الآية ١١٥].

وقالوا: لا يجوز أن يكون تأويل الأنبياء خطأ لأنهم إنما فعلوا ما فعلوا بالوحي لا بالاجتهاد ليخطئوا، وإذا كان بالوحي فلا يقع لهم الخطأ.

ومنع هذا بعضهم وقالوا: إن آدم عليه السلام إنما فعل بالعمد، وذلك لأنه قال الله تعالىٰ حكاية عن إبليس ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١]، و﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٠].

فلو كان آدم عليه السلام ناسيًا فلمَّا ذكره إبليس فتذكر فعلم أن ذلك التأويل ليس النسيان، بل ذلك التأويل هو أنه ظن آدم أن النهي في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البَقَرَة: ٣٥] مختص بالشجرة المعينة والمراد جنس تلك الشجرة.

وفي الجنة أشجار كثيرة من ذلك الجنس، فأكل من شجرة أخرى غير المشار إليها من جنس المشار إليه، فأخطأ في التأويل[1].

وقال بعضهم: إن معاتبة الله لهم لأجل عملهم بالاجتهاد ولم ينتظروا أمر الله فيما يعملونه لا لأجل أنهم عملوا بتأويل خطأ، لأنهم لا يعملون بتأويل خطأ بل إنما يعملون بما هو صواب وقال بعضهم: تأويل زلتهم أنهم إذا سلكوا ومشوا برضا من هو أدنى مرتبة منهم، فعاتبهم الله لذلك.

---

(١) التأويل صرف الآية إلىٰ معنى تحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه المسؤول يوافق الكتاب والسنة ولذلك فهو يختلف باختلاف حال المسؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ويقول أبو الدرداء: وهذا كلام يحرض كل طالب همة أن يصفي موارد كلام القرآن ويفهم دقيق معانيه.
وللصوفي بكمال الزهد في الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالىٰ مطلع من كل آية وله في كل مرة في التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها.
المعجم الصوفي (ص٤٧)

فعوتبوا عليها لعلو مرتبتهم وارتفاع منازلهم، فكان ذلك زجرًا لغيرهم وحفظًا لمواضع الفضل عليهم وتأديبًا لهم.

وقال بعضهم: إنها كانت علىٰ جهة السهو والغفلة وجعلوا سهوهم في الأدنى بالأرفع.

ومن أثبت الزلات علىٰ الأنبياء عليهم السلام علىٰ جهة التأويل والخطأ فيه **فقالوا: إنما عوتبوا عليها لعلو مرتبتهم وارتفاع منازلهم عند الله.**

لأن الكبراء يؤاخذون بأدنى زلة، لأن أدنى زلة منهم أعظم، ولهذا قيل: زلة العالِم زلة العالَم. وكان ذلك العتاب مع الأنبياء زجرًا لغيرهم لئلا يرتكبوا الزلات وينتهوا منها، وتنبيهًا لغيرهم لئلا يغتروا ولا يأمنوا.

فإن الأنبياء عليهم السلام مع عظم قدرهم ومنزلتهم وعلو مرتبتهم عند الله لا يتجاوزها الله عنهم بل يعاتبهم بها، فكيف من غيرهم.

وأيضًا كان ذلك العتاب[1] للأنبياء حفظًا لمواضع فضل الله عليهم.

يعني أن الله تعالىٰ عليهم فضلًا عظيمًا، ولا يريد منهم كفران نعمته، فيزول عنهم فضل الله فعاتبهم الله بأدنى زلة صدرت منهم ليكونوا علىٰ التيقظ في الأمور ويحفظوا فضل الله معهم فلا يقعوا فيما فوقه.

وأيضًا كان ذلك العتاب معهم تأديبًا لهم.

ومعنى هذا التأذيب هو إظهار المحبة لهم لا العقوبة لهم، فإنهم عند الله بمنزلة لا يليق بهم ذلك - أي الزلات -.

وقال بعضهم: إن زلات الأنبياء عليهم السلام كانت علىٰ جهة السهو والغفلة عنها لا بالقصد، وجعلوا سهو الأنبياء في أدنى شيء بسبب شغلهم الأعلى والأرفع.

يريد أن سهوهم وغفلتهم عن طاعة من طاعات الله تعالىٰ إنما كان لأن أسرارهم في

---

(١) كما عاتب الله نبينا ﷺ في ابن أم مكتوم الأعمى لما أتى إلىٰ رسول الله ﷺ فجعل يقول أرشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين فجعل النبي ﷺ يعرض عنه ويقبل علىٰ الآخر ويقول «أترى بما أقول بأسًا؟ فيقول: لا» ففي هذا أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عَبَسَ: ١].
تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٠)

وهكذا قالوا في سهو النبي ﷺ في صلاته إن الذي شغله عن صلاته كان أعظم من الصلاة ....

تلك الساعة مشغولة بما هو أعلى وأرفع من تلك الطاعة مثل عظمة الله تعالىٰ وقربه وهيبته وشوقه، فيصيرون مغلوبين في ذلك المقام في تلك الطاعة فوقع السهو لهم فيها[1].

وذلك لأن الأنبياء عليهم السلام ذوو الطرفين الباطن والظاهر، باطنه مع الحق دائمًا، وظاهرهم مع الخلق، فلو لم يكن باطنهم مع الحق لحجبوا فلم يصلحوا للنبوة، ولو لم يكن ظاهرهم مع الخلق لحرموا من أخذ الشريعة منهم، فأسرارهم تنظر إلىٰ الحق وتأخذ منه، وظواهرهم تأخذ من أسرارهم، والخلق تأخذ من ظواهرهم.

فالخلق تبع لظواهرهم وظواهرهم تابعة لأسرارهم وأسرارهم تابعة للحق ومشغولة به، ولا شك أن أحوال الباطن أعلى وأرفع من معاملات الظاهر، فمع استقامة أحوال الباطن لو وقع تقصير في معاملات الظاهر لا يضر بالدين، ولو وقع تقصير في أحوال الباطن لا يفيد صحته معاملات الظاهر، فعلم أن التقصير لو وقع منهم في الظاهر لكان لكون أسرارهم مشغولة بما هو أعلى وأرفع مما وقع فيه التقصير، من ازدياد قرب الحق وازدياد معرفتهم به وشوقهم إليه وغير ذلك، فلو وقع منهم سهو في الصلاة يكون له خير ويتعلم الخلق خيره إذا سهوا فيها، **ولهذا قالوا في سهو النبي عليه الصلاة والسلام في صلاته أن الذي شغله عن صلاته كان أعظم من الصلاة**[2].

---

(١) روى مسلم في صحيحه كتاب المساجد، حديث رقم (٨٩) عن ابن مسعود، وفيه: **«ولكن إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني»** قال النووي: فيه دليل علىٰ جواز النسيان عليه ﷺ في أحكام الشرع وهو مذهب جمهور العلماء وهو ظاهر القرآن واتفقوا علىٰ أنه ﷺ لا يقر عليه بل يعلمه الله تعالىٰ به ثم قال الأكثرون شرطه تنبهه ﷺ علىٰ الفور متصلاً بالحادثة ولا يقع فيه تأخير وجوزت طائفة تأخيره مدة حياته ﷺ واختاره إمام الحرمين.
شرح مسلم للنووي (٥/ ٥٢) طبعة دار الكتب العلمية

(٢) منعت طائفة من العلماء السهو عليه ﷺ في الأفعال البلاغية والعبادات كما أجمعوا علىٰ منعه واستحالته عليه ﷺ في الأقوال البلاغية وأجابوا عن الظواهر الواردة في ذلك وإليه مال الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائني والصحيح الأول، فإن السهو لا يناقض النبوة وإذا لم يقر عليه لم يحصل منه مفسدة بل تحصل فيه فائدة وهو بيان أحكام الناسي وتقرير الأحكام.
وقال القاضي عياض: اختلفوا في جواز السهو عليه ﷺ في الأمور التي لا تتعلق بالبلاغ وبيان =

لقوله ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[(١)].

فأخبر أن في الصلاة ما تقرُّ به عينه ولم يقل: جعلت قرة عيني الصلاة.

وكل من أثبتها زللًا وخطايا فإنهم جعلوها صغائر[(٢)] مقرونة بالتوبة كما قال الله تعالىٰ مخبرًا عن صفيه آدم وزوجته عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية. وقوله تعالىٰ: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

وفي داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

لقوله عليه الصلاة والسلام: «وجعلت قرة عيني في الصلاة». فأخبر عليه الصلاة والسلام أن في الصلاة ما تقرّ به عينه، ولم يقل: جعلت قرة عيني الصلاة، فعلم أن له في الصلاة شيء أرفع وأعظم منها حتى قرّت به عينه لا بها. ومن المعلوم أن قرّة عين الحبيب لا تكون إلّا بمشاهدة المحبوب، وجعل قرة عينه عليه الصلاة والسلام في الصلاة ليس بمعنى أنه يكون في غير الصلاة محجوبًا وفي الصلاة حصل له المشاهدة بل لأن المشاهدة في غير الصلاة ليست كاملة بناء علىٰ أن ظاهره عليه الصلاة والسلام مشغول بالخلق.

فإذا دخل في الصلاة انقطع عن الخلق ظاهرًا وباطنًا فتوجه بالكلية إلىٰ الله تعالىٰ فحصلت له المشاهدة فوق ما كانت في غير الصلاة.

وأخذ الظاهر نصيبه من مشاهدة السر الذي يكون له المشاهدة علىٰ الدوام.

❊ ❊ ❊

= أحكام الشرع من أفعاله وعاداته وأذكار قلبه فجوزه الجمهور.
شرح مسلم للنووي (٥/ ٥٣) طبعة دار الكتب العلمية

(١) أخرجه: النسائي (٧/ ٦١ ـ المجتبى)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٨، ٢٨٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١٦٠)، وابن حجر في تلخيص الجبير (٣/ ١١٦)، والزبيدي في الإتحاف (٣/ ٢٢، ٥/ ٣١١)، والقاضي عياض في الشفا (١/ ١٩٤، ٢٧٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠).

(٢) ذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلىٰ جواز وقوع الصغائر علىٰ الأنبياء وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلىٰ عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وأن منصب النبوة يجل عن مواقعها وعن مخالفة الله تعالىٰ عمدًا وتكلموا في الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها.
شرح مسلم للنووي (٣/ ٤٧) طبعة دار الكتب العلمية

فهرس المحتويات